

مجلة المجمع العلمي

فصلية محكمة أنشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

الجزء الاول ــ المجلد السابع والستون

١٤٤١هـ ــ ٢٠٢٠م

شروطُ النَّشرِ وضوابطُهُ وَقواعدُهُ

١ -ترحِّبُ مجلةُ (المَجْمَع العلميّ) بنشرِ البحوثِ والدّراساتِ العلميَّة في العلوم (النظرية والتطبيقية) الَّتي تتَّسم بالأصالة والجِدَّة، واستيفاء شروط البحث العلمي، باللغة العربيَّة كما تنشر تحقيق المَخْطُوطات والترجمات.

٢ -البحوث المنشورة تعبِّرُ عن آراء كاتِبِيهَا، ولا تعبِّرُ عن رأي هيئة تحرير المجلَّة.

٣ -تعتذرُ هيئَةُ التّحريرِ عن نشرِ البحوث الدينيَّة التي تمسُّ العقائدَ أو البحوث ذات التّوجّهات السياسيَّة.

٤ -يصبحُ البحثُ بعدَ نَشرِهِ في المجلَّةِ حَقًّا لهَا، ولا يجوزُ النَّقلُ عنهُ إلّا بالإشَارَةِ إلَى مجلَّةِ المَجْمَعِ العلميّ.

٥ -يُشتَرَطُ في البحثِ أنْ لا يكونَ قد نُشِرَ أو قُدِّمَ للنّشرِ في مَجّلَّةٍ أُخرَى وليسَ مستلًّا من كتابٍ مخطوط أو مطبوع، ويُلزم الباحث بالإمضاء على التعهُّدِ الخاصِ قبلَ تسليمِ بَحثِهِ.

٦ -تعتذرُ المَجَلَّةُ عن نَشرِ أَيِّ بَحثٍ يخلُّ بِشَرَطٍ من شروطِهَا.

٧ -لا تُرَدُّ أصولُ الأعمال المقدَّمة للمجلة سواءٌ قُبِلت للنشر أم لم تقبل.

٨ -يحقُّ لهيئة تحرير المجلة إجراء بعض التعديلات الشكليَّة على المادة المقدَّمة متى لزم الأمر من غير المساس بالموضوع.

٩ - يقدم البحث على شكل نسختين ورقيتين، فضلًا عن نسخة إلكترونية على قرصٍ ليزريّ (CD) أو عبر البريد الإلكتروني، على أن يكون حجم الخط (١٤) للمتن و(١٢) للهامش وعلى وجه من الورقة، ويكون نوع الخطّ المستخدم في الطّبَاعة (Simplified Arabic)، على أن لا تزيد عدد صفحات البحث عن عشرين صفحة(A4).

١٠ -يلتزم الباحث بتقديم سيرة ذاتيَّة مختصرة تتضمَّن: الاسم كاملًا، والدرجة العلمية، ومكان العمل، والعنوان، والبريد الإلكتروني، ورقم الهاتف من أجل سهولة الاتصال وسرعته.

١١ -تقوم هيئة التحرير بالقراءة الأوليَّة للبحوث العلميَّة المقدَّمة للنشر بالمجلة للتأكُّد من ملاءَمتها لأهداف المجلة وتوجُّهاتها، فضلًا عن توافر مقوّمات البحث العلميّ، وتُرسَل بعد ذلك إلى المحكّمين، من ذوي التخصص والخبرة، مع مراعاة ما يأتي:

أ -تتولى هيئة التحرير متابعة إجراءات التعديلات والتحقق من التزام الباحث بإجراءِ التعديلات المطلوبة قبل نشر العمل العلمي، ويكون ذلك ملزمًا للباحث.

ب -يتم إبلاغ الباحث بقرار صلاحية بحثه للنشر من عدمه، ويزود بكتاب قبول نشر في حالة صلاحية بحثه، وفي حالة الاعتذار يزود الباحث بالملاحظات والمقترحات التي يمكن أن يفيد منها الباحث لإعادة النظر ببحثه.

ت -ينشر العمل العلمي بعدَ استيفَائِهِ شروط النّشرِ وقواعدهِ في المَجَلَّةِ.

١٢ تعطى الأولوية في النشر بحسب الأسبقية الزمنية لتسليم البحوثِ إلى هيئة تحرير المجلة، وذلك بعد إجازتها من لَدُنِ المحكمين، وعلى وفقِ الاعتبارات العلمية والفنية التي تراها هيئة التحرير.

١٣- يخضع ترتيب الأبحاث عند النشر في داخل العدد علَى وفق اعتبارات فنية وتُراعى الدرجة العلمية لصاحب العمل، أو بحسب ما تراه هيئة التّحرير.

١٤- يراعى في كتابةِ البحثِ التّرتيب الآتي:

أ -صفحة العنوان، المُلَخَّص باللغة العربية واللغة الانكليزيَّة، مقدمة البحث، الكلمات الدالة، متن البحث، النتائج والمقترحات التي توصل لها البحث، الأشكال والجداول والملاحق، ثم الهوامش.

ب -يسجل على صفحة العنوان: عنوان البحث في منتصف الصفحة، واسم الباحث/ الباحثين متبوعًا باسم المؤسسة التي يعمل/ يعملون بها، والبريد الإلكتروني الخاص به/ بهم.

ت -يراعى أن يكون الملخَّص في حدود ١٥٠ كلمة، وخاليًا من الاختصارات والهوامش، ويشير بوضوح إلى أهداف البحث ومنهجيته وأهم نتائجه.

ث -يقصد بالكلمات الدالة: المصطلحات الرئيسة التي وردت في متن البحث، على أنْ يكتب ما يقابلها باللغة الانكليزيَّة -إنْ وجد-، معَ مُرَاعَاةِ استخدام المصطلحات المُقرَّة عربيًّا.

ج -يُراعى في المقدمة اتباع الخطوات المنهجية العلمية.

ح -يراعى عدم وضع الجداول الكبيرة والأشكال التوضيحية والخرائط الكبيرة في متن البحث بل توضع في نهايته حتى يتمكن المراجعون من التحكم في حجمها علَى وفق حجم صفحة المجلة، أما الجداول والأشكال التي توضع في متن البحث فيجب أن يكون كل منها في صفحة مستقلة على أن يوضع رقم الجدول وعنوانه أعلاه، ورقم الشكل وعنوانه أدناه، ومصدره إنْ وجد. أما الهوامش لا تكون في نهاية البحث بل في داخل الصفحة مع رقم الهامش (يتم استخراج الهوامش من برنامج Microsoft Word – مراجع – نافذة حواشي سفلية – علامة مخصصة ، يدرج الرقم بين قوسين) (يتم ترقيم هامش البحث حسب التسلسل من (١) الى (١٠٠) .... الخ).

خ -تسجل المصادر والمراجع على النحو الآتي:

<u>في حالة الكتب :</u>

اسم المؤلف، سنة الوفاة للمصادر التراثية عنوان الكتاب، المحقق أو المترجم ان وجد رقم الطبعة عدا الأولى (مدينة النشر: اسم الناشر، أو المطبعة، سنة الطبع) ثم الجزء أو المجلد -إن وجد-، ورقم الصفحة، علَى أنْ لا تُكتَبَ تفاصيل بطاقةُ الكتابِ في هوامشِ البحثِ، بل تُكتَبُ في ثَبْتِ المصَادرِ والمراجعِ.

<u>في حالة البحوث:</u>

اسم المؤلف، عنوان البحث، اسم (الدورية أو المجلة) رقم المجلد (رقم العدد)، الصفحات التي يشغلها المقال بين قوسين (مدينة النشر: جهة النشر، سنة النشر) رقم الصفحة.

<u>في حالة الإفَادَة من مصدرٍ ألكترونيّ (منشور علَى الشّابكة العَالميَّة):</u>

اســـم المؤلـــف، العنـــوان، المصـــدر الإلكترونـــي، ثـــم يوضـــع الـــرابط، وتـــاريخ الاطـــلاع.

١٥- يُمنح كل باحث تأييد بقبول بحثه للنشر بعد إتمام كافة الإجراءات.

١٦- يُمنح كل باحث ثلاث نسخ من المجلة في العدد الذي نشر به بحثه مع خمس مستلات من البحث المنشور.

١٧- إذا كانَ البَاحِثُ في خارج العراق ، وتعذَّر عليهِ تسليم البحث يدويًّا فيمكن أنْ يرسلَه عن طريق البريد الإلكتروني للمجلة، بعد الإمضاء على التعهُّد:

<u>Journalacademy@yahoo.com</u>

أو البريد الإلكتروني لمدير التحرير:

<u>profalmosawi@yahoo.com</u>

هيئة التحرير

اعضاء هيئة التحرير

محتويـــات

الجزء الأول / المجلد السابع والسـتون

افتتاحية

(الانسان والخلود)

في نهاية الألف الرابع قبل الميلادِ، وعلى أرضِ مهدِ الحضاراتِ – بلاد الرافدين – كانَ هناك ملكٌ جبَّارٌ؛ ثلثاه بشرٌ وثلثه الآخر إله، بنى مدينةً جميلةً وعظيمةً اسمها (أوروك)، كانتْ تُعَدُّ من أعظم مدنِ العراقِ القديمِ آنذاك، وعند أساس جدران سورها وضع صخرةً من (اللازورد)، سطَّرَ عليها ملحمته التي وصلت إلينا في العصرِ الحديثِ، إنَّه (كلكامش) الكبير .

وكانَ من أولَى مهامِّهِ أنْ بنى سورًا عظيمًا لمدينته، من أجلِ أنْ يبقَى شعبُه آمنًا من القوى الخارجية، علَى أنَّهُ – في الوقت نفسه – كان ظالمًا لشعبه، مِمَّا دفعَ إله السماء (أنو) بخلقِ الرجل البريّ الجامح (أنكيدو)؛ لكي يجتاحَ مدينة (أوروك) ويهاجمَ المواشي ويحرمَهم من الطعام ...

اشتكى الناس إلى الملك (كلكامش) فأرسل (شاهمات) مومس المعبد لإغواء (أنكيدو)، وسرعانَ مَا استَطَاعَتْ أن تستميلَ قلبه، مِمَّا جعلَ (كلكامش) يُحضِّر لزفاف (أنكيدو) على (شاهمات) شرطَ أن يكونَ هو الشّخصَ الأوَّلَ الّذي يمارس الجنس معها فغضب (أنكيدو)، وتحدَّى كلكامش، واتّفقَا أنْ يَتَصَارَعَا، للظّفَرِ بـ (شاهمات)، وحينمَا أعلنَ الصباح تباشيرَ يومٍ جديدٍ بدأ الصراعُ بينَهما؛ ليستمرّ حتى ظهور القمر في المساءِ، اعترف (أنكيدو) بتفوّق (كلكامش) عليه، وبعدَهَا عادا إلى القصرِ

صديقين، لكنّهما على مرِّ السنين أصبحا كسولين، فقرّرا القيام برحلة مغامرة إلى غابات الأرز لقتل الوحش (خمبابا)، الذي نصفه شيطان ونصفه الآخر غول، واستطاعا قتله وجلب أخشاب الأرز من هناك، بعد أن صنعا قوارب للحمل؛ ليعودوا بواسطتها إلى أوروك عبر نهر الفرات .

وبعد وصولهم الى أوروك مرض (أنكيدو)، وجلس إلى جنبه كلكامش مكتئبًا، ليموتَ أنكيدو بعدَ اثني عشر يومًا؛ ليحزنَ على فراقِهِ كلكامش كثيرا، وصمَّم أن لا يكون مصيره مثل أنكيدو، فأخذ يبحث عن الخلود .

ومن ثَمَّ خرج من أوروك باتجاه جبل (ماشو) فقابل عقربين ضخمين، فَسَخِرَا منه قائِلِينَ : إنَّ ما يَسعَى إلَيهِ من دون جَدوَى، لكنّهما سمحا له بالمرور في نفق كبير مظلم تختفي في جوفِهِ الشمس ليلا، واستطاع أن يخرج منه عندما بدأت الشمس بالدّخولِ له .

ومن على أعلى هضبة تطل على مياه الموت، شاهد كلكامش القارب الذي سيقوده إلى وجهته الأخيرة، واعترض طريقه مخلوقان حجريان ضخمان ينامان على الشاطئ، وبعد معركة قصيرة غلب المخلوقين ونثر جثثهم الحجرية فوق الرمل، وشاهد من بعيد رجلًا مسنًّا يتّكيء على عصا خشبية طويلة وجسمه مغطى بالسواد (اورشنابي) الذي طلب من الملك كلكامش قطع ثلاثمائة شجرة لصنع ألف مجداف، لأنَّ كل واحد سيتلاشَى بمجرّد أنْ يلامسَ الحياة، بدأ كلكامش بالعمل وبحلول الصباح كان قد انتهى مِمَّا طُلِبَ منه، دفع اورشنابي القارب إلى المياه، والضباب والظلال يحيطان به مِن كل الجوانب، كانت الرحلة طويلة، وكلكامش يسأل اورشانبي عن الرجل القديم .

اصطدم أسفل القارب بالرمل، وانقشع الضباب ليكشف عن جزيرة مسوّرة فيها كوخ صغير، وعند الباب يقف الرجل القديم (اوتنابشتيم) الذي اشترط على كلكامش أن يبقى مستيقظًا لستة أيام وسبع ليالٍ مقابل أنْ يمنَحَهُ الحياة الأبدية، لكن فور انتهائه من الحديث سقط كلكامش مغشيًا عليه على الأرض؛ ليناَم نومًا عميقًا، عاد اوتنابشتيم إلى الكوخ وطلب من زوجته أن تصنع رغيف خبز لكل يوم ينام فيه كلكامش، وعندما استيقظ أنكر أنه نام ولكن اوتنابشتيم أراه أرغفة الخبز، وكل منها بحالة معينة من العفن، وفقد كلكامش فرصته نيل الحياة الآبدية وتوسل لاوتنابشتيم ليعطيه فرصة اخرى، فأخبره عن نبتة مخبّئة في قعر المحيط ستعيد الشباب لكلكامش .

سافر كلكامش عائدًا عبر مياه الموت، وربط صخرة بقدميه وغاص في أعماق المحيط، ثم خرج ومعهُ النبتة، ونتيجة التعب نام على الشاطئ فتسَلَّلَتْ أفعى وأكلت النبتة، فانسلخ جلدها وتجدَّد جسدها، عندما استيقظ كلكامش رأى الحية قد تجَدَّدَ جلدُهَا، فأدرَكَ أنه قد فقد الأمل بالحياة الأبديَّة؛ ليرجعَ بعدَهَا عائدا إلى أوروك... وكان طريق العودة طويلًا وقاسيًا وقد أصابه الإعياء والتعب وَتَوَرَّمَتْ أقدامه؛ توقَّف عند قمة ربوة ونزل إلى الأرض على ركبتيه عندما رأى أوروك وجدرانها العالية في الأفق، ابتسم وظهرت مسحة من الفرح والتفاؤل على محياه، فرفع يديه إلى السماء حيث مستقر الإله (انو) وتَبَرَّكَ بجدران أوروك، التي هي أعظم إنجازاته، لأنَّه ليس من قدر الإنسان أن يحيا الى الأبد؛ لكن لإنجازاتهِ أن تخلد اسمه للأجيال القادمة .

إنَّنَا إذْ نستقبلُ السنة الجديدة (٢٠٢٠م) نضعُ بين أيدي القراء الكرام الجزء الأول من المجلد السابع والستين من مُجلَتنا الغراء مجلة (المجمع

العلميّ) بغبطة غامرة وهي تضمُّ بين طَيَّاتِهَا مجموعةً من البحوث والدراساتِ الإنسانيَّة والعلميَّة التي أراد بها يراعُ مَنْ كَتَبَهَا؛ خدمةَ المجتمع، فضلًا عن تقديمِ مَا ينفعُ المعرفة والثّقَافَة الإنسانية، ليترك بصمةً في هذه الحياة الزائلة من أجلِ أنْ يخلدَ فيها كما خلدَ الملك العراقي كلكامش .

الأستاذ الدكتور

جواد مطر الموسوي

مدير التحرير

اللغة العربية الفُصْحى قديما وحديثا
هُوِيَّةٌ وَتَحَدِّيات-

الأستاذ الدكتور
صادق عبد الله أبو سليمان[١]

الملخص :

استعرض البحث لدلالات ما جاء عن علماء العربية في تعريف مصطلح" اللغة"؛ ليصل إلى أن اللغة تكشفُ بمكوناتها اللفظية ودلالاتها عن هوية أهلِها في مختلِفِ مجالات حياتهم؛ وفي سياق الارتباطِ الوثيقِ بين أي أمةٍ ولغتها عرَضَ البحث لِما جاء عن العرب في تقرير أن امتلاك لسانِ الغريبِ لِمَلكةِ فصاحة التحدث بلغةٍ غيرِ لغته الأم يجعله من جنسِ أهلها؛ ودلل البحث على وعيِهم بأثرِ اللغة في جَمْعِ أناسٍ مختلفي الأجناس في بوتقةٍ وَحدويةٍ جامعةٍ لهم واهتمام الحاكم العربي بالترجمة وتعريب العلوم وعلَّلَ لِحرصهم على سلامةِ لغتِهم ونشرِها بين الأمم الإسلامية،

---

(١) أستاذ العلوم اللغوية وموسيقا الشعر- جامعة الأزهر- غزة/ فلسطين، وعضو مجلس البحث العلمي فيها، وعضو اللجنة العلمية لمجلة البدائه في اللغة والأدب والفنون- جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم/ الجزائر، وعضو مجامع اللغة العربية (القاهرة- القدس- مكة المكرمة، وعضو المجلس العلمي ورئيس لجنة الألفاظ والأساليب فيه في المجمع المكي)، وسابقا عضو مجلس إدارة اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية.

وكراهيتهم للرطانة واللحن والتشبه بالأعاجم، وأشار إلى انشغال اللغويين بوضع العلوم اللغوية التي تفقّهُ العرب والمسلمين في اللغةِ العربيةِ وخصائصها، وتحذرهم من تأثير السماع السلبي في إفساد اللغة وإذاعة الدخيل أو الأعجمي،

ووقف البحث عند احتذاء العرب في العصر الحديث لسابقيهم في الحفاظ على عربيتهم الفصيحة، وأشار إلى سياقِات دفاعِهم عنها، ورفضِ كتابتها بغير الحرف العربي، وتحذيرهم من الانصراف عن لغتهم، وضرورة تكاتفهم واجتماعهم على كلمةٍ سواء في وضع الخُطط المدروسة؛ وصولا إلى وضْع سياسةٍ لغويةٍ موحدةٍ تطبِّقها دولُ العرب كافة.

وختم البحث بالإشارة إلى أن البحوث والتوصيات في هذا المجالِ الحَيَويِّ كثيرة، ولكنه تساءل عن مدى قدرة العربِ- اليوم- على امتلاكِ وَحدةِ الإرادةِ الفاعلة في تحقيقها؛ وصولا الصالح العربي العام.

هذا موضوعٌ ذو شُجونٍ، يطول فيه الحديثُ، ويكثر فيه الجدلُ والمقترَح، ويحتاج إلى دراساتٍ ومقالاتٍ للإلمامِ بعناصره، ومتطلباتِه التي توضحه وتسبر أغواره؛ لأنه موضوعٌ طويلٌ يحكي قصة العربية منذ كان إلى الآن.

على أن ما أودُّ الحديثَ عنه في هذا البحث لا يتعدى الوقوفَ عند **أهمية اللغة لأهلها، وحفزِهم على حمايتِها والعنايةِ بها**؛ لتظلَّ محافظةً على سلامةِ خصائصِ هويةِ أنظمتها الصوتية والبنيويةِ والتركيبيةِ، وقادرةً على النماء والوفاء بمتطلبات حياةِ أهلِها العصرية من الألفاظِ الحضاريةِ والمصطلحاتِ العلميةِ والتراكيبِ.

فهْم العرب لمصطلح اللغة:

أنتج الفكر اللغوي العربي الإسلامي مفهوما متميزا لمصطلح **اللغة** أفرزه عقلُ العالمِ اللغويِّ الفذِّ ابنِ جني الذي تُوفِّيَ في سنة ٣٩٢هـ في العقد الأخير من القرن الرابع الهجري؛ فقد جاء في تعريفه قولُه: " اللغةُ أصواتٌ يعبِّرُ بها كل قوم عن أغراضهم"[٢].

غدا مضمونُ هذا التعريفِ ونصُّهُ الحرفي، أو مضمونُهُ بلا نصّهِ متنقلا في تعريفات القدماء والمحْدثين للغة[٣]؛ فهو تعريفٌ– كما أرى– جامعٌ مانعٌ؛ لأنه دالٌّ على كلِّ ما يختصّ باللغة أيِّ لغة؛ فهو **دالٌّ على مادتِها**

---

[٢] ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تح. محمد علي النجار، دار الكتب المصرية،١٩٥٢م، ج١/ ص٣٣.

[٣] أبو سليمان، صادق عبدالله: قطوف من كتب اللغة، دار المقداد للطباعة– غزة، ط٣/ ١٤٣٢هـ– ٢٠١١م، ص ١٨٢– ١٨٨.

أو **مكوناتِها أو طبيعتِها**، وذلك حين عَرَّفَها صاحبُهُ بأنها أصواتٌ، **ودالٌّ على وظيفتها**؛ فهي آلةُ التعبيرِ والتوصيلِ حين قال:" يُعبِّر"؛ **ودالٌّ على مَنْ يُعبِّرُ** بها أيّا كان جنسُهُ أو لونُه، وذلك عندما أشار إلى تركيبِ" **كلِّ قومٍ**"؛ وكلمةُ" قومٍ" في هذا السياقِ– أراها– تُرادفُ أو تُقاربُ في دلالتِها كلمة" مجتمَع": هذه الكلمة التي–كما أظن– لم تكن في زمن ابن جني تدلُّ على معناها المعاصرِ المألوفِ لنا، وهو الدلالةُ على طائفةٍ أو مجموعةٍ أو شعبٍ أو أمةٍ من البشر؛ **ودالٌّ على المادةِ التي تُعبّرُ** عنها اللغة حين أشار إلى كلمةِ "**أغراضهم**": هذه الكلمةُ الواسعةُ الدلالة، والأكثرُ شمولا من مصطلح " الفكر" الذي يستبدله بها بعضُ المُحْدثين؛ فهي تحمل في طياتها الدلالةَ على كلِّ ما يُعَبِّرُ عنه الإنسان، سواءٌ أكانَ فكرا منطقيا أو عِلْما أو هَزْلا وهلمّ جرّا.

إن ما جاء عن علماء اللغة وغيرِهم من المحْدثين في وصف اللغة بقولهم مثلا: "اللغة ظاهرة اجتماعية"، أو"اللغة بنت المجتمع" أو"اللغة ظاهرة إنسانية"، أو" نفسية"؛ أو" فكرية" أو" موسيقية" أو" تِقْنية" وتفصيلاتُها كلُّها قد شملها هذا التعريفُ العربيُّ الجامعُ لكلِّ خصائصِ مضامينِ اللغة: أيِّ لغة.

وعلى هذا فإن اللغةَ– أيَّ لغة– لَتُشكّلُ أهمَّ خاصةٍ مُمَيِّزةٍ لأيةِ أمة، إنها لسانُ أيِّ أمةٍ في كلِّ الأحوال والأزمنةِ التي تعيشُها أو تمرُّ بها، وإنها سجلُّها التاريخيُّ الجامعُ لكل خصائص أُناسِها منذُ النشأة إلى أنْ يرثَ اللهُ الأرض وَمَنْ عليها؛ الأمرُ الذي يكشفُ عن حقائقَ تُعَبِّرُ عن عنايةِ الأممِ والشعوب بلغاتها، ويدفعُ علماءَ اللغاتِ المُختلفةِ إلى تسخيرِ طاقاتهم العلميةِ لخدمةِ اللغة، ومطالبةِ المسؤولينَ في حكوماتهم بدعمهم للحفاظِ على هويةِ بلدهم اللغوية؛ وإعدادِ ما يكشف عن خصائصها وامتداداتها كتطويعها لخدمةِ

متطلباتها الجديدة، وتأليفِ معجمٍ تاريخيٍّ يحكي تاريخ مولدِ مفردات متنِها وتراكيبها في كلِّ المجالات منذ كان إلى الآنِ، ويمضيَ معها في مستقبلِ الأيام.

حقيقةُ أنَّ الأممَ جميعَها لا تتخلى عن لغاتها:

ولما كان الأمرُ على النحو الذي أوضحتُ في بيان مفهوم اللغة وأهميتِها لأهلِها؛ فإنه لا توجَد أمةٌ على وجهِ البسيطةِ – كبُرت أم صَغُرت؛ قويت أم ضعفت، عظُمت أم اِنْزَوَتَ– يمكن لها أن تقبل التخليَ عن كِيانها اللسانيِّ الدالِّ على هُويتِها اللغويةِ التي تميّز لسانَها عن غيرها، وتعبّرُ عن جميع خصائصها في كل زمكاناتِها؛ لذا فإني كتبتُ من قبل، وما زلتُ أكرر أنْ: " **لا هويةَ لأيِّ أمةٍ بدون لغة، ولا عروبة بدون العربية الفصيحة**".

إنَّ من أهمِّ مقوماتِ العروبةِ اللغةَ والتاريخَ والثقافةَ والتواصلَ الجغرافي؛ والجنسَ أو العِرْق؛ وإذا كانَ لي من رأيٍ في هذا السياقِ فإنّي أنبهُ إلى أنَّ موافقةَ الفكرِ أو المذهبِ أو المدرسةِ الفكريةِ قد تتغلب في ربطها بين نفرٍ أو جماعةٍ من أبناء قومياتٍ ولغاتٍ متنوعةٍ في مواقفَ كثيرةٍ؛ لأنَّ وَحدةَ الفكرِ ونِتاجَهُ المشتركَ تدفعُ إلى التوحدِ في المواقف. وأيّا يكن الأمرُ في مسألة علاقةِ الفكرِ بالقوميةِ فإنَّ **أداةَ توصيلِ الفكرِ أو آلتَهُ** البشريةَ تكمن في اللسانِ مصدر اللغة، وهما يُشكّلانِ وجهانِ لعملةٍ واحدة؛ فالعلاقةُ بين اللغةِ والفكرِ ارتباطية؛ فالفكرُ مصدرُ تزويد اللغةِ– أيِّ لغة– بمادته، واللغةُ أو اللسانُ وسيلةٌ تمييزيةٌ لأهلِها، وكاشفةٌ عن مضامينِ عقليتِهم وإنتاجِهم عَبْرَ التاريخ.

وإذا كان الأمر على هذا النحو من الترابط بين اللغة والفكر فإننا نُحذِّرُ في هذا المقام من خطورةِ ظاهرة تدريس اللغات الأجنبية لِأطفالِنا في رياضِهم، وانتشارِ مدارس اللغات والمدارس الأجنبية المنسوبة لاسمِ بلدها في الوطن العربي، وهو انتشارٌ أراهُ يُضعِفُ سليقةَ ألسنَةِ الناشئةِ الذين يدرسون فيها، ويُوطِّدُ لمكانةِ هذه اللغاتِ في عقولهم، وسَوْقِ أكثرِهم بإرادتهم إلى أهليها طلبا للهجرة والجنسية والانصهار فيهم، وخدمتِهم على حساب بني أصلهم.

وإذا كنا ننبه إلى خُطورةِ تغلغلِ اللغاتِ الأجنبيةِ في النشء فهذا لا يعني أننا نطالب بمنعِ تعلّم هذه اللغاتِ أو الاختلاط بأهلها؛ لأن هذه المطالبةَ تخالِف شرْعَ الله وآياته في خلقه، وجعله شعوبا وقبائلَ مختلفي الألسنةِ والألوان؛ قال (I): { يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى **وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }[٤]، وقال (Ψ):{ وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ **وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ** إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ }[٥].

إن ما نريده في هذا السياق هو التنبيه على ضرورةِ الحفاظ على سلامةِ لغتنا العربية الفصيحة في بلاد العرب؛ لتكون صاحبةَ السيادة في جوانب حياة أهلِها الاجتماعيةِ والفكريةِ والعلميةِ والتعليميةِ والدينيةِ والتقْنيةِ والثقافيةِ وغيرِها. وكذلك لا نعني إلغاءَ تَعَلُّمِ اللغات الأجنبية والاختلاط بأهلها؛ لأنها

---

[٤] سورة الحجرات: الآية(١٣).

[٥] سورة الروم: الآية(٢٢).

تصلنا بغيرنا من سكان العالم، وتكون وسيلتنا في التعارف والتعاون بيننا وبينهم.

وإذا كانت لغتنا العربية تمتلك تراثا علميا وحضاريا عريقا شارك فيه العربي وغيرُه- متواصلةً دراسته وعرضُهُ وتنقيحُهُ والإضافةُ إليه عبر القرون، وعميقا فكرُهُ، وسليما منهجُه، ومدروسةً أنظمةُ لغتِهِ بدقةٍ لتكون مناسبةً لمستويات مُحَصِّلي قواعدِها- فإني أرى في هذا كله تسويغا لتعلم اللغات الأجنبية، وأنه لا يمنع من الاطِّلاعِ على فكرِ غيرنا من صديق وعدو، لنعرف ما في جعاب أهله، ونستفيدَ مما يتناسب وفكرَنا.

وأذكُرُ في هذا السياق بالحضارة الإسلامية واستفادتها من غير العرب والمسلمين كاليونان والسريان وغيرهم، وأذكِّر بالمستشرقين أيضا الذين درسوا لغتَنا العربيةَ، وفكرَها، وحضارةَ أهلها، وتراكيبَها، وعرفوا مكونات عقلية أهلها، وجاءوا ليعلِّموا ويحاضروا في جامعاتنا ومجامعنا اللغوية والعلمية، ويشاركوا في مؤتمراتنا وندواتنا.

أخلص مما سبق إلى أنه يتوجب علينا الاطلاع على كل ما يدور حولنا لغة وفكرا وعلوما وسياسة وغير ذلك لنعرف أين موقعُنا من الإعراب العالمي، وأنه يجب ألا ننسى أيضا أننا ومجتمعاتِ العالَمِ نعيش اليومَ في قريةٍ كونيةٍ واحدةٍ غلافُها العولمة؛ وهذا يجعلني أَرى أن حاجتَنا لِتعلُّمِ لغاتِ العالمِ ولاسيما لغاتِ الشعوبِ المتقدمةِ باتت ضروريةً؛ فقد غدا العالَمُ- بفعلِ العولمة وإسهامِها في نشرِ وسائل الاتصال الاجتماعي المتنوعة والمتميزة بسرعتها البرقية- بلدةً أو قريةً واحدةً سَهلٌ وميسّرٌ تواصلُ أهلِها؛ الأمر الذي يفتح مجالات التأثر والتأثير بين سكان العالم والاتصال بهم؛ وهذا يتطلب

منها التخطيطَ العربيَّ الموحّد– بفتحِ الحاء وكسْرِها–؛ بغية وضع سياسةٍ لغويةٍ عربيةٍ مُوحَّدَة وموحِّدَة تضع نُصْبَ أعينها **ضرورةَ** العنايةِ بهوية لغة الأمة العربية الفصيحة وثقافتها، وإعمامِ تطبيقِها في أقطار الوطن العربي كلِّها؛ فهي الرابط المتين لأبناء بني العروبة، والواصل لهم بالمسلمين في العالم. إننا بحاجةٍ ماسةٍ إلى رفع مكانة اللغة العربية عند أهلها، وإعمام استعمالها في تدريس مجالات التخصصات العلمية والتقنية والصِّحية في الجامعات والمعاهد العربية؛ الأمر الذي يتطلب اتفاقا عربيّا جامعا ينتج عنه قراراتٌ ملزمةٌ في تعليم اللغات تُشرف الحكوماتُ العربية على تطبيق متطلباتها في المؤسسات التعليمية العربية ذوات الشأن.

إنَّ ما ننبهُ عليه في هذا المجال هو أنه ينبغي أنْ نفرقَ بين التربيةِ أو التنشئةِ اللسانيةِ وتعلّم اللغات الأجنبيةِ؛ فالأصلُ أن يكون البدء بإكساب الطفلِ لغتَهُ الأم في بيتِهِ ورَوْضَتِهِ ومدرستِهِ الابتدائية أو التأسيسية، ولا يتم إطْلاعُهُ إلى لغةٍ أجنبيةٍ إلا في مجالٍ عُمْريٍّ معينٍ يدرس فيه قَدْرا مُعيَّنا يمكّنُ لملكة لغتهِ الأمِّ في لسانه ووجدانِهِ، وهذا ما يعززهُ القولُ المأثورُ الذائع: "العلمُ في الصغرِ كالنقش في الحجر".

وفي مجال اكتسابِ اللغاتِ أذْكر أننا في فلسطين بدأْنا تعلُّمَ اللغةِ الإنجليزية بعد الصف السادس الابتدائي، ثم انحرف المسار إلى تعليمها بعد الصف الرابع، لينتهي الأمر بتدريس اللغات الأجنبية في رياض الأطفال وبدء المرحلة الابتدائية، وهكذا كان الانتقال المنحرفُ إلى مرحلةِ تعليمِ اللغةِ الأم واللغة الأجنبية معا؛ الأمر الذي يؤثر في سليقةِ المتلقّي وفكرِهِ وعاطفته.

وإن مِمّا يعزز هذا الرأيَ- وهو بلا ريبٍ غيرُ جديد- وأهميتَهُ ما نصَّ عليه سابقون بشأن **إبرازِ** أهميةِ اللغةِ في **صَهْرِ البشرِ مختلفي الأنسابِ والأعراقِ في بوتقةٍ وَحدويةٍ جامعةٍ لهم**. وقد وجدنا **الإسلامَ الحنيفَ يتنبهُ لتأثيرِ اللغةِ في توحيدِ أهلِها**، وتواصلِهم مع غيرهِم من بني البشر، **وجلْب متحدثيها منهم إلى اللحاقِ بفكرِهم.**

جاء في كتاب" اقتضاء الصراط المستقيم" لابن تيميةَ(ت. ٣٢٧هـ) أن **النبي (ρ)** خَطَبَ فقال بعد أنْ حَمَدَ اللهَ وأثنى عليه: "أيها الناس إن الرب رب واحد، والأب أب واحد، والدين دين واحد، **وإن العربية ليست لأحدكم بأبٍ ولا أمٍّ. إنما هي لسان**؛ فمن تكلم بالعربية فهو عربي"[٦].

ونقل ابن تيميةَ أن أبا جعفر" محمد بن علي بن الحسين بن علي، قال: **مَن وُلِدَ في الإسلام فهو عربي**؛ وهذا الذي يُروى عن أبي جعفر؛ **لأنَّ من وُلِدَ في الإسلام فقد وُلِدَ في دار العرب واعتاد خطابها**"[٧]. و" عن أبي هريرةَ يرفعه قال: **مَنْ تكلَّمَ بالعربية فهو عربي**، ومن أدرك له **اثنان في** الإسلام فهو عربي. هكذا فيه، وأظنه ومن أدرك له أبوان"[٨].

وذكر ابن تيميةَ أيضا أنَّ" اسم العرب في الأصل كان اسما لقومٍ جمعوا ثلاثة أوصاف: **أحدها**- أن لسانهم كان باللغة العربية. **الثاني**- أنهم كانوا

---

[٦] شيخ الإسلام، ابن تيميةَ أحمد بن عبد الحليم: اقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق وتعليق الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، ط٢/ ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، ج١/ ص ٤٦٠.

[٧] المرجع السابق: م١/ ص ٤٥٧.

[٨] المرجع السابق: م١/ ص ٤٥٨.

من أولاد العرب. **الثالث**- أن مساكنهم كانت أرضَ العرب وهي جزيرة العرب...، **فلما جاء الإسلام** وَفُتِحَتِ الأمصارُ سكنوا سائر البلاد من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب وإلى سواحل الشام وأرمينية، وهذه كانت مساكن فارس والروم والبربر وغيرهم. ثم **انقسمت هذه البلاد قسمين:** منها **ما غلب على أهله لسانُ العرب** حتى لا تَعرف عامتهم غيره، أو يعرفونه وغيره مع ما دخل على لسان العرب من اللحن. وهذه غالب مساكن الشام والعراق ومصر والأندلس ونحو ذلك، وأظن أرض فارس وخراسان كانت هكذا قديما. **ومنها ما العجمةُ كثيرةٌ** فيهم أو **غالبةٌ** عليهم كبلاد الترك وخراسان وأرمينية وأذربيجان ونحو ذلك. **فهذه البقاع انقسمت** إلى- ثلاثة أقسام- **ما** هو **عربي ابتداء**، وما هو **عربي انتقالا**، وإلى **ما هو عجمي**. وكذلك **الأنساب ثلاثة أقسام: قوم من نسل العرب**، وهم باقون على العربية لسانا ودارا، أو لسانا لا دارا، أو دارا لا لسانا. **وقوم** من نسل العرب، بل **من نسل بني هاشم**، صارت العجمية لسانهم ودارهم، أو أحدهما. **وقوم مجهولو الأصل**، لا يُدْرى: أمِنْ نسلِ العرب هم، أمْ مِن نسلِ العجَم؟ وهم أكثر الناس اليوم، سواء كانوا عرب الدار واللسان، أو عجما في أحدهما.

وكذلك انقسموا في اللسان ثلاثة أقسام: قوم يتكلمون بها **لفظا وَنَغْمَة،** وقوم يتكلمون بها **لفظا لا نغمة،** وهم المُتَعَرِّبونَ الذين ما تعلموا اللغة ابتداءً من العرب، وإنما اعتادوا غيرها، ثمَّ تعلّموها كغالب أهل العلم ممن تعلّم العربية. وقوم **لا يتكلمون بها إلا قليلا**...؛ فإذا كانت العربية قد انقسمت نسبا ولسانا ودارا فإن الأحكام تختلف باختلاف هذا الانقسام خصوصا النسب واللسان.... وما ذَكَرْناه من حكم اللسان العربي وأخلاق العرب **يَثْبت لمن**

كان كذلك، وإنْ كان أصله فارسيا، ويَنتفي عمَّن لم يكن كذلك وإن كان أصله هاشميا"[٩].

وهكذا فإنَّنا **نخلص مما سبق إلى أنَّ اللغةَ** أيا كان جنسُ المتحدثينِ بها– كما جاء عن ابن تيمية– يشكّلُ **أساسا مُهمّا في النسبِ إلى قومٍ أو جماعةٍ أو أمة**، وأنها **مصدرُ الوَحدةِ لأيِّ تجمّعٍ يلهجُ لسانُ أفراده بها**؛ لأنها مستودَعُ ذاكرتِهِ: الحافظةُ لكلِّ ما فيه، والمُعَبِّرةُ عن حاضرِه، ومرآتُهُ الكاشفةُ عن إنتاجِه؛ إنها همزةُ الوصل بين الماضي والحاضر والمستقبل.

وعليه فإن ما جاء عن أسلافنا بشأن أثر اللغة في توحيد المتحدثين بها بل صهرِهم معا نسيجٍ جماعيٍّ متواصلٍ يشكّل إنذارا منبها للمسؤولين العرب إلى خطورة الانسلاخ عن التعليم باللغة العربية في مجالات علميةٍ متنوعةٍ. وإذا كنتُ دوما أكرر قولَ القائل:" **أمةٌ بلا ماضٍ ليست بذي حاضرٍ ولا مستقبل**" فإني أقول في هذا السياق: إن أمةً تنسلخ عن لغتها، أو تستبدلُ بها غيرَها فإنها بهذا الفعلِ الماسخِ لها تتخلى عن نفسِها، وتجعلُ نفسَها ذيلا وعالةً على أصحابِ هذهِ اللغةِ التي اندحرت إليها، بل خادِمةً لهم، مؤتمرةً بأمرهِم المذِلِّ لها في الغالب.

وقد **قلتُ في هذا السياقِ** حاثّا على ضرورةِ الاعتزازِ باللغة، والحفاظِ على خصائصها الموروثةِ على ألسنتهم:(البحر الطويل)

---

[٩] المرجع السابق نفسه: ج١/ ص ٤٥٤– ٤٥٦.

إذا ضَيَّعَ الأبناءُ لِسْنَ جُدودِهِمْ فَإِنَّهُمْ بينَ الأنامِ تَفَرَّعوا
وهاموا على وجْهٍ ذليلٍ صِفاتُهُ هَوانٌ وإخفاقٌ وأمجادَ ضَيَّعوا

وفي مجال الحفاظِ على سلامة خصائص نظامِ اللغة العربية وجدنا أحمد يقول بـ" كراهته أن يتعوَّدَ الرجلُ النطقَ بغير العربيةِ فإنَّ اللسانَ العربيَّ شعارُ الإسلامِ وأهلِه؛ **واللغاتُ من أعظمِ شعائرِ الأمم التي بها يتميَّزون**، ولهذا كان كثيرٌ من الفقهاء أو أكثرُهم يكرهون في الأدعية التي في الصلاة والذكرِ **أنْ يُدْعى الله، أو يُذكرُ بغيرِ العربية**"(١٠).

ونهى **عمر بن الخطابِ**" عن رَطانةِ الأعاجم، وقال: إنها خِبٌّ"(١١)، وجاء في كراهية" الرطانة(١٢) وتسمية شهورهم بالأسماء الأعجمية، قال(١٣) أبو محمد الكرماني- المسمّى بحرب-:(باب تسمية الشهور بالفارسية) قلت لأحمد: فإن للفرسِ أياما وشهورا يُسمّونها بأسماءٍ لا تُعرَف؟ فَكَرِهَ ذلك أشدَّ الكراهة"(١٤).

---

(١٠) المرجع السابق نفسه: ج١/ ص٤٦٢.

(١١) المرجع السابق نفسه: ج١/ ص٤٦٣.

(١٢) جاء عن الخليل في باب الطاء والراء والنون معهما "رطن" الرَّطانةُ: تَكَلُّم الأَعْجميّة. تقول: رأيتهما يَتَراطنانِ، وهو كلّ كلامٍ لا تَفْهَمُهُ العرب". العين ج٧/ ص٤١٣. وقال علقمة الفحل:(البحر البسيط)

يوحي إِلَيها بِإِنقاضٍ وَنَقنَقَةٍ كَما تَراطَنُ في أَفدانِها الرومُ

(١٣) في الأصل" فقال" ولكن السياق يقتضي ما أثبتناه.

(١٤) اقتضاء الصراط المستقيم: ج١/ ص٤٦١. وينظر فيه أيضا كراهية الشافعي والصحابة وغيرهم للرطانة: ج١/ ص٤٦٤- ٤٧٠

وفي هذا السياق رأينا **ابن تيمية** يعلل لحرص العرب على سلامة لغتهم فيقول:" وأما **اعتياد الخطابِ بغير اللغة العربيةِ** التي هي شعارُ الإسلام ولغةُ القرآنِ حتى يصيرَ ذلك عادةً للمِصْرِ وأهله، أو لأهلِ الدار، للرجلِ وصاحبِه، أو لأهل السوق، أو للأمراء، أو لأهل الديوان، أو لأهلِ الفقه، **فلا ريبَ أن هذا مكروه** فإنه من التشبهِ بالأعاجم، وهو مكروه كما تقدّم. ولهذا كان **المسلمون المتقدمون** لمّا سكنوا أرض الشام ومصرَ، ولغة أهلهما رومية، وأرض العراق وخراسان، ولغة أهلهما فارسية، وأهل المغرب، ولغة أهلهما بربرية – **عوّدوا أهل هذه البلاد العربيةَ** حتّى غلبت على أهل هذه الأمصار: مسلِمِهم وكافِرِهم، وهكذا كانت خراسان قديما. ثمَّ إنهم تساهلوا في أمر اللغة واعتادوا الخطاب بالفارسية حتى غلبت عليهم، وصارت العربية مهجورةً عند كثيرٍ منهم، ولا ريب أن هذا مكروه"[١٥].

ويرى ابن تيميةَ أن" الطريقَ الحسنَ اعتيادُ الخطابِ بالعربيةِ حتى يُلَقَّنَها الصِّغارُ في المكاتبِ وفي الدّور؛ فيظهرُ شعارَ الإسلامِ وأهلِه، ويكون ذلك أسهلَ على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسُّنّة وكلام السلف، بخلافِ من اعتاد لغةً ثمَّ أرادَ أن ينتقلَ إلى أخرى فيَصعب. واعلم أن اعتياد اللغةِ يؤثرُ في العقل والخُلُق والدين تأثيرا قويا بَيِّنا، ويؤثرُ أيضا في مشابهةِ صدرِ هذه الأمةِ من الصحابةِ والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقلَ والدينَ والخلُق"[١٦].

---

[١٥] المرجع السابق نفسه: ج١/ ص ٤٦٨– ٤٦٩

[١٦] المرجع السابق نفسه: ج١/ ص ٤٦٩.

إن **هذا الفهم** لصلةِ اللغة- أيّ لغة- بأهلِها وأثرِها فيهم **يجعلني أقف عند أمرين:**

*** **الأمـرُ الأولُ** يتشبثُ فيه أهلُ اللغة بلغتهم، ويسعَوْنَ إلى تَنميتها وترقيتها؛ وذلك بِجَعْلِها بِطاقاتِها الذاتيةِ قادرةً على تنميةِ نفسِها، والتعبيرِ بلفظِها وتركيبِها عن متطلباتِ منجزاتِ العلومِ والفكرِ والفنِّ ومستجِداتِ الحضارةِ والتَّقْنياتِ وغيرِها.

*** **والأمرُ الآخَرُ** فَهو يَتَمَثَّلُ في حِرْصِ الأعداءِ المخططينَ لسلبِ هويةِ غيرِهم على إضعافِ اللغةِ الأمِّ للشعوبِ المغتَصَبةِ، وإرغامِهم بوسائلهم المتعددةِ إلى نبذِها واستعمالِ لغتِهم الدخيلة؛ ليكونوا لهم تَبَعا في كلِّ شيء.

ويجدر بنا في هذا السياقِ أن نشيرَ إلى أن **العرب قد عايشوا هذين الأمْرينِ** أو السياقين: **سياق الحفاظِ الفطْريِّ** النابعِ من حبهم للغتهم التي تعبر عن هويتهم المميزةِ لهم، **وسياقِ الدفاعِ عنها** ولاسيما في العصرِ الحديثِ، وذلك بالوقوفِ في وجهِ محاولاتِ الكائدين للعروبةِ والساعينَ إلى إضعافِها؛ وصولا إلى طَمْسِها.

١- سياقات مرحلةِ الحفاظِ الفطري:

نودُّ في هذا المقامِ من الدراسةِ أنْ نُذكّرَ الخلَفَ العربيَّ بجهودِ أسلافِهِ الميمونةِ في الحفاظِ على نقاءِ عروبةِ لغتهم، وَوَحدةِ لفظِها وتركيبِها؛ ففي سبيلِ هذه الغايةِ **حَرَصوا** على إقامةِ **الأسواقِ الأدبيةِ** التي أتاها الفصحاءُ والبلغاءُ من الشعراءِ والخطباءِ والمفكرين من كلِّ حَدَبٍ وَصَوْبٍ في جزيرة العرب، وسَعَوا جادّينَ إلى الحفاظِ على تواصلِهم ببعضهم بعضا في **رحلتي**

الشتاء والصيف وغيرِهما؛ الأمر الذي انعكس في توحدِ لسانهم في لغةٍ عربيةٍ مشترَكةٍ فصحى تَغَلَّبوا بها على مَظاهرِ الخلافِ اللفظيِّ والدّلاليِّ في لغات قبائلِهم؛ أعني لهجاتِهم(١٧).

ونشطوا في سبيلِ المحافظةِ على لسانهم العربي الفصيح في **مجالاتِ تربية ناشئتِهم** منذ نعومةِ أظافيرِهم، وكان من أوضح مظاهرها إرسالُهم إلى أهلِ الباديةِ؛ ليرضعوا الفصاحةَ مع لبنِ نسائهم، ولنا في تربية رسولنا الكريم في ديار بني سعدٍ، وتربيته الأولى في بيت حليمةَ السعديةِ خيرُ شاهدٍ ومَثَل.

وفي سياقِ فضلِ اكتسابِ اللغةِ الفصحى منذ الصِّغر نسوق نصا مهما منسوبا للسانِ **رسولِنا الكريمِ محمدٍ** يشير فيه إلى طريقة العرب في العصرِ الجاهلي في تربيةِ أبنائها على الفصاحة منذ الصِّغر؛ **قال** معززا الأخذَ بهذا المنهج اللغوي الفطري: " أنا أفصح العرب مَيْدَ أَنّي من قريش، وأني نشأتُ في بني سعدِ بن بكر"، وفي روايةٍ أخرى" أنا من قريش ونشأتُ في بني سعد فأنّى ليَ اللحن!"(١٨).

---

(١٧) بحثتُ في معجمات اللغة القديمة على جمع كلمة" اللهجة" فلم أعثر عليها، ولكني وجدتها في المعجم الوسيط" الذي أعده مجمع اللغة العربية في القاهرة، مطابع الأوفست بشركة الإعلانات الشرقية، ط٣، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، ج٢/ ص ٧٣٦+ ٩٣٣، ينظر صدر باب القاف في الإشارة إلى لهجات نُطق القاف، ومادة (ن. ب. ر).

(١٨) أبو الطيب عبد الواحد بن علي الحلبي: مراتب النحويين، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط٢/ ١٣٧٤هـ- ١٩٧٤م، ص٢٣+ ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: الصاحبي، تح. السيد أحمد صقر، دار

كما وَجَّهوا أبناءَهُمْ إلى **حفظِ الكلامِ البليغِ** من شعرٍ ونثر، **وصحبةِ البلغاءِ** من الشعراءِ والخطباء، **وأعلَوا مكانةَ نوابغِهم** في فنِّ القول، وأقاموا لهم الأعراسَ والولائمَ؛ احتفاءً بهم؛ فالشاعر والخطيبُ والمفوّهُ في المجالسِ كلُّهم رُسُلُهمُ المعبّرةُ لسانا عنهم عند الآخَرين، ورافعي رايةِ فصاحتِهم، ومُبَيِّني مكانتَهم وقوتَهم بينهم.

وقد جاء في هذا السياق عن ابن رشيق(ت. ٤٥٦هـ) في صدرِ" **باب احْتِماءِ القبائل بشعرائها**" قولُهُ:" كانتِ القبيلةُ من العرب **إذا نبغ فيها شاعر** أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الأعراس، ويتباشر الرجال والوِلْدان؛ لأنهُ حمايةٌ لأعراضهم، وذبٌّ عن أحسابهم، وتخليدٌ لمآثرهم، وإشادةٌ بذكرهم. وكانوا **لا يُهَنَّئُون إلا بغلامٍ يولد**، أو **شاعرٍ ينبُغُ فيهم**، أو **فرسٍ تُنتج**: فممَّن حمى قبيلته **زياد الأعجم**، وذلك أنَّ الفرزدقَ همَّ بهجاءِ عبد القيس، فبلغ ذلك زيادا وهو منهم؛ فبعثَ إليه: لا تَعجَلْ، وأنا مُهْدٍ إليك هديةً فانتظرَ الفرزدق...، فلما بلغته

إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي، ١٩٧٧م، ص ٤١+ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح. محمد الفضل إبراهيم وآخرين، مكتبة دار التراث، مصر، ط٣/ د. ت، ج١/ ص ٢٠٩- ٢١٠+ ج٢/ ص ٣٩٧+ ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي: لسان العرب، دار إحياء التراث العربي- مؤسسة التاريخ العربي/ بيروت- لبنان، ط٣/ ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م: مادة(بيد) ج١/ ص٥٤٩، مادة(ميد) ج ١٣/ ص ٢٣١.

الأبياتُ كَفَّ عمّا أراد، وقال: لا سبيل إلى هجاءِ هؤلاءِ ما عاش هذا العبدُ فيهم"[١٩].

استمرَّ هذا التقليدُ التربوي حيّا ووسيلةَ القبائلِ العربيةِ في الحفاظِ على سلامةِ فصاحةِ اللسانِ العربيِّ حتى وقتٍ متأخرٍ ليسَ ببعيدٍ عن عَصْرِنا؛ فها نحن قد قرأنا في معجم البلدان **لياقوت الحموي**(ت. ٦٢٦هـ) في عرضه لكلمة(عكْوَتان) [٢٠] يقول": وجبلا عَكادٍ فوق مدينة الزرائب، **وأهلها باقون على اللغة العربية من الجاهلية إلى اليوم، لم تتغير لغتُهم؛ بحكم أنهم لم يختلطوا بغيرهم من الحاضرة في مناكحتهم، وهم أهلُ قَرارٍ لا يظعنون عنه ولا يخرجون منه**"[٢١]. وجاء عن **الفيروز آبادي**(ت. ٨١٧هـ) قوله:" سَحَابٍ: جَبَلُ قُرْبَ زَبِيدَ **أَهلُها باقِيَةٌ على اللُّغةِ الفَصِيحةِ**"[٢٢]. وقرأنا **الزَّبيدي**(ت. ١٢٠٥هـ) يستفيد من سابقيه ويضيف قائلا: "وعَكادٌ، كسَحابٍ: جَبَلُ باليَمَنِ، قُرْبَ مَدِينةِ زَبِيدَ حَرَسَها اللهُ، وسائرَ بِلادِ الإسلام، أَهلُها باقِيَةٌ

---

[١٩] ابن رشيق، أبو علي الحسن القيروانيّ الأزدي: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده(ج١)، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، ط ٥/ ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، ج١/ ص ٦٥.

[٢٠] قال ياقوت:" عُكْوتان بضم أوله، وسكون ثانيه بلفظ تثنية عكوة، وهو أصلُ الذنب، وقد تُفتح عينه". ينظر، الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، دار صادر- بيروت، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م، م٤/ ص ١٤٣.

[٢١] المرجع السابق: م٤/ ص ١٤٣.

[٢٢] الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة- إشراف محمد نعيم العرْقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط ٨/ ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، مادة(عكد)، ص ٣٠١.

على اللُّغةِ الفَصيحةِ **إلى الآن، ولا يقيمُ الغَريبُ عندهم أَكثرَ من ثلاث ليالٍ؛ خوفا على لسانِهم**"[٢٣].

أقول: استمرت العنايةُ باللغة بعد العصر الجاهلي؛ وكان نزولُ القرآن بلغةِ العربِ بمثابةِ ربيعٍ منتجٍ أثمرت فيه العربيةُ ونَضِجَت، وصارت لغةَ العلوم والحضارةِ والسلطةِ التي يطمع الناسُ في التقربِ إلى أهلها؛ فيتعلمون لغتَهم؛ إضافةً إلى أنها لغةُ الدينِ الجديدِ الذي آمنوا به.

وفي هذا السياقِ لابد لنا من أن ننوهَ **بحرصِ الرسولِ (ρ) وحكامِ المسلمين** من بعدهِ على سلامةِ لغتهم، ولغةِ حاشيتهم، وعدمِ اللحنِ فيها؛ فقد ذكر كُتّابُ التراجم" أنَّ أولَ ما اختلَّ من كلام العرب، وأحوجَ إلى التعلم الإعراب؛ لأن اللحن ظهر في كلام الموالي والمتعربين من عهد النبي عليه الصلاة والسلام، فقد روينا أن رجلا لَحَنَ بحضرته؛ فقال:" أرشدوا أخاكم فقد ضلَّ"، وقال **أبو بكر:** "لِأَنْ أقرأَ فَأُسْقِطَ أحبُّ إليَّ من أنْ أقرأَ فألحن"[٢٤].

ورُوِيَ أن **عمرَ بنَ الخطاب** مرَّ على قومٍ يُسيئون الرمي فغضب وقرّعهم قائلا: "ما أسوأَ رميَكم**!**"، فقالوا:" نحن قومٌ **متعلمين**"، فأعرضَ غاضبا، وقال: " لَحْنُكُم أشدُّ عليَّ من فساد رميكم، **سمعت رسول الله (ρ)** يقول: "**رحِمَ اللهُ امْرَاَ أصلَحَ من لِسانه**"، وكان **ابنُ عمرَ** يضرِبُ بنيهِ على

---

[٢٣] الزَّبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، تح. الدكتور عبد العزيز مطر، راجعه عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ط٢/ ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، مادة(عكد)ج٨/ ص ٤٠٥.

[٢٤] الخصائص: ج٢/ ص٨+ مراتب النحويين: ص٢٣+ المزهر: ج٢/ ص٣٩٢.

اللحن"[٢٥]. وكذلك كتبَ إلى أبي موسى الأشعري:" سلامٌ عليك، أمّا بعدُ، فاضرِبْ كاتبَكَ سوطا واحدا، وأَخِّرْ عطاءَهُ سنة"[٢٦]، وفي روايةٍ أخرى" قنِّعْ كاتبَكَ سوطا"[٢٧].

وجاء عن **عمرَ بنِ عبدِ العزيز**(ت. ١٠١هـ) في مقام نفوره من اللحن قولُه:" إن الرجلَ لَيكلِّمني في الحاجةِ يستوجبها فيلحَن فأردُّه عنها، وكأنني أقضَمُ حَبَّ الرُّمّانِ الحامض؛ لِبغضي استماعَ اللحن، ويُكلِّمني آخَرُ في الحاجةِ لا يستوجِبُها فَيُعْرِبُ فأجيبُهُ إليها؛ التذاذا لِما أسمعُ من كلامِه"[٢٨]. وقال أيضا:" أكاد أَضْرَسُ إذا سمعتُ اللحن"، ولَحَنَ محمد بن سعد بن أبي وقاص في بعض الأوقات لَحْنَة، فقال:" حَسِّ، إني لَأجدُ حرارَتَها في حَلْقي"[٢٩].

وجاء عن ابن قتيبة(ت. ٢٧٦هـ) أن **مَسْلَمَةَ بن عبد الملك** قال في ذمِّ اللحن في الكلام:" **اللحن في الكلام أقبح من الجُدَرِيِّ في الوجه.** وقال **عبدُ الملك**- بنُ مروان الخليفة الأُموي- اللحنُ في الكلام أقبح من

---

(٢٥) ابن الأنباري، محمد بن القاسم: كتاب الأضداد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية- صيدا/ بيروت، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، ص٢٤٤.

(٢٦) مراتب النحويين: ص ٢٣.

(٢٧) الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى: أدب الكتاب، المكتبة العربية- بغداد، المطبعة السلفية بمصر- القاهرة، ١٣٤١هـ، ج٢/ ص١٢٩.

(٢٨) كتاب الأضداد: ص٢٤٤- ٢٤٥.

(٢٩) المرجع السابق: ص٢٤٥.

التفتيق في الثوب النفيس"[٣٠]. وحين" قيل له-كما جاء عنِ ابنِ عبدِ ربِّه (ت. ٣٢٨هـ)-:" لقد عَجِلَ عليك الشيبُ يا أميرَ المؤمنين! قال: شَيَّبَني ارتقاءُ المَنابر وتَوَقُّعُ اللحْن"[٣١].

هذا ويطول بنا الاستشهادُ في المواقف التي تشير إلى نفورِ أهل العربيةِ، وتَقَزُّزِهم من اللحن، وحرصِهم على عدم الوقوعِ فيه، واجتهادِ علمائهم في **تحسسِ العلاجِ الواقيَ** لهم من الوقوعِ في براثن اللحن وإعدادِهم العُدَّةَ اللغويةَ لدرئه، وكان منها أيضا **وضعُهم العلومَ الهاديةَ** لهم إلى صوابِ نطقِ اللغة، وها هو أبو الأسود الدؤلي(ت. ٦٩هـ) يَهمُّ بوضع علم النحو عندما ظهر له اللحنُ على لسان ابنته[٣٢]، وفي روايةٍ أخرى عندما" سمع رجلا يقرأ:(أنَّ اللهَ بريءٌ من المشركينَ ورسوله) بكسر اللام؛ فقال: لا أظنُّ يَسَعُني إلا أنْ أضعَ شيئا أُصلِحُ به نحوَ هذا، أو كلام هذا معناه؛ فوضع النحو"[٣٣].

---

[٣٠] ابن قُتَيْبَةَ الدّينَوَرِيّ، أبو محمد عبد الله بن مسلم: عيون الأخبار، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٩٦م، ج٢/ ص ١٥٨.

[٣١] وجاء فيه أيضا أن عبد الملك بن مروان قال:" اللحن في الكلام أقبح من التفتيق في الثوب، والجُدَرِيِّ في الوجه"، وكما يلاحَظ فإن ابن عبد ربه الأندلسي(ت. ٣٢٨هـ) روى قول الخليفة عبد الملك بدون كلمة" النفيس": صفة الثوب وكذلك نسب له قول مَسلمة بن عبد الملك، الذي قال فيه:" اللحن في الكلام أقبح من الجُدَرِيِّ في الوجه" العقد الفريد: ج٢/ ص ٣٠٨.

[٣٢] الزُّبيدي الأندلسي، أبو بكر محمد بن الحسن: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٣م، ص ٢١.

[٣٣] مراتب النحويين: ص ٢٦.

وكذلك كان **لوقوع بعض العلماء في اللحن** أثرٌ في التوجهِ إلى دراسةِ النحو، ويأتي سيبويهِ- وكان من دارسي الحديث- في مقدمةِ يُستشهَدُ به مَنْ في هذا السياق، حيثُ وقع لسانُهُ في زَلَّةِ اللحنِ في أحد مجالس العلم؛ فقد ذُكِرَ عنه أنه" قَدِمَ البصرةَ ليكتب الحديث، فلزم حلقة حمادِ بْنِ سلمة، فَبَيْنا هو يستملي على حماد قول النبي (ρ):(ليس مِن أصحابي إلَّا مَن لو شئتُ لأخذتُ عليه ليس أبا الدرداء)؛ فقال سيبويه:(ليس أبو الدرداء)؛ فقال حماد: لحنت يا سيبويه، ليس هذا حيث ذهبت، وإنما(ليس) ههنا استثناء؛ فقال: سأطلب علما لا تُلَحِّنُني فيه. فَلَزِمَ الخليلَ فبرع"[٣٤].

وإذا كانت اللغة- كما هو معروف- تُكْتَسَبُ بالسماعِ والدّربة فقد كان بَدَهِيًا أنْ يتنبه حكماء الأمة العربية إلى أثر **السماع السلبي** في إفساد فصاحة العربية لغةِ لسانهم ودينهم، وفي هذا المقام وجدنا مستنيريهم في اللغة يَهُبّونَ للذَّودِ عن سلامةِ لغتهم، وبيان مصدر إفسادها وموقعَه؛ يقول أبو الطيب اللغوي في **التأريخ لأول ظهور اللحن** في الألسنة ومصدره: " اعلم أن أول ما اختلَّ من كلام العرب فأحوجَ إلى التعلُّمِ الإعرابُ؛ لأن اللحنَ ظهر في كلام المُوَلَّدين والمتعرِّبينَ من عهد النبيِّ "[٣٥].

وأكّد الزُّبيديُّ الأندلسيُّ هذا التعليلَ الذي قدّمه أبو الطيب اللغوي المشرقي حين قال: "ولم تزل العرب على سجيتها في صدر إسلامها وماضي

---

[٣٤] طبقات النحويين واللغويين: ص٦٦، وتنظر هذه الرواية في: ابن الأنباري أبو البركات: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، قام بتحقيقه الدكتور إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار- الزرقاء/ الأردن، ط٣/ ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، ص ٥٤.

[٣٥] المصدر السابق: ص ٢٣.

جاهليتِها حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان؛ فدخلَ الناسُ فيه أفواجا، وأقبلوا إليه أرسالا، واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة، واللغات المختلِفة؛ ففشا الفساد في اللغة والعربية، واستبان منه في الإعراب الذي هو حِلْيَتُها، والمُوَضّح لِمعانيها؛ فَتَفَطَّنَ لذلك مَنْ نافَرَ بطباعِهِ **سوء فهم الناطقين من دخلاء الأمم** بغير المتعارَف من كلام العرب؛ فَعَظُمَ الإشفاقُ من فُشُوِّ ذلك وغَلَبته؛ حتى دعاهمُ الحذَرُ من ذهاب لغتهم، وفسادِ كلامهم، إلى أنْ سبَّبوا الأسباب في تقييدها لمن ضاعت عليه، وتثقيفِها لمن زاغت عنه. فكان أولَ مَنْ أَصَّلَ ذلك وأعمَلَ فكرَهُ أبو الأسودُ ظالم بن عمرو الدؤلي، ونصر بن عاصم، وعبد الرحمن بن هُرْمُز؛ فوضعوا للنحوِ أبوابا، وأصَّلوا له أصولا"[٣٦].

وفي سياقِ الحفاظِ على سيادةِ اللغةِ العربية قرأنا" عن عمرَ بنِ زيد قال: كتب عمر إلى أبي موسى **(τ)**: (أما بعد، فتفقهوا في السّنّة، **وتفقهوا في العربية، وأعربوا القرآن؛ فإنه عربي)**. وفي حديثٍ آخرَ عن عمرَ **(τ)** أنه قال:(**تعلموا العربيةَ فإنها من دينكم**، وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم)، وهذا الذي أمر به عمرُ **(τ)** من فقه العربية وفقه الشريعة يجمع ما يحتاج إليه؛ لأن الدين فيه أقوالٌ وأعمال؛ **ففقه العربية هو الطريق إلى فقه أقواله**، وفقه السُّنّةِ هو فقه أعماله)[٣٧].

ونَنوهُ في هذا السياق **بدورِ حكام دولةِ بني أميةَ** الذين أَرْسَوا دعائمَ **دواوينِ الدولة العربية الإسلامية** التي لم يكن للعرب عهدٌ بها من قبل، حيثُ

---

[٣٦] طبقات النحويين واللغويين: ص ١١.

[٣٧] اقتضاء الصراط المستقيم: ج١/ ص ٤٦٩- ٤٧٠.

قاموا بتعريبِ أنظمتها ومصطلحاتِها الإدارية، وبدأوا **بترجمة العلوم** التي نَمت وازدهرت حركتها في **عصر بني العباس**، وبذلك كان **لحكامِ الدولتين وغيرِهم** ممن تَقَلَّبَ على الحكم في التاريخ العربي الإسلامي **أَثَرٌ في سلامةِ اللغة العربيةِ وتعليمِها**؛ فقد كانوا يَحرِصونَ على سلامتِها في خِطاباتهم وأحاديثهم، ويختصون أبناءهم بمعلميها، **وقرّبوا إليهم العلماءَ والأدباءَ والمترجمينَ**(٣٨) وأغدقوا عليهم من عطاياهم؛ حفزا لهم على الإنتاج.

وكان مما رُوِيَ في سياقِ الحفاظِ على اللغة العربية الفصحى أيضا **حِرْصُ علمائها** عندما قاموا بجمعها على قاعدةِ **عدمِ الاعترافِ باللغاتِ- اللهجات- في كتبهم ومعجماتهم**، ونصوا على ظواهرها؛ دعوةً إلى تجنبِها في الاستشهادِ على كلام العرب الفصيح، ولم يحتجوا بها، **واكتفوا في تقعيدهم للقواعدِ بما ثبتت صحتُهُ**، وصدورُهُ عن العربيِّ القُحِّ الذي يعيشُ في قلب الجزيرة العربيةِ حتى زمنٍ معينٍ: عُرِف مصطلحا بزمن الاحتجاج. **ووضعوا العلومَ اللغويةَ؛ صيانةً لها، وتوصيلَ متنِها** للناشئةِ من العربِ وغيرِهم مضبوطةَ القواعد، واضحةَ العَرْضِ.

وكذلك وجدناهم نفورا من الألفاظِ الأجنبيةِ الوافدةِ **يطلقونَ** مصطلحي" **الدخيل**" و" **الأعجمي**" عنوانينِ دالَّيْنِ عليها، ووجدناهم أيضا ينصون على أصولها الأجنبيّةِ، كأنْ يقولوا: لفظٌ فارسي- هندي- سُرياني...إلخ؛ تمييزا لهذا الوافدِ الأجنبيِّ عن الكلامِ العربي الصِّرْف. **ووجدناهم**- حَثًّا على الإنتاجِ

---

(٣٨) ينظر بالتفصيل كتاب أستاذنا الدكتور الشحات السيد زغلول: السريان والحضارة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب- فرع الإسكندرية، ١٩٧٥م.

والبحثِ عن بديلٍ عربيٍّ- **يطلقون على العلومِ الوافدةِ** كالطبِّ والصيدلةِ والفلسفة مصطلح" **العلوم الدخيلة**" أو" **العلوم النقلية**"، **ويستعينون بالتراجمةِ** السريان الذين يعرفون العربية لترجمةِ متون مصنفاتِ هذه العلوم إلى لغتهم.

وفي هذا السياقِ قرأنا كيفَ **خاضت العربيةُ تجاربَ مثمرةً في النقلِ أو الترجمةِ والتعريبِ** في ظلِّ **عهد العباسيين** الذين أظهرَ علماؤه من العرب والمسلمينَ نجاحا واضحا في **استيعاب ما عَرَّبوه** من علومِ حضاراتِ اليونان والفرس والهنود في الطبّ والكيمياء والفلسفة والمنطق والحساب. وفي أيام **حكم المماليكِ والعثمانيينَ** للعالم العربي ظهر **تأليف المُدَوّناتِ بل الموسوعاتِ الشاملةِ** في مختلِفِ مجالاتِ علومِ العربِ والإسلامِ حفاظا على هذا الموروثِ.

وكرر أسلافُنا من علماءِ العربيةِ المحدَثين تعريبَ العلومِ وغيرِها منذ بداية العصر الحديث في مصرَ وسوريةَ ولبنان والعراقِ والجزائرِ وغيرها، وكذلك استعملوا مصطلحاتِ سابقيهم الدالةَ على غربةِ اللفظِ الوافد، **وأضافوا إليها مصطلحات**" الإفرنجي" و" الأجنبي" و" الغربي"، و" اللاتيني" والإيطالي...إلخ.

وكذلك عملوا على **تقريب العاميةِ من الفصحى**، و**تيسيرِ مُتون علومها** الصرفية والنحوية والبلاغية، و**تهذيب معجماتها**، و**نشرِ التراثِ** وَفق مناهج التحقيقِ الحديثة، و**الإضافةِ إلى متنها** ألفاظا وتراكيبَ ومصطلحاتٍ مَقيسةٍ دعت الحاجةُ إليها، وقدمت **المجامعُ والجمعياتُ** الأدبيةُ واللغويةُ والطبيةُ والعلميةُ والتقنيةُ **وما تزال** جهودا محمودةً في هذه المجالاتِ وغيرها.

٢- سياقات مرحلةِ الدفاعِ عن العربية:

رأينا كيف حافَظَ أسلافنا على لغتهم العربيةِ الفصيحةِ عَبْرَ العصورِ المختلفة بوازعِ ارتباطهم الفطريِّ بها، وكذلك كان حالُهم ولاسيما في العصر الحديث في مواجهاتهم للمغتصِب الغربيِّ الذي سعى إلى **إفنائها؛ لإحلالِ لغاته وحروفِ كتابتِهِ** مَحِلَّها؛ فَدعا في جانبٍ من جوانبِ هدمِ أركانها الفصيحةِ إلى **الدعوةِ إلى العاميةِ**، و**الكتابةِ باللاتينية**، وما يزال يسعى إلى هذه الغايةِ الخبيثةِ من خلالِ **تيسيرِ سُبُلِ تَعلُّمِ لغاته**، ولاسيما الإنجليزية في بلاد المشرقِ العربي، والفرنسية والإسبانية في بلاد المغربِ العربي، وأقام لهذه الغاية الاستعمارية التي تهدف إلى ربط شعوبِ هذه البلدان به لسانيا وثقافيا **تكتلاتٍ وتحالفاتٍ قائمةً على لغتِهِ في التوحد.**

وقرأنا في هذا السياقِ كيف **وقَفَ علماء العربيةِ ومفكروها فُرادى وجماعاتٍ** في مجامعَ لغويةٍ وغيرِها في وجهِ هذه المخططاتِ الماكرةِ التي تبغي إذابةَ الهويةِ اللغويةِ العربية، **فكشفوا** عن أهدافها، وأبطلوا حُجَجَها، وذلك من خلالِ دراساتٍ علميةٍ تحدثت عن خطر هذه الدعواتِ في قضمِ اللغة العربية، وَرَدَّتْ حُججَ أصحابها إلى نحورهم، وكذلك بحثت في خصائصِ العربية ومزاياها، وأبانت- من خلالِ مقارناتٍ علميةٍ بينها وبين هذه اللغاتِ وغيرها من لغات الفصيلة اللاتينية- أنَّ العربيةَ تتفوقُ عليها في كثيرٍ من الخصائص، ولاسيما في ثباتِ أكثرِ خصائصِها التي تربطُها بماضي أهلها التليد، وذلك بخلافِ غيرها من تلك اللغات التي بَعُدَتِ الشُّقَّةُ بينها وبين أصولها.

وكذلك أبانت هذه الدراسات **أن الكتابةَ العربيةَ صالحةٌ لتصويرِ اللغة العربيةِ**، وأنها آيةٌ في الجمال، حيث شكّلت أنواعُ خطوطها بأشكالها الزخرفيةِ المتنوعة آياتٍ معماريةً فنيةً بديعة الصَّنعة، وأن ما يتهمونها به من بعضِ عُيوبٍ زورا وكيدا لا يَعْني أنَّ غيرَها خاليةٌ منها؛ فهذا عالمُ اللغةِ الفرنسيةِ فندريس مثلا يُقِرُّ بعدمِ خُلوِّ أنظمةِ الكتابةِ لجميعِ لغاتِ العالم من قصورٍ في تصويرِ المنطوق، وذلك حين قال:" لا يوجَد شعبٌ لا يشكو منهُ، إنْ قليلا وإنْ كثيرا. غير أن ما تعانيه الفرنسيةُ والإنجليزيةُ من جرائهِ قد يفوقُ ما في غيرهما، حتى أنَّ بعضَهم يَعدُّ مصيبةَ الرَّسمِ عندنا كارثةً وطنية[٣٩] وأن" التبايُنَ بين الفرنسيةِ الكتابيةِ والفرنسيةِ الكلامية لا يزدادُ مع الأيام إلا اتساعا"[٤٠].

وباختصارٍ فإن اللغةَ العربيةَ مرت في تاريخها الطويل بتجاربَ عديدةٍ تجمع بين التنميةِ والازدهار؛ ومرارةِ التآمرِ؛ ومواقفِ الصَّدِّ للاتهاماتِ والمؤامرات التي خاضها غُيُرِ أبناءِ لغةِ الضادِ في وجهِ كلِّ المحاولاتِ لإضعافِها أو نبذِها أو استبدالها؛ وصولا إلى تقويتِها وتنميتِها بِمَدِّها بالجديدِ الذي يجعلها متجددةً ناميةً تلبي متطلبات أهلها في التعبير عن مستجداتِ الحياةِ الحديثة في مختلِفِ المجالات العلمية والطبيةِ والتقنية والحضارية.

ومع هذا فإن العربية ما تزال تعاني من مشكلاتٍ ليست هي سببَها؛ فليس لِلُّغةِ– أيِّ لغة– يدٌ فيها، **وكما أرى فإن من أهم أسباب هذه المعاناة:**

---

[٣٩] فندريس، جوزيف: اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، ط١/ ١٩٥٠م، ص ٤٠٥.

[٤٠] المصدر السابق: ص٤١٣.

١- **ضـعْفُ العـربِ اليـوم** فـي مجـالات الاختـراعِ والقـوةِ العسـكرية، وشعورُهم بهذا الضعفِ بل بالانهزاميةِ أمام الأجنبي، وهو ما يكشفُ عنه مَثَلُهم القائل" **كلّ إفرنجي ابرنجي**": إنه مَثَلٌ يُعَبِّرُ عن الإعجاب بكلِّ ما هو أجنبيّ. وهو الإعجابُ الذي جلَبَ لهم الضعفَ والتراجعِ في مختلِفِ جوانبِ حيواتهم، وأهمها الجانبُ النفسي، **وهو شعورُهم بالنقص وقلةِ الحيلة**؛ الأمر الذي يتجلى أثره في تغلغل الأجانب فيهم من خلال مؤسساتٍ يُغدقونَ على برامجها وأنشطتِها المالَ الوفيرَ؛ لجلبِ الشبابِ العربيِّ النابغِ إليهم. وهي في ظاهرها نبيلةُ الأهدافِ التي تعود بالفائدة والمنفعة لهم ولمن ينفقون عليهم، ولكنَّ باطنَها استنطاقُ فكْرِهم وعلْمِهم، وتمزيقُ التواصلِ العربي، ونفيُ شعورِ الغَيْرَةِ على لغةِ العروبةِ وقيمِها الوَحدويةِ الرابطة لأبنائها؛ الأمر الذي **دفعَ** نفرا من بني العروبةِ إلى الركونِ للراحةِ والانصراف عن الترجمة إلى الترويجِ لاستعمالِ لغةٍ أجنبيةٍ لغةً للتعليم في أعقارِ مدارسنا وجامعاتنا، ليس فقط في التخصصات الطبية والعلمية والتقنية، وإنما امتدَّ ليشملَ التدريسَ بلغةٍ أجنبيةٍ في تخصصات المحاماة والإدارةِ والاقتصادِ والإعلام.

وكذلك أغرى كثيرا من تجارِنا ومستثمرينا إلى تسميةِ محلاتِهم ومنتدياتِهم وملاهيهم ومدارسِهم ومراكزِهم التعليميةِ الأهليةِ بتسمياتٍ أجنبيةٍ، وكتابتِهم لها بحروفٍ وأرقامٍ أجنبيةٍ، إضافةً إلى رسمِ النقوشِ والزخرفةِ على صُدورِ الملابس أو ظهورها بحروفٍ وأرقامٍ وصورٍ أجنبيةٍ غريبةٍ عن مخزونِ ثقافتنا العربية؛ لأنها كثيرا ما تعبِّر عن مضامينَ تستخفُّ بخصائصِ فِكْرِنا، وَتهدفُ إلى تشويهِ هُويتِنا العربية الشرقية بصفةٍ عامة.

وتتجلى ظاهرة **الهيمنة اللغوية الأجنبية في بعض الدول العربية**، كدول شبه الجزيرة العربية، ولاسيما ما يُعرف منها بدول الخليج التي يتعلم أطفالها الإنجليزية مختلفةِ الرطانات في رياضِهم: المؤسسة التربوية الأولى لناشئة العرب، وكذلك دول المغرب العربي في تونس والجزائر والمغرب التي يجيدُ أكثرُ مواطنيها اللغة الفرنسية.

أقول: إذا كنا في العصرِ الجاهلي وما تلاه من عصورِ العربِ الزاهيةِ نحتفي بنوابغ امتلاكِ أزِمَّةِ الفصاحة وما نزال، فإن مِن بني جلدتِنا اليومَ مَن يحتفي بمن يجيد لغةَ غيرنا، ويفرِشُ له بُسُطَ العملِ الحمراء. ويذهب الشططُ بنفرٍ من هؤلاءِ بعيدا حين يُسخِّر لسانه للسخريةِ من لغته الأم، ويصفُها بالنقص والعجز، أو نراه يترحمُ على أيامِ عصر الفصاحة مُرَوِّجا لاستيطانِ العُجمةِ فينا، مُغْفِلا أنَّ الفخرَ بلغة العرب كان وما يزالُ حقيقةً لا يشكِكُّ فيها أحد، وأنَّ أمتَها العربيةَ أمةٌ دَرَجَ العلماءُ والنقادُ والأدباءُ على وصفِها بأنَّها أمةٌ ذاتُ بيان.

٢- **الصراعُ العدوانيُّ** المُصِرُّ أهلُهُ على التغلبِ على العرب وتفتيتِهم؛ لِجعْلِهم تبعا لهم في هويتهم اللغوية، فهناك اليوم أصحاب" **العولمة**" الذين يسعونَ إلى إخضاعِ سكانِ العالَمِ لسلطةِ القطبِ الواحد، فترى أهلوها ينفثون في غيرِهم تأثيراتِهم السالبةَ للهوية والسيادةِ اللغويةِ والثقافيةِ والاقتصاديةِ وغيرِها، والمبعدةَ لهم عن جذورهم التراثيةِ والفكريةِ التي تميزوا بها في عصورهم السابقة.

وهناك المغتصبون القدامى المتمثلون في الإنجليز والفرنسيين والإسبان الذين أرادوا استثمارَ العولمةِ للعودةِ إلى هيمنتهم على شعوبٍ كانت أراضيهم ومقدراتُهم مغتصباتٍ يجنونَ – هم– خيرَها؛ فأنشأوا تكتلاتٍ وتحالفاتٍ معهم قائمةً على اللغة، فكانت الأنجلوفونيةُ والفرانكفونيةُ والإسبانوفونية آمالَهم وسُبُلَهم لإعادةِ هيمنتِهم على شعوبٍ فَقَدَ بعضُ أبنائها عقلَه حين يجد في عدوٍّ قديمٍ صديقا وحليفا مُنْقِذا، وأغفل أنه صمم مصطلحا جديدا هو مصطلح" العولمة" الذي استبدله بمصطلح" الاغتصاب"، أو" مصطلح" الاستعمار"؛ ليُطْبِقَ سيطرتَهُ عليهم وعلى أمثالهم(٤١).

---

(٤١) هذا المصطلح خبيثٌ واضعُه؛ لأنه استعان باللغة في تزوير أهدافه الاحتلالية؛ حيث جعل الاحتلال الاغتصاب" استعمارا"؛ فهذه الكلمة تدل في أصل معناها العربي على العَمار ومنه التعمير والإعمار، ولانتشارِ دلالةِ المعنى المزَوَّر لها وفهم خباياه استبدل الاحتلال المعاصر بها مصطلح" الاستيطان" ومنه" المستوطنات". على أن هناك من تنبَّهَ لهذا الخداع اللغوي فأطلَقَ بعض السياسيين بدلا منها مصطلح" اغتصاب" و" مغتصبة"، وهناك من أطلق مصطلح" محرَّرات" ومفردها" محررة"، وهذا المصطلح يكثر إطلاقه على المغتصبات التي أخلتها قوات الاحتلال الإسرائيلي من قطاع غزة. وأطلق عليها أجدادنا في فلسطين أولا مصطلح" كُبَّنِيّة". تنظر دراستنا، عولمة اللسان بين الوهم والمأمول: مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، مكة المكرّمة، العددان الثالث والرابع، رجب ١٤٣٥هـ– مايو ٢٠١٤م، ص ٢٨٥– ٣٠١+ كتابنا" قضايا لغوية(١)– مقالات في اللغة والمجتمع"، دار المقداد للطباعة– غزة، ط١/ ١٤٣٦هـ– ٢٠١٥م، ص٢٢٢– ٢٣٧، وينظر أيضا الرابط الإلكتروني :
https://www.researchgate.net/publication/302460520

ومن مظاهر الصراع العدواني الإحلاليِّ **ما فعلته دولة الكِيان الإسرائيلي** في بلدِنا فلسطين؛ حيث ركّزت مهاجمتَها الوائدةَ للغة العربية في أسماء الشوارع والميادين واللافتات؛ فَجعلتْها احتقارا لها في المكان الأسفل؛ حيثُ صدّرت لافتاتِها بالعبرانية التي أحيتها بعد رقادٍ طويل، وجعلت العربيةَ لغةَ البلادِ الأصليين أسفلَ الإنجليزيةِ: لغةِ وعدِ بلفور التي جاءت تاليةً للعبرية. وهي تسعى اليومَ إلى تهويدِ كلِّ شيءٍ في فلسطين، وتريد أن تكون دولةً يهوديةً خالصة؛ الأمر الذي التفتت إليه السلطة الوطنية الفلسطينية فقامت بتغيير مظاهر العبرنةِ من أراضيها، حيث استبدلت بالأسماء والمصطلحات العبرانية ما يقابلها في اللغة العربية، مثل: إطلاق اسم" معبر حانون" على" معبر إيرز"، و" مفترق البوليس الحربي" بدلا من" مفترق نتساريم"، و" معبر المنطار" بدلا من" معبر كارني"، وهلمَّ جَرّا. وَتَحَرَّرَ سكان قطاعُ غزةَ من أكثر الألفاظِ العبرية في لغتهم بفعلِ اندحار سلطة الاحتلال إلى الحدود، وعدم تعاملهم المباشر بأهل غزة الذين استبدلوا ألفاظا عربيةً بألفاظٍ عبرانيةٍ كانت ذائعةً على ألسنتهم، مثل(تحناه) صارت(موقف أو كراج)، و(رمزون) حل محلها(الإشارات الضوئية)، و(السيجر)- بالجيم القاهرية- حلّ محلها كلمات(الإغلاق أو الحصار أو الطوق)، و(المحسوم) (الحاجز)...إلخ.

٣- **عجز العرب** عن ملاحقةِ تسارع إنتاج المنجزات العلميةِ والتقنيةِ، وتطور وسائل الاتصال المتقدمة، وتعدد شبكات التواصل الاجتماعي وسرعة ذيوع نتائج منشوراتها، وتغلغل تأثيراتها اللغوية والفكرية والمعرفية وغيرِها. وليس من شكٍّ في أن **الانتشار المتسارعَ لهذه المنجزاتِ العصريةِ**- في ظلِّ

عدمِ قدرةِ أبناء العربية من الانتقال من مرحلةِ المستهلِك المتفرِّقِ إلى المنتجِ المتواصلِ مع أقرانه- لَيشكلُ المشكلةَ الكبرى التي تعاني منها لغةُ الضادِ وأهلوها العُيُرُ على الإنسان والوطن.

ومما يزيدُ العاجزَ عجزا وعدمَ القدرة على الإصلاح **انشغالُ الحاكمِ**- وخاصةً في هذه الأيام- بالهموم الداخليةِ لبلده بل لتوطيدِ كرسيه في الحكم، حيث التناحراتُ والانشقاقاتُ والاختلافاتُ الفكريةُ التي تشكّلُ العقباتِ الكأداءَ في وجهِ أيِّ استقرار، وتقف حجارَ عثرةٍ بل سدودا مانعةً في وجه الجهود العلميةِ الحثيثة التي بذلتها مجامعُ اللغة العربية وجمعياتُها، ومكتبُ تنسيق التعريب في الرباط، والمنظمةُ العربية للتربية والثقافة والعلوم(ألسكو)، وغيرُها من مؤسساتٍ مخلصةٍ لعروبتها لتحقيق هذه الغاية القومية الهادفة إلى توحيد لغة اللسان العربي الفصيح وفكره، وتوطيد وَحدة المصطلح أو اللفظِ العربي البديلِ للأجنبي الغازي.

٤- **معاناة العربية من ازدواجية اللغة** ممثلة في العاميات العربية المتغلغلة في ألسنة أنصار الفصيحة من المتحدثين بها في لغة التعليم والخَطابة، ولغة الإعلام التي يروِّجُ بعض أهلها للعامية وألفاظ اللغات الأجنبية في برامجه ومسلسلاته وتسمياته لها. إن انتشار العامية على ألسنة العرب، واختلاطَها باللغاتِ الأجنبية لَمِنْ أفتكِ الآفاتِ التي تَفُتُّ في عضد البقيةِ الباقيةِ من العربية الفصيحة، وَسَتُضْعِفُ الصلةَ بين تراث الماضي وحياة الحاضر والمستقبل.

٥- **سوء التخطيط والإدارة**، وكأنه ينطبق علينا اليوم قولُ الشاعر العراقي **معروف الرِّصافي**(١٨٧٧- ١٩٤٥م) في قصيدته" الحرية في سياسة المستعمرين": (مجزوء الكامل)

يا قومُ لا تتكَلَّموا إنَّ الكلامَ مُحَرَّمُ
ناموا ولا تستيقظوا ما فازَ إلا النُّوَّمُ
وتأخّروا عنْ كلِّ ما يَقضي بأنْ تتقدّموا
ودَعُوا التفهُّم جانبا فالخير أنْ لا تَفهموا
وتَثَبّتُّوا في جهلكم فالشرُّ أنْ تتعلَموا[٤٢]

إننا بل مسؤولينا- في الأغلب- يُكْثِرون من الكلام والخطابات البرّاقةِ المتخمة بالوعود الإصلاحية التي تذكرنا بِـ" مواعيد عرقوب"، وزعمِ الشفافيةِ في العملِ والتعاملِ مع الشعب، وتوليةِ المسؤولِ بل **المُتَسَألِلِ** المناسب، ولكننا عندَ الفِعْلِ نُحْجِمُ، ونختارُ له من الزبانية أو الحاشيةِ التي لا تجيد إلا التملق وفنَّ الكلام المخادِعِ بل النفاق المُذِلّ[٤٣]، وإذا ما أنجزنا فقد لا نحسن فن التطبيق أو التسويق أو النشر.

---

[٤٢] معروف الرَّصافي: ديوان معروف الرَّصافي، مراجعة مصطفى الغلاييني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة، ٢٠١٤م، تنظر هذه الأبيات وبقية القصيدة، ص٦٤٩- ٦٥٠.

[٤٣] يذيع في بلدنا فِلسطين في هذه الأيام مصطلحا" المُطَبِّلينَ" و" السَّحيجة"، والأول من الجذر(ط.ب.ل)، وذكر الخليل في شرحه لمفرداته" الطَّبْلُ: معروف. وفِعْلُهُ: التَّطْبيلُ، وحِرفتُه: الطِّبالة، ويجوز: طَبَل يَطْبُلُ، وهو ذو الوَجهِ الواحد والوجهين. ويقال لكثير

الكلام الكَذِب: لا تُطَبِّلْ علينا"(أ). وأما الآخَر فهو من الجذر(س.ح.ج)، ومنه الفعل سحّج، أي صفَّقَ في اللهجةِ الفلسطينيةِ- للدلالة على المداهنين الذين يلتفون حول المسؤول ينافقونه، ويسوغون له بسهولة كل ما يرضيه، ويحللون له مباركين كل ما يفعل أو يأمر بقولِهم قولا كَبُرَ مقتُهُ عند الله عند الواحد الأحد؛ رغبةً في كسبِ عطاءٍ زائل، قال عز من قائل في سورة الصف: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ(٢) كَبُرَ مَقْتا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ(٣)}(ب)؛ وذلك لكسب رضاه، وترقيته إلى منصبٍ ما دون وجه حق، جاء في معجم العين تعضيدا لهذا المعنى الذائع" سَحَجْتُ الشَّعْرَ سَحْجا: وهو تَسريحٌ ليِّنٌ على فَرْوةِ الرأس. وسَحَجَ الشيءَ يَسحَجُه: أي يَقشِرُ منه شيئا قليلا كما يُصيبُ الحافِرَ من قبل الحَفا"(ت). وهذا المعنى قريبٌ من معنى المداهنة والنفاق الذي يحتاج إلى ترتيبٍ وإخراجٍ ليِّنٍ؛ ليكسب رضا المسؤول. أقول: أثارني هذان المصطلحان أو اللقبان المرادفان لمعنى المنافقين والمرائين، وجعلاني أتذكَّرُ مصطلحا كنت وضعته منذ عقد أو اكثر أذعته قولا وكتابة، وهو مصطلح(المُتَسَأْلِل) الذي سأنقل تعريفي له حين عَلَّقْتُ على مصطلح" السَّحّيجَة" في مداخلةٍ" فَسْبَكِيَّةٍ"(ث)- كلمة نَحَتُّها من اسم الفيس بك-، هذا نصها:" ابتكرت منذ سنوات مصطلح(المُتَسَألِل) للدلالة على من يُريقُ ماءَ وجهِهِ في سبيل الحصول على منصبٍ لا يستحقه. وأقول: إن مصطلح" السحيجة" يكاد يرادف مصطلح المُتَسَأْلِل وجمعه المُتَسَأْلِلون والمتسأْلِلات والسَّأْلَلَة الدالة على مدى تذلل السائلين في تسولهم للمنصب بدون كفاءة أو تنافس، ودون تدبر لقوله جل وعلا في سورة الصافات(٤): {وقفوهم إنهم مسؤولون}"(ج).

(أ) الفراهيدي، الخليل بن أحمد: العين، تح. الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، المكتبة الوطنية- بغداد، ١٩٨١م، باب الطاء اللام والباء معهما، ج٧/ ص٤٣٠.

(ب) سورة الصف: الآيتان ٢و٣.

(ت) العين: الحاء والجيم والسين معهما(س.ح.ج)، ج٣/ ص ٦٩.

إن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياقِ هو: كم عددُ المؤتمرات والدراسات والمصنفات والقرارات التي اُتُّخذَت في مجالاتِ إعمام سيادة اللغة العربية الفصيحة في التخصصات العلمية والتقنية، ومراقبة لغة الإعلام واللافتات وتسمية المحلات ومناطق السياحة، وضرورة التعريب والترجمة، وتوحيد المصطلحات في البلاد العربية، وتحصين الناشئةِ لُغَوِيّا، ولغة المعلمين في غير دروس اللغة العربية، وإنجاز المعجم اللغوي التاريخي...إلخ؟. وكم عددُ المصطلحات والألفاظ في المجالات العلمية والفكرية والتقنية والحضارية التي سهرت عقولٌ مخلصةٌ لإنجازها وأقرتها المجامعُ اللغويةُ العربية؟ وكم مدى الوقت الذي أُنْفِقَ فيما وصلَنا من إنجازاتٍ محمودةٍ في هذه المجالات أو غيرها؟. ومع هذا فما يزال الحالُ على حاله، نقول ونعيد ونكرر، وكأننا لم نتعظ بما قاله الشاعر المخضرم كعب بن زهيرٍ(ت. ٢٦هـ) [٤٤]:(البحر الخفيف)

ما أَرانا نَقولُ إِلّا رَجيعا وَمُعادا مِن قَولِنا مَكرورا

(ث) تنظر مقالتنا،" مدى جواز تعريب" فسبك فسبكة" في لغتنا الجميلة"، مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية(مكة المكرمة) العدد الحادي عشر، ذو القعدة ١٤٣٧هـ = أغسطس ٢٠١٦م، ص ٣٠٦- ٣١٣.

(ج) سورة الصافات: الآية ٤.

[٤٤] كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني: ديوان كعب بن زهير، حققه وشرحه وقدم له الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، تُنظَر قصيدتُهُ التي مطلُعها:" إنَّ عِرْسيْ قدْ آذَنَتْني أخيرا" ص٢٦- ٢٧.

٦- **عدم حريـة التنقـل بـين الأقطـار العربيـة**، حيثُ يشترَطُ الحصـولُ علـى إجراءاتٍ لاستصدارِ تصريحٍ آذنٍ بالدخول إلى أرض الدولة المراد دخولها، وبالمصطلح المُروري المعروف الحصول على تأشيرةِ دخولٍ. إن السماح لأبناء العروبةِ ولاسيما العلماء بالتنقلِ الحرِّ بين الأقطار العربية بلا قيودٍ مانعةٍ لأمرٌ مطلوبٌ السماحُ به، وذلك على غرار ما هو معمولٌ به في دول الاتحاد الأوربي، أو بعض الدول العربية كدول الاتحاد الخليجي. ورحم الله أياما كان العربي فيها يمتطي راحلته وقتما شاء، ويتجه بها أينما شاء متنقلا بين بلدان العروبة والإسلام بحريةٍ تامةٍ؛ الأمر الذي أسهم في تقارب أبناء الأمتين العربية والإسلاميةِ لغةً وفكرا وعاطفةً.

ولعلي بغيةَ الاقتداءِ بأسلافنا أُذكّرُ في هذا السياق ببيئة الأندلس التي غدت في ظل حُكْمِ العربِ المسلمين لها بيئةً عربيةً لم ينفصلْ فكرها عن بيئات العرب في بلاد المشرق، ولعل خيرَ دليلٍ على ما نقول ما تردد على لسان الصاحب بن عباد(ت. ٣٨٥هـ) عندما اطّلع على كتاب" العقد الفريد" لابن عبد ربِّهِ الأندلسي(٢٤٦هـ- ٣٢٨هـ) قال:" هذه بضاعتنا ردّت إلينا". وقال محقق الكتاب الدكتور مفيد محمد قميحة في تقديمه له" منذ أن فتح العرب بلاد الأندلس عام ٩٢ للهجرة نجد أن تلك الأصقاعَ قد شهدت نزوح كثيرٍ من القبائل العربية إليها، حيث ألقت هناك عصا الترحال، واستقرّ بها النّوى، وَمَكّنها ذلك فيما بعدُ من إحداثِ نهضةٍ أدبيةٍ سرعانَ ما نَمَتْ وتطوّرت، **وعَرَفَتْ** في عصرِ الدولةِ الأمويةِ التي أنشئت هناك على أنقاض الدولة الأموية التي انهارت في المشرق العربي تحت ضربات العباسيين **أَوْجَ ازدهارها**، وقمّةَ عطائها، **وقد ظهر** في تلك الديار النائية التي لم تَفقدْ في يوم

من الأيام صلتَها بالمشرق الأم **كثيرٌ** من العلماء والأدباء الذين حاكوا بنتاجهم أكثر مَنْ ظَهَرَ في المشرق العربي من نتاج، والتزموا بأذواقهم الذوق الأدبي السائد آنذاك"[٤٥].

وختاما وباختصارٍ فإني لا أريد أن أكرر مكرورا من التوصيات والمقترحات التي قد تعجز اللغة عن مدّها بمضامينَ جديدة؛ وذلك لكثرتها وكثرة تكرارها في المحافل المنطوقة و الصحف المكتوبة، ولكنْ ما أودُّ التنبيهَ إليه في هذا السياق يتلخص في التساؤل عن **مدى قدرة العربِ على امتلاكِ وَحدةِ الإرادةِ الفاعلة في تحقيق الصالح العربي العام**؛ لأن المطلوب بعد كلِّ ما نادى به علماؤنا ومفكرونا ومخططونا ومسؤولونا في سياقاتِ الدعوة إلى التجريب أو التطبيق لا يحتاج إلا إلى شَدِّ الهممِ لبدءِ خطوات التنفيذ المتواصل الذي سيمدنا بحوافز اجتياز مراحل الركودِ التي خيمت بظلالها المقيتة علينا ردحا من الزمن إلى مراحل التنمية والإضافةِ إبداعا ونهوضا قويّا مستندا على ماضٍ ما يزال العالَمُ يذكر له أفضالَ أنوارِهِ عليه.

وإذا ما وصلْنا إلى هذه المرحلةِ التي يحلم بها كلُّ عربيٍّ غيورٍ على عروبتهِ وأصالتِها سنمتلك القوةَ الإنتاجيةَ التي سَنَقْوى بها، وتنعكسُ آثارُها في لغةِ الضّادِ حياةً ونماءً وتصديرا؛ لِنعيدَ فضائلَ الأسلافِ. إن اللغة تقوى بقوةِ أهلها، وتضعف بضعفهم، فليست هناك لغةٌ قويةٌ أو ضعيفة، بل أمةٌ قويةٌ أو ضعيفة، وليس هناك لغة جميلةٌ وأخرى قبيحةٌ مذمومة.

---

[٤٥] تنظر مقدمة المحقق في، أبو عمر أحمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تح. محمد مفيد قميحة، دار الكتب العلمية–بيروت/ لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ–١٩٨٣م، ج١/ ص. أ.

وإذا كانت اللغة حافظةَ أيِّ أمةٍ وكاشفةُ أقوالها وأفعالها عبر تاريخها الطويل فإنها أيضا الصورةُ العاكسةُ أو الحاكيةُ لحاضرِ أهلها وخصائصه. وإنّ حاضرَ اللغةِ العربيةِ لَيطلُبُ من أبناءِ أمتها كثيرا من العملِ المخلصةِ نواياه، وأنْ يفعلوا أكثرَ مما يتكلمون إنْ أرادوا الخيرَ لهم ولجموعِ الأمة، والعيشَ عيشَ الأحرارِ الكرماء.

ويرحم الله شاعر القطرين مطران خليل مطران(١٨٧٢- ١٩٤٩م)، حين **أبدع** التعبير بأنغامه الوافرةِ عَمّا يجيش في صدرِ كلِّ عربيٍّ غيورٍ على عربيته لغةً وأرضا وتاريخا وفكرا وحضارةً وهلمَّ جرّا **في قصيدته**" اللغة العربية تعاتب أهلها"[٤٦]: قال:(بحر الوافر)

سمعتُ بِأُذْنِ قَلبيْ صوتَ عَتْبٍ لَـهُ رَقْـراقُ دَمْـعٍ مُسْـتَهَلُّ
تقـولُ لأهلِهـا الفصحى: أَعَـدْلٌ لِـرِبِّكُمُ اغْترابـيْ بـينَ أهلـيْ
أَلَسْتُ أنـا الّتـي بِـدَمِيْ وَروحيْ غَـذَتْ منهمْ، وَأَنْمَتْ كُـلَّ طِفْـلِ
أنـا العربيـةُ المشـهودُ فَضْـليْ أَأَغْـدوْ اليومَ والمغمورُ فَضْـليْ؟!
إذا مـا القـومُ باللغـةِ اِسْـتَخَفّوا فَضاعَتْ ما مَصيرُ القومِ؟ قُلْ ليْ
ومـا دَعـوى اتِّحـادٍ فـي بِـلادٍ وَمـا دَعـوىْ ذِمـارٍ مُسْـتَقِلِّ
فَسـادُ القَوْلِ فيـهِ دَليلُ عَجْـزٍ فَهَـلْ مَعَـهُ يَكونُ صَـلاحُ فِعْـلٍ؟

---

(٤٦) نُسبت هذه القصيدة في مواقعَ إلكترونيةٍ قليلةٍ إلى الشاعر المَهْجَريِّ جبران خليل جبران، وأكثرها تنسبها إلى الشاعر مطران خليل مطران، وهي- أيضا- منسوبة له في الموسوعة الشعرية(ب)، وبحثت عنها في ديوان الخليل لمطران فلم أجدها. ينظر مثلا موقع" الموسوعة الشاملة"، الرابط:

http://islamport.com/w/adb/Web/3474/12873.htm

ويمضي مطرانُ ليكشفَ على لسانِ العربيةِ ما يُوَجَّهُ إليها من اتهاماتٍ ومؤامراتٍ، وَلِيُبَيِّنَ بَعْضا مِنْ محاسنِها، وقدرتَها على الوفاءِ بمتطلباتٍ أهلها، فقال:

يُحارِبنُي الْأُولى جَحدوا جَميلِيْ   وَلَمْ تَرْدَعْهُمُ حُرُماتُ أَصْلِيْ
وفي القرآنِ إعجازٌ تَجَلَّتْ   حِلايَ بِنورِهِ أَسْنى تَجِلٌّ
وَلِلْعُلماءِ والأُدباءِ فيما   نَأَتْ غاياتُهُ مَهَّدْتُ سُبْلِيْ
إِذَا مَا كَانَ فِي كَلِمِي صِعَابٌ   فلا تأخذْ كَثيريْ بِالأَقَلِّ
وَهَلْ لُغَةٌ قديما أوْ حَديثا   تُعَدُّ بِوَفْرَةِ الْحَسَناتِ مِثْلِيْ

ويختمُ شاعرنا الشاعر بالإشارةِ إلى مأساةِ العربِ ولغتهم في عصرهم الحديث، ولكنه -كما يرى- ستمضي في طريقها؛ لأنَّ لهذه اللغةَ مزايا لا يحجبها ظِلٌّ عابر، وستعود- بإذن الله تعالى- العودَ الحميدَ بهمةِ أبنائها الميامين من علماءَ ومفكرينَ وأدباءَ ذَوي حَزْمٍ وَأَصالةٍ؛ فهؤلاءِ سيعيدونَ الأمورَ إلى نصابها، قال:

فَيا أُمَّ اللغاتِ عَداكِ مِنّا   عُقوقُ مَساءَةٍ وَعُقوقُ جَهْلِ
لكِ العَوْدُ الحَميدُ فَأَنْتِ شَمْسٌ   ولمْ يَحْجِبْ شُعاعَكِ غيرُ ظِلِّ
دَعَوْتِ فَهَبَّ مِنْ شَتّى النَّواحيْ   ميامينٌ أُولو حَزْمٍ وَنُبْلِ
بِرَأْيٍ فِيكِ يَكْفُلُ أَنْ تُرَدِّي   مُكَرَّمَةً إِلى أَسْمَى مَحلِّ

وما ذلك على الله بعزيز.

**** **** ****

المصادر :

ابن الأنباري، محمد بن القاسم:

كتاب الأضداد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية- صيدا/ بيروت، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد:

نزهة الألباء في طبقات الأدباء، قام بتحقيقه الدكتور إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار- الزرقاء/ الأردن، ط٣/ ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

ابن تيميةَ أحمد بن عبد الحليم:

اقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق وتعليق الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، ط٢/ ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان:

الخصائص، تح. محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ١٩٥٢م.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله:

معجم البلدان، دار صادر- بيروت، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.

ابن رشيق، أبو علي الحسن القيروانيّ الأزدي:

العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده(ج١)، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، ط ٥/ ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

الرَّصافي، الشاعر معروف:

ديوان معروف الرَّصافي، مراجعة مصطفى الغلاييني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة، ٢٠١٤م.

الزُّبيدي الأندلسي، أبو بكر محمد بن الحسن:

طبقـات النحـويين واللغـويين، تحقيـق محمـد أبـو الفضـل إبـراهيم، دار المعارف بمصر، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٣م.

الزَّبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني:

تـاج العـروس مـن جـواهر القـاموس، تـح. الـدكتور عبـد العزيـز مطـر، راجعه عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ط٢/ ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

زغلول، الشحات السيد:

السـريان والحضـارة الإسـلامية: الهيئـة المصـرية العامـة للكتـاب- فـرع الإسكندرية، ١٩٧٥م.

أبو سليمان، صادق عبد الله محمد مبارك:

- قضايا لغوية(١)- مقالات في اللغة والمجتمع"، دار المقداد للطباعة- غزة، ط١/ ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.
- قطوف من كتب اللغة، دار المقداد للطباعـة- غزة، ط٣/ ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.
- عولمـة اللسـان بـين الـوهم والمـأمول: مجلـة مجمـع اللغـة العربيـة علـى الشبكة العالمية، مكة المكرّمة، العددان الثالث والرابع، رجب ١٤٣٥هـ- مايو ٢٠١٤م، وينظر أيضا الرابط الإلكتروني:

https://www.researchgate.net/publication/302460520

- مدى جواز تعريب" فسبك فسبكة" في لغتنا الجميلة"، مجلة مجمع اللغة العربيـة علـى الشـبكة العالميـة(مكـة المكرمـة) العـدد الحـادي عشـر، ذو القعدة ١٤٣٧هـ- أغسطس ٢٠١٦م.

https://www.researchgate.net/publication/306943195

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن:

المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح. محمد الفضل إبراهيم وآخرين، مكتبة دار التراث، مصر، ط٣/ د. ت.

الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى:

أدب الكتاب، المكتبة العربية- بغداد، المطبعة السلفية بمصر- القاهرة، ١٣٤١هـ.

أبو الطيب عبد الواحد بن علي الحلبي:

مراتب النحويين، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط٢/ ١٣٧٤هـ- ١٩٧٤م.

ابن عبد ربه الأندلسي، أبو عمر أحمد بن محمد:

العقد الفريد، تحقيق محمد مفيد قميحة، دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، ط/ ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م،

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا:

الصاحبي، تحقيق السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي، ١٩٧٧م.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد:

العين، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، المكتبة الوطنية- بغداد، ١٩٨١م.

فندريس، جوزيف:

اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، ط١/ ١٩٥٠م.

الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب:

القاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة- إشراف محمد نعيم العرْقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط ٨/ ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

ابن قُتَيْبَةَ الدّينَوَرِيّ، أبو محمد عبد الله بن مسلم:

كتاب عيون الأخبار، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط٢/ ١٩٩٦م.

كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني:

ديوان كعب بن زهير، حققه وشرحه وقدم له أ. علي فاعور، دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

مجمع اللغة العربية" مصر":

المعجم الوسيط، مطابع الأوفست بشركة الإعلانات الشرقية، ط٣، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي:

لسان العرب، دار إحياء التراث العربي- مؤسسة التاريخ العربي/ بيروت- لبنان، ط٣/ ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

عبد القادر اسماعيل البستاني وأثره السياسي في العراق حتى نهاية الثلاثينيات

الأستاذة الدكتورة

انعام مهدي علي السلمان

كلية الآداب/ جامعة بغداد

الملخص:

يُعدُّ عبد القادر إسماعيل من الشخصيات العراقية البارزة التي أدتّ دورا في الحياة السياسية العراقية. بدأ حسه الوطني بالتبلور منذ سنوات مبكرة من حياته، فمنذ سنوات العشرينيات من القرن الماضي بدأ يتأثر بالأفكار الماركسية منذ ان كان طالبا في المرحلة الثانوية حيث عد من رواد الفكر الاشتراكي في العراق، وبسبب توجهاته كان احد كُتّاب جريدة (الصحيفة) ذات الاتجاه الماركسي .

شارك عبد القادر اسماعيل في الكثير من الاحتجاجات، فقد شارك ضد زيارة الفرد موند عام ١٩٢٨ وتم طرده من كلية الحقوق، لكنه سرعان ما تمت عودته. كانت له عدة نشاطات صحفية في جريدة الشباب ثم انضم الى جماعة الاهالي وقد نجح مع زملائه ببلورة افكار جماعة الاهالي في سنوات الثلاثينيات. انتخب نائبا عن بغداد بعد انقلاب بكر صدقي عام ١٩٣٦ لكنه سرعان ما اختلف مع قادة الانقلاب فحكم عليه بالإعدام لكنه نجح في مغادرة البلاد حتى عودته بعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨

المقدمـة :

ولد عبد القادر اسماعيل حقي البستاني في بغداد في محلة باب الشيخ عام ١٩٠٧ لعائلة يمتهن افرادها الخياطة والتطريز. تكونت اسرته من أحد عشر فردا ستة ابناء وخمس بنات[١]. عمل والده وكيلا لأعمال نقيب

---

[١] تكونت أسرته من شقيقه الاكبر يوسف وكان محاميا يحمل افكارا اشتراكية وعبد المجيد الذي عمل مستشارا ماليا في المملكة العربية السعودية وهناك زوج إحدى ابنتيهِ من رئيس الوزراء اللبناني، فيما بعد، رفيق الحريري. اما شقيقه الثالث فهو خليل والد اول وزيرة للتعليم العالي والبحث العلمي الدكتورة سعاد خليل اسماعيل. وشقيقه الرابع الدكتور عبد الحميد البستاني من اشهر اطباء الاطفال في العراق حتى نهاية التسعينيات. وكان شقيقه الخامس عبد الله الذي عمل في مهنة المحاماة. اما شقيقاته الاناث فهن الدكتورة عفيفة البستاني الاستاذة الجامعية التي ترجمت كتاب تاريخ الاقطار العربية للوتسكي والدكتورة منيرة البستاني وهي من الطبيبات المعروفات متخصصة بالأمراض النسائية والانسة بثينة البستاني وشغلت وظيفة في البنك المركزي العراقي وكانت عضوة ناشطة في رابطة المرأة العراقية وفي الحزب الشيوعي العراقي وقد القي القبض عليها بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣وفصلت من الوظيفة حتى عام ١٩٦٨ حيث اعيدت الى عملها. اما شقيقته الرابعة فقد كانت في كلية الطب حينما قامت انتفاضة بورتسموث ١٩٤٨وبسبب ما تعرض له المتظاهرون اصيبت بمرض افقدها عقلها حتى وفاتها .ولم تكن شقيقته الخامسة ذات نشاط يذكر.

مقابلة مع الست سميرة مهدي احدى صديقات اسرة عبد القادر اسماعيل ١٠/ ٨/٢٠١٤؛ ذكرى عادل عبد القادر، رابطة المرأة العراقية ودورها في الحركة النسوية في العراق ١٩٥٢–١٩٧٥دراسة تأريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب جامعة بغداد، ٢٠١٤، ص١١٠.

بغداد [٢]، وكان بيت جده لأُمه السيدة عائشة ابراهيم صناع نسيج، ويشير الكثير ممن لهم علاقة به ان اصولهم هندية وهذا ما اكده حنا بطاطو، وان لقب البستاني قد حور بمرور الزمن اذ ان لقبهم الاصلي هو المستاني، وليس البستاني ويعود اللقب الى جده الحاج مستان الذي بعد مجيئه من الهند سكن المنطقة المحصورة بين فضوة عرب وباب الشيخ بوصفهِ أحد مريدي الشيخ عبد القادر الكيلاني[٣]. في هذه البيئة نشأ عبد القادر اسماعيل البستاني.

منذ صغره تولد لديه شعورا بالكره اتجاه البريطانيين فكان مع رفاقه من الصغار في محلة باب الشيخ يضايقون الجنود البريطانيين الذين أقاموا في باب الشيخ وبأساليب بدائية من خلال رميهم بالحجارة حيث كانوا يشاهدون الجنود البريطانيين يلقون بالبسكويت الى الكلاب[٤]. اما بخصوص تأثره بالأفكار الاشتراكية فيبدو انه تزامن بنفس المدة، اذ يشير الى انه سمع بالاشتراكية والبلشفية للمرة الأولى في اثناء الحرب العالمية الاولى، وفي نهايتها وان اول كتاب وقع في يديه في اثناء دراسته الابتدائية هو كتاب

---

[٢] مجيد مسعود، محطات في مسيرة عبد القادر اسماعيل البستاني، اوراق غير منشورة، ص١.

[٣] حنا بطاطو، العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، الكتاب الاول، ترجمة عفيف الرزاز، ط٢، بيروت، ١٩٩٥، ص٣٣٧.

[٤] عامر حسن فياض، جذور الفكر الاشتراكي في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية القانون والسياسة جامعة بغداد، ١٩٧٨، ص٣١٠.

الدولة والثورة للينين الذي يعد اول كتاب ماركسي لينيني يدخل الى العراق باللغة العربية(٥).

اكمل عبد القادر دراسته الابتدائية بمدرسة العوينة، وخلال مرحلة الدراسة تأثر بمعلم مادة التاريخ محمد عبد الحسين الذي كان كثيرا ما يتناول في تدريسه للمادة الثورة الفرنسية، وكان من المبكر عليه وهو في هذه المرحلة ان يتقدم هو وزملاؤه بعريضة ضد معلم الرياضيات والمطالبة بتبديل مدير المدرسة الابتدائية؛ لقصوره في اداء واجباته مما جعل ناظر المعارف المستر بومن يأمر بطرده من المدرسة بتهمة التحريض على "التمرد" وقد أدى طرده من المدرسة الى انتقاله الى مدرسة التفيض الاهلية(٦)،لكن الامر سرعان ما الغي بعد ذلك واعيد الى المدرسة بتوسط من اسرة عبد الرحمن الكيلاني(٧).

حينما اكمل عبد القادر اسماعيل دراسته الابتدائية وانتقل الى المرحلة المتوسطة في المدرسة المأمونية ظل تأثير اساتذته عليه وكان اكثر من اثر فيه الاستاذ فاضل الشبلاوي والاستاذ عبد المجيد راغب،كما اثرت فيه كتابات شبلي شميل وسلامة موسى وتأثر بقصة البؤساء لفكتور هيجو. وفي سنوات دراسته تلك وتحديدا حينما كان في الثالث المتوسط بدأ حسّه الوطني

---

(٥) المصدر نفسه؛ رافد رسول عبد، الفكر السياسي للحزب الشيوعي العراقي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية جامعة بغداد،٢٠١٠، ص٣٥.

(٦) عامر حسن فياض، المصدر السابق، ص٣١١.

(٧) فؤاد حسين الوكيل، جماعة الاهالي في العراق ١٩٣٢-١٩٣٧، بغداد، ١٩٧٩، ص٦٢

بالتبلور، فقد اشترك بالإضراب الذي قام به الطلبة ضد مدرس اللغة الانكليزية المستر كوداول بسبب تطاوله على الشعب العراقي الرافض لتصديق معاهدة ١٩٢٢ في المجلس التأسيسي. وقد اشعرهم نقل المدرس الى الموصل بالقوة ورفع معنويات الطلبة(٨).

في عام ١٩٢٤ التحق عبد القادر اسماعيل بالإعدادية المركزية، وكان زميله في الصف الدراسي حسين جميل(٩) ويبدو أن في السنوات التي اعقبت التحاقه بالثانوية بدأت الافكار الماركسية تنتشر في اوساط الطلبة، وبدأ التأثر بالأفكار التي تبناها حسين الرحال(١٠) حيث يعد عبدالقادر

---

(٨) مجيد مسعود، المصدر السابق، ص٢.

(٩) حسين جميل (١٩٠٨–٢٠٠٠) احد مؤسسي جماعة الاهالي ولد في كربلاء من اسرة متوسطة درس الحقوق وتخرج منها. دخل الحياة السياسية وساهم في تأسيس الحزب الوطني الديمقراطي عام ١٩٤٦.تسلم عدة مناصب منها وزيرا للعدلية عام ١٩٤٩ ووزيرا للارشاد عام ١٩٥٩، ثم سفيرا في الهند .للمزيد من التفاصيل انظر :

بشرى سكر خيون، حسين جميل ودوره السياسي في العراق حتى عام ١٩٥٤، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية ابن رشد جامعة بغداد، ٢٠٠٤.

(١٠) حسين الرحال (١٩٠٢–١٩٧١) ولد في بغداد من عائلة متوسط الحال كان والده ضابطا للأملاك السنية. درس في المانيا وعاد دون اكمال دراسته نهاية عام ١٩١٩.تاثر خلال وجوده في المانيا بالفكر الاشتراكي من خلال ما كانت تكتبه الصحف الالمانية فضلا عما احدثته الثورة العمالية هناك التي قامت في عام ١٩١٨. حينما عاد الى العراق استمر الرحال بالاطلاع على الفكر الاشتراكي من نفسه الكتب التي كان يشتريها من مكتبة مكنزي .اصدر جريدة الصحيفة عام ١٩٢٤ كما اسس اول حلقة ماركسية في نفس العام .

إسماعيل البستاني من رواد الفكر الاشتراكي في العراق، منذ بداية تأسيس الحكم الوطني في العراق في عشرينيات القرن المنصرم[١١]، إلى جانب حسين الرحال، كان هناك محمود أحمد السيد(وهو احد اقرباء عبد القادر اسماعيل اذ ان والدة محمود احمد السيد ذات الاصول الهندية هي شقيقة والد عبد القادر اسماعيل)، حسين جميل، نوري روفائيل، عبدالله كوران، مكرم الطالباني، محمد حسين كاشف الغطاء، محمد حديد[١٢]، عبدالفتاح إبراهيم[١٣]، وآخرون. وبهذا الصدد يقول عبد القادر اسماعيل " كان لي قريب

---

[١١] عبد القادر العيداني، من اعماق السجون نقرة السلمان... قيود تحطمت

[١٢] محمد حديد (١٩٠٦–١٩٩٩) ولد في الموصل ينتسب الى عائلة تجارية واسعة الثراء .بعد ان اكمل دراسته الثانوية سافر الى بيروت لإكمال دراسته الجامعية، وهناك ساهم بتأسيس جمعية النشئ العراقية، ثم غادر الى لندن، لإكمال دراسته العليا وفي لندن بدأ يتأثر بالفكر الاشتراكي بشكل ملموس .ساهم بتأسيس جماعة الاهالي وبعد إجازة الاحزاب السياسية عام ١٩٤٦ اصبح نائبا لرئيس الحزب الوطني الديمقراطي .بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨إذ عُيِّنَ وزيرا للمالية ثم غادر العراق الى لندن وظل فيها حتى وفاته.

عامر حسن فياض، المصدر السابق، ص ٣٠٧؛منار عبد المجيد عبد الكريم، الجامعة الامريكية في بيروت واثر خريجيها العراقيين على الفكر السياسي في العراق الملكي، بغداد، ٢٠١٤، ص ٢٢٦.

[١٣] عبد الفتاح ابراهيم (١٩٠٧–٢٠٠٣) ولد في مدينة الناصرية حينما كان والده يعمل مفتيا في لواء المنتفك. ثم انتقل الى البصرة التي اكمل فيها دراسته الابتدائية. انهى دراسته الثانوية في بغداد عام ١٩٢٤ ثم سافر الى بيروت للدراسة وبعد عودة قصيرة الى العراق التحق ببعثة دراسية الى الولايات المتحدة الامريكية لاكمال دراسته العليا. بعد عودته الى العراق اوائل الثلاثينيات ساهم بتشكيل جماعة الاهالي . بعد اجازة

هو محمود احمد كنت التقي به، واسمعه يتحدث عن الافكار التجديدية كما انه يذكر امامي بعض الاسماء كحسين الرحال وابراهيم القزاز التقيت بهم فيما بعد واستمرت لقاءاتي بهذه الجماعة وازداد محيطها يوما بعد يوم فاستلهمت احاديث الرحال وسليم فتاح عن الاشتراكية تحمست لها حتى لقبوني صحبتي وانا في المرحلة الثانوية بعبد القادر اسماعيلوف " [١٤] .

واشترك عبد القادر اسماعيل، في دراسته في المرحلة الثانوية، مع عبد الفتاح ابراهيم بتأسيس جمعية سرية هدفها،كما يشير، محاربة الاستعمار والسعي الى تحقيق الامبراطورية العربية[١٥]، ولأجل هذا الهدف كان هو وعبد الفتاح ابراهيم يقومان في المناسبات بعمل بطاقات يرسمان عليها اعلام العرب أو العلم العربي يوزعانها على زملائهم [١٦].

بتاريخ٢٨ كانون أول ١٩٢٤ أصدر حسين الرحال أول صحيفة ماركسية يسارية تحت عنوان (الصحيفة) كان عبدالقادر البستاني احد كتابها؛

الاحزاب السياسية عام ١٩٤٦ اسس حزب الاتحاد الوطني الذي عطل بعد عام على تأسيسه. تولى بعد ثورة ١٤ تموز رئاسة هيئة شؤون النفط. اعتزل السياسة وغادر سنوات عدة البلاد ثم عاد حتى وفاته. للمزيد انظر:

سليم حسين ياسين حبيب التميمي، عبد الفتاح ابراهيم ودوره في الحركة الوطنية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة البصرة، ٢٠٠١؛نوري عبد الحميد العاني، اعلام عانيون، بغداد، ٢٠١٤، ص ص١٤٤-١٤٧.

[١٤] عامر حسن فياض، المصدر السابق، ص ٣١٤.

[١٥] سليم حسين التميمي، المصدر السابق، ص ٨٥.

[١٦] عامر حسن فياض، المصدر السابق، ص ٣١١.

حيث بدأ نشاطهما الفكري في تبني الأفكار الاشتراكية[١٧]، وقد انعكس تاثر عبد القادر اسماعيل بتلك الافكار من عبر مساهمته بحادثتين، الاولى: حينما قاد ومعه حسين جميل عددا من الطلبة في الاعدادية المركزية للتظاهرات الاحتجاجية ضد فصل المدرس اللبناني انيس النصولي مؤلف كتاب (الدولة الاموية)، وعلى اثر ذلك تم فصله وحسين جميل لكونهما من المحرضين على التظاهر[١٨]، إذ طرد حسين جميل طردا نهائيا على حين طرد البستاني لمدة شهر[١٩] وقد اكملا دراستهما الثانوية عام ١٩٢٧ ثم اكملا كلية الحقوق معا وبسبب ذلك ربطت بينهما صداقة طويلة[٢٠].

لم يستمر فصل عبد القادر اسماعيل طويلا فبضغط من الرأي العام والصحافة اعيد الى مقاعد الدراسة مع بقية زملائه. غير انه سرعان ما شارك بنشاط آخر ففي الثامن من شباط عام ١٩٢٨ زار بغداد،وبتدخل من المعتمد السامي البريطاني هنري دوبس، احد اقطاب الحركة الصهيونية الفريد موند (اللورد ميلشت) وقد اثارت زيارته ردود افعال عنيفة فخرج عدد من الطلبة،بدعوة من نادي التضامن[٢١] الذي يعد المخطط والمنظم لاحتجاجات الطلبة ضد الزيارة، وكان قد اسسه يوسف زينل مدرس مادة

---

(١٧) فؤاد حسين الوكيل، المصدر السابق، ص ٦٢.

(١٨) حنا بطاطو، المصدر السابق، الكتاب الاول، ص ٣٣٧.

(١٩) فؤاد حسين الوكيل، المصدر السابق، ٦٦.

(٢٠) حنا بطاطو، المصدر السابق، الكتاب الاول، ص ٣٣٧.

(٢١) د.ك.و. ملفات وزارة الداخلية العراقية، تسلسل الملفة ٣٢٠٢٠/١٠٤٢١، نادي التضامن من ١٩٢٦-١٩٢٨.

الكيمياء في الاعدادية المركزية في بغداد والمعروف بميوله القومية عام ١٩٢٦، وقد اصبح النادي مقرا للشباب الوطني وانظم اليه عدد من الشباب المعروفين بميولهم اليسارية وكان احدهم عبد القادر اسماعيل، فتظاهروا منددين بالزيارة وقد شارك عبد القادر اسماعيل بهذه التظاهرات، وكان حينها قد التحق في الصف الاول بكلية الحقوق، وشاركه ايضا حسين جميل الطالب في الكلية نفسها[٢٢].

اتخذت الحكومة العراقية ممثلة برئيس الوزراء عبد المحسن السعدون اجراءات تعسفية بحق الطلبة المشاركين بالتظاهرات فأصدرت مرسومين الاول يخول وزير المعارف بجلد الطلبة المشاركين بالتظاهرات وطردهم. اما الثاني فيخول وزير الداخلية الامر بقمع التظاهرات ووضع الاشخاص تحت المراقبة[٢٣].

تنفيذا لتخويل وزير المعارف فقد فصل عبد القادر اسماعيل من الكلية وشاركه في الامر صديقه حسين جميل. ولم يكن امام الاثنين سوى السفر الى دمشق محاولين اكمال دراستهما. وقد استطاع حسين جميل الالتحاق بكلية الحقوق جامعة دمشق بمؤازرة من رجال الكتلة الوطنية، في حين فشل عبد القادر اسماعيل في الالتحاق في الكلية نفسها وسرعان ما عاد

---

[٢٢] عزيز سباهي، عقود من تأريخ الحزب الشيوعي العراقي، دمشق، ٢٠٠٢، ص١٠٨.

[٢٣] مجموعة القوانين والانظمة الصادرة خلال سنة ١٩٢٨، بغداد، ١٩٢٩، ص ص١٦-١٨.

لاستكمال دراسته في كلية الحقوق العراقية في السنة التالية في نفس الصف الاول بعد الغاء قرار الفصل[٢٤].

كانت السنوات الاخيرة من حقبة العشرينات حافلة بالنشاط النضالي لعبد القادر اسماعيل فقد استمر في نشاطه السياسي والادبي، وقد اصبح ضمن المجموعة الثالثة للحلقات الماركسية التي نظمت صفوفها عام ١٩٢٩ في مدينة بغداد التي استقطبها زكي خيري[٢٥]، فضلا عن مساهمته في الكتابة لمجلة الشباب لصاحبها سعيد السامرائي التي كان عبد القادر مديرها المسؤول، وهي مجلة اجتماعية شهرية. وعلى الرغم من ان المجلة كانت ذات صبغة اجتماعية، الا ان ما كان يكتبه البستاني، متبعا الاسلوب القصصي، كان يعبر بصورة لا تقبل الشك عن توجهاته الاشتراكية، ففي العدد الرابع من المجلة الصادر في ايار ١٩٢٩م كتب مقالة اشبه بالقصة تحت عنوان(شهيد الفقر)، وبعد ان سرد القصة ختمها بقوله "هكذا تشقى اكثرية الشعب العراقي وينعم باتعابهم وجهودهم اناس قليلة العدد ظلما

---

[٢٤] مجيد مسعود، المصدر السابق، ص٣.

[٢٥] زكي خيري (١٩١١-٢٠١٠) من كوادر الحزب الشيوعي العراقي ولد في بغداد، عمل موظفا في الكمارك بين عامي ١٩٢٨-١٩٣٥. ترأس الحزب الشيوعي العراقي لعدة مرات أُسقطت عنه الجنسية العراقية عام ١٩٥٥، عدته الدوائر الامنية احد الشيوعين الخطرين ولاسيما وانه يروج للافكار الشيوعية بين افراد الجيش العراقي. حكم عليه عدة مرات بالحبس لنشاطه الشيوعي .

سيف عدنان ارحيم القيسي، الحزب الشيوعي العراقي من اعدام فهد حتى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، دمشق، ٢٠١٢، ٢٨؛ عادل تقي البلداوي، لقاء الاضداد فوق الساحة الوطنية العراقية الكبرى، بغداد، ٢٠٠٧، ص٦٤.

وعدوانا [٢٦]. وعلى نفس السياق والمضمون كتب في العدد (٥) من المجلة الصادر في حزيران ١٩٢٩ موضوعا بعنوان (الجباة يأخذون الضريبة بالظلم) وقد اشار فيه إلى "... ان الحكومة ما وجدت الا لراحة الناس وتامين رفاههم ورغدهم وصون كرامتهم الداخلية والخارجية وحكومة لا تراعي ما ذكرت تكون طاغية غير مشروعة وللشعب ان يوقفها عند حدِّها، ويحاسبها امورها ولا اظنك قائل ان حكومتنا غاشمة حتى تفعل ما تشاء ..."[٢٧]. ولو أنعمنا النظر بما جاء في الموضوعين الذين استخدم فيهما الخيال نجد ان عبد القادر اسماعيل يعبر عن افكاره الداعية الى نصرة الفقير، ونقد الحكومة في سياستها .

لم يكتف البستاني بالكتابة في مجلة الشباب، بل كتب في جريدة المستقبل التي اصبح ايضا صاحب الامتياز فيها، ومديرها المسؤول، وهذا ما جاء في عددها الاول فيما اصبح ابراهيم صالح شكر صاحبها، ورئيس تحريرها منذ العدد الثاني على حين ثبت اسم البستاني مديرها المسؤول فقط، واستمر في كتاباته الادبية التي كانت تعالج موضوعات من صميم الحياة الاجتماعية العراقية[٢٨] .

---

[٢٦] عبد القادر اسماعيل، شهيد الفقر، مجلة الشباب، العدد ٤، ايار ١٩٢٩. انظر الملحق رقم(١).

[٢٧] عبد القادر اسماعيل، الجباة يأخذون الضريبة بالظلم، مجلة الشباب، العدد٥، حزيران ١٩٢٩.انظر الملحق رقم(٢).

[٢٨] فؤاد حسين الوكيل، المصدر السابق، ص٨٩.

بحلول الثلاثينيات من القرن العشرين بدأ نشاط عبد القادر اسماعيل يتضح اكثر من السابق، فقد وقف ضد توقيع معاهدة ١٩٣٠م، وكان ما يزال في الصف الاخير من كلية الحقوق، فقد حاول هو وبعض زملائه منهم حسين جميل، وعزيز شريف، فائق السامرائي، ويونس السبعاوي عقد اجتماعا في مقهى البلدية في تشرين الاول عام ١٩٣٠ لمناقشة بنود المعاهدة وحرروا بيانا سياسيا طبع في مطبعة الآداب الكائنة في شارع المتنبي جاء فيه "انكم تجوعون وتعرون والانجليز سبب جوعكم وعريكم فهم ينهبون خيرات البلاد...الخ"[٢٩]، لكن الاجهزة الحكومية القت القبض عليه، وعلى زملائه وأُحيلوا على المحكمة التي قضت بحبسهم لمدة اربعة اشهر[٣٠] .

وبحلول عام ١٩٣١ تخرّج عبد القادر اسماعيل من كلية الحقوق وبعد تسلمه للشهادة مباشرة عرضت عليه وزارة الداخلية،كما يقول، وظيفة رئاسة مديرية قضاء العشائر لتغريه بها، ولتحول بينه، وبين النشاط السياسي، لكنه رفضها مسوغا ذلك ب "دافع ينسجم مع افكاري الوطنية وسلوكي المعادي للاستعمار والحكومة الانتدابية[٣١].

ساهم البستاني في تأسيس جماعة الاهالي، بالتنسيق مع عبد الفتاح ابراهيم، الذي كانت لديه صلة قرابة مع عبد القادر اسماعيل، ومحمد

---

[٢٩] مجيد مسعود، المصدر السابق، ص٦.

[٣٠] فؤاد حسين الوكيل، المصدر السابق، ص ٧٦؛ عزيز سباهي، المصدر السابق، ص١٤٥.

[٣١] نقلا عن عامر حسن فياض، المصدر السابق، ص ٣١.

حديد[٣٢]. وقد بدأت فكرة تأسيس الجماعة عبر اللقاءات التي كانت تتم بين عبد القادر اسماعيل وعبد الفتاح ابراهيم وكان الاثنان يلتقيان كلما جاء عبد الفتاح من بيروت ومن خلال عبد القادر تعرف حسين جميل بعبد الفتاح ابراهيم وكان الثلاثة راغبين في إصلاح الأوضاع في البلاد، ثم انضم اليهم محمد حديد العائد من بريطانيا[٣٣].

دافعت جماعة الاهالي عن افكار الثورة الفرنسية و مبادئها، وقد اصدرت صحيفة ناطقة باسمها هي جريدة الاهالي التي ساهم بتأسيسها عبد القادر اسماعيل الذي لم يكتف بإصدار الجريدة بل حصل من وزارة الداخلية على موافقة بتأسيس مطبعة تعرف بمطبعة الأهالي يُراعى في إدارة شؤونها، بحسب ما جاء بموافقة وزارة الداخلية "احكام القانون والمطبوعات"[٣٤]. عبرت جريدة الاهالي عن آراء الجماعة حيث صدر العدد الاول منها في ٢ كانون الثاني ١٩٣٢ و كان صاحب الجريدة و مسؤولها المحامي حسين جميل على حين كان رئيس التحرير عبد القادر اسماعيل و كانت المقالة الافتتاحية في العدد الأول بعنوان "منفعة الشعب فوق كل المنافع"وجاء في صدر صفحتها الأولى جملة "يحررها فريق من الشباب"[٣٥]. وكانت نفقات

---

[٣٢] حنا بطاطو، المصدر السابق، الكتاب الاول، ص٣٣٧.

[٣٣] عامر حسن فياض، المصدر السابق، ص٢١٧.

[٣٤] د. ك. و. ملفات وزارة الداخلية العراقية، تسلسل الملفة، ٣٢٠٥٠/١٠٣١٥مطبعة الاهالي لصاحبها عبد القادر اسماعيل، ١٩٣١/١٢/٣١.

[٣٥] عبد الغني الملاح، تأريخ الحركة الديمقراطية في العراق، العراق، ١٩٧٥، ص١٢٥.

اصدار الجريدة قد قسمت بحصص غير متساوية يدفعها اعضاء الجماعة وتدفع بالروبية العملة المتداولة حينذاك[٣٦].

أشرف البستاني على باب (قصة اليوم) في جريدة الأهالي وبالنظر لعمله من دون انقطاع فقد كان هذا الباب من أكثر الأبواب غزارة في الانتاج، ولم يكتف عبد القادر اسماعيل في الإشراف على هذا الباب، بل ساهم في كتابة الكثير من القصص ذات الطابع الادبي منها (ذكرى) و(سنا) و(لماذا كرهت الزواج –حوار بين والدين وولد) وغيرها من القصص الأخرى[٣٧].

قام كلٌّ من عبد القادر اسماعيل، وعبد الفتاح ابراهيم، ومحمد حديد في بلورة افكار جماعة الاهالي في توجيهها توجيها اشتراكيا مع ذلك لم يستخدم هؤلاء لفظ الاشتراكية فيما يدعون اليه، لأن هذه اللفظة كانت ماتزال في حينها تستفز قطاعات كبيرة من الرأي العام العراقي في اوائل الثلاثينات من القرن الماضي، ففضلت جماعة الاهالي استخدام كلمة الشعبية واصدرت الجماعة عددا من الكراسات والكتيبات منها كتاب بجزأين باسم الشعبية ويمثل الجزء الثاني من الكتاب المنهج العام لجماعة الاهالي، والشعبية بموجب هذا المنهج تدعو الى سعادة جميع الناس من دون تمييز بين الافراد والطبقات بسبب الثراء أو النسب والدين وتدعو الشعبية الى اصلاح شامل في العراق، وعلى حقوق الانسان الاساسية في الحرية

---

[٣٦] سليم حسين ياسين، المصدر السابق، ص ٢٠.

[٣٧] فؤاد حسين الوكيل، المصدر السابق، ص ١٠٨.

والاخاء والمساواة والتحرر من الخوف والتعسف والظلم، و وجود الحكومة أمر ضروري وعلى الحكومة ان تهتم بالصحة و التعليم و توفير فرص العمل للجميع، وهي تعترف بالنظام البرلماني المبني على التمثيل الصحيح للشعب، فضلا عن كتاب الشعبية قامت جماعة الاهالي بنشاطات ثقافية اخرى فقد قام محمد حديد بترجمة مجموعة من المقالات لـ (هارولد لاسكي) المفكر الاشتراكي الذي درس في كلية السياسة والاقتصاد في جامعة لندن، وكانت تلك المقالات تتناول الاشتراكية والحركة التعاونية، وكتب عبد القادر اسماعيل كتابا عن مشاهداته في اهوار العمارة وكتب عبد الفتاح ابراهيم كتابا عنوانه على طريق الهند[٣٨].

ان ما اوردناه سابقا من اتفاق جماعة الاهالي حول المبادئ التي رسموها لا يلغي حقيقة مفادها ظهور خلافات بين الجماعة فقد حصل اول خلاف ما بين عبد القادر اسماعيل وبين حسين جميل حول الصورة التي يجب ان تظهر عليها جريدة الاهالي فبينما كان عبد القادر اسماعيل ميالا للتطرف، اذ كان يرغب في ان تقوم الجريدة بنشر دعوتهم في طرح الموضوعات كان حسين جميل ميالا الى الاعتدال داعيا الى عدم المغالاة في نشر كل افكارهم، لذلك اتهم حسين جميل بمعارضته نشر الافكار الاشتراكية التي اخذت الاهالي تدعو لها[٣٩]، وقد نجم عن هذا الخلاف انسحاب حسين جميل من الجريدة، وبذلك اصبح البستاني صاحبا لها[٤٠].

---

[٣٨] المصدر نفسه، ص ١٥٧.

[٣٩] سليم حسين ياسين، المصدر السابق، ص ص٢٢.

[٤٠] فؤاد حسين الوكيل، المصدر السابق، ص ١٧٦.

وبهذا الصدد يذكر عبد الفتاح ابراهيم انه بتفاقم الخلاف بين الطرفين سارع عبد القادر اسماعيل بإرسال رسالة اليه، وكان يعمل حينها مترجما في ميناء البصرة طالبا التدخل لكنه كما يبدو فشل في انهائه، لكن استطاع ان يجعل جريدة الاهالي تستمر في الصدور[٤١] .

لم تستمر ادارة البستاني للجريدة طويلا، فبعد تشكيل وزارة رشيد عالي الكيلاني الاولى في٢٠ اذار ١٩٣٣ عادت الجريدة للظهور بعد شهر من تشكيل الوزارة، وبعد توقف دام ستة اشهر بعد قرار كانت قد اتخذته وزارة نوري السعيد الثانية ضد الجريدة لانتقادات وجهتها جريدة الاهالي للحكومة [٤٢]، ولكن وضع في صدر صفحتها الاولى لصاحبها، ورئيس تحريرها عزيز شريف، وليس عبد القادر اسماعيل، وكان سبب التغيير ان الكيلاني كان يكره عبد القادر شخصيا وان وجود اسمه على صفحات الجريدة سيثير غضبه[٤٣]. لكن بعد عدة اشهر عاود اسم عبد القادر في الظهور على صفحات الجريدة مرة اخرى وذلك في ايلول ١٩٣٣ والكيلاني كان ما يزال في سدة الحكم وكان السبب المساعدة التي كان يقدمها وزير العدلية محمد زكي البصري لجماعة الإهالي المتمثلة بدفاعه عنهم كلما تعرضوا لهم في مجلس الوزراء[٤٤]. وربما ايضا تغير الظروف ولا سيما بعد وفاة الملك فيصل

---

[٤١] سليم حسين ياسين، المصدر السابق، ص ٢٣.

[٤٢] فؤاد حسين الوكيل، المصدر السابق، ص ٢٨٣.

[٤٣] المصدر نفسه، ص٢٨٩.

[٤٤] المصدر نفسه، ص ٣٠٤.

الاول في ايلول عام ١٩٣٣ وتنصيب ولده غازي على عرش العراق حيث كان الملك الشاب ميالا للأفكار والطروحات الوطنية.

وفي وزارة جميل المدفعي الاولى التي تشكلت في ٩ تشرين الثاني ١٩٣٣ تعرض عبد القادر اسماعيل للمضايقة بعد اتهامه بكتابة منشور سري ينتقد ابعاد محمد صالح القزاز [٤٥] الى شمال العراق بعد ان ترأس اضراب الكهرباء ضد الشركة البريطانية التي كانت تنير مدينة بغداد فاستدعي للتحقيق معه واحاطت الشرطة السرية بجريدة الاهالي التي كان يترأسها. وبعد ان تشكلت وزارة علي جودت الايوبي الاولى في ٢٧ اب ١٩٣٤ ساهم جماعة الاهالي ايضا بانتقاد الوزارة ووزع منشور يطعن بالملك غازي ورئيس وزرائه حيث تم توقيف عبد القادر اسماعيل لاتهامه بإصدار المنشور وعطلت جريدة الاهالي [٤٦]. ويبدو ان الامر لم يكن اتهاما اذ ان محمد حديد كان قد اشار بعد سنوات متعددة إلى أن المنشور قد كتبه البستاني بلغة مبسطة لإبعاد الشبهة عن الجماعة وانه طبع بمطبعة غير

---

[٤٥] محمد صالح القزاز (١٩٠٤-١٩٧٥) اول قائد عمالي في العراق ولد في بغداد. اكمل دراسته الابتدائية ثم التحق بمدرسة الصنائع. اسس عام ١٩٢٩ جمعية اصحاب الصنائع. كان له دور كبير في اضراب الكهرباء الي وقع عام ١٩٣٣ في عهد وزارة جميل المدفعي الاولى وتعرض الى النفي. ساهم في تأسيس جمعية الاصلاح الشعبي. للمزيد انظر :

مير بصري، اعلام السياسة في العراق الحديث، ج٢، لندن، ٢٠٠٤، ص ٥٤٢-٥٤٣.

[٤٦] مجيد مسعود، المصدر السابقً، ص١١.

مطبعة الاهالي[٤٧]. وعلى الرغم من كل تلك المضايقات استمر عبد القادر اسماعيل في نشاطه السياسي، اذ ان مساهمته في تأسيس جماعة الاهالي في عام ١٩٣٢كانت خطوة اولى لانضمامه بوصفهِ أحد اعضاء الحلقة التأسيسية الاولى لجمعية مكافحة الاستعمار والاستثمار التي تأسست في ٣١ آذار ١٩٣٤ على يدي يوسف سلمان يوسف[٤٨], مع شقيقه الاكبر يوسف اسماعيل البستاني، الذي كان احد ثلاثة اشخاص يقودون النشاط الشيوعي في بغداد، وهم عاصم فليح ويوسف اسماعيل البستاني، وزكي خيري[٤٩] التي ابدل اسمها عام ١٩٣٥ الى الحزب الشيوعي العراقي[٥٠]. ويبدو ان عبد القادر كان نشطا فيها ؛ لأن شقيقه يوسف كان احد قادتها، وقد اشير في الكثير من المصادر الى انه لم يبق شيوعيا تقريبا الا وانضوى تحت جناح

---

[٤٧] المصدر نفسه .

[٤٨] يوسف سلمان يوسف(١٩٠١-١٩٤٩)اسمه الحركي فهد .سياسي عراقي ولد لعائلة كلدانية فقيرة درس في البصرة في مدرسة الرجاء الصالح الامريكية. وبعد وفاة والده انتقل للعمل في الناصرية عاملا في مصنع للثلج. شارك في اضراب عمال السفن عام ١٩١٨. كما ساهم في تشكيل الحزب الشيوعي العراقي اواخر تموز ١٩٣٥ إذ اصبح عضوا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي. اعدم في ١٤ شباط ١٩٤٩. للمزيد من التفاصيل عن دوره السياسي في العراق انظر: سيف عدنان ارحيم القيسي، المصدر السابق .

[٤٩] المصدر نفسه، ص ٢٨.

[٥٠] سمير عبد الكريم، اضواء على الحركة الشيوعية في العراق، ج١ ١٩٣٤-١٩٥٨، بيروت، د.ت، ص ٢٢.

الجمعية[٥١]. وقد اثرت علاقته في الشيوعيين في عمله مع جماعة الاهالي، إذ كانت علاقته اكثر وثوقا من علاقة الآخرين بالشيوعيين .

ثم ارتأت جماعة الاهالي تشكيل لجنة تنفيذية اكتسبت صفة التنظيم السياسي السري اطلق عليها الشعبية تدعو الى الاصلاح سرعان ما تسرب نفوذها الى الجيش عن طريق حكمت سليمان الذي كانت له علاقه قوية ببكر صدقي الذي نفذ انقلابه في ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦، وقد ساهمت جماعة الأهالي بدور كبير في هذا الانقلاب فعبر تتبع الاحداث نجد ان جماعة الاهالي قد قاموا بدور متميزفي الانقلاب فقاموا بوضع صيغة البيان الذي القته الطائرات موقعا من بكر صدقي، كما اعدت الجماعة الكتاب الذي رفعه حكمت سليمان الى الملك نيابة عن بكر صدقي و عبد اللطيف نوري، كما ناقشوا في دار كامل الجادرجي اجتماعا لمناقشة اعضاء الوزارة و رئيسها حيث تسلم جعفر ابو التمن وزارة المالية و كامل الجاد رجي وزارة الاقتصاد والمواصلات. كما اسهم الحزب الشيوعي بتأييد الانقلاب من خلال التظاهرات المؤيدة له اذ انطلقت مظاهرة كبرى في ٣ تشرين الثاني بدأت مسيرتها من الكرادة الشرقية حتى وصلت الى منطقة الحيدر خانة القيت فيها الخطب الحماسية[٥٢].

---

[٥١] حنا بطاطو، العراق الحزب الشيوعي، الكتاب الثاني، ترجمة عفيف الرزاز، ط٢، بيروت، ١٩٩٦، ص ٨٧.

[٥٢] زينة شاكر سلمان الميالي، التحقيقات الجنائية في العراق وموقفها من الاحزاب الوطنية، اطروحة دكتوراة غير منشورة، كلية الاداب جامعة بغداد، ٢٠١٣، ص١٨٩.

وبقدر تعلق الامر بعبد القادر اسماعيل وموقفه من الانقلاب فقد جرت عدة لقاءات بينه وبين رئيس الوزراء حكمت سليمان منها اللقاء الذي تداول فيه رئيس الوزراء مع عدد من الصحفيين موضوع تشكيل نقابة خاصة بهم، وكان من نتائج اللقاء اجتماع ستة من أصحاب الصحف، بعد ذلك بأسبوعين؛ للتداول فيما بينهم، وليكونوا اول لجنة في تاريخ العمل النقابي للصحفيين العراقيين وهم: عبد القادر إسماعيل البستاني، صاحب جريدة (الأهالي) ورزوق غنام، صاحب جريدة (العراق) و يونس بحري، صاحب جريدة (العقاب) ونوري ثابت، صاحب مجلة (حبزبوز) وميخائيل تيسي، صاحب جريدة (الناقد) وأنور شاؤول، صاحب جريدة (الحاصد)[٥٣].

وانتُخب عبد القادر اسماعيل بعد الانقلاب نائبا عن بغداد في الانتخابات العامة التي اجريت في شتاء ١٩٣٦-١٩٣٧ حيث وصل الى المجلس النيابي اثنان من المقربين الى الشيوعين ففضلا عن عبد القادر انتخب ايضا عزيز شريف، على الرغم من ان العدد الذي اختير من الاصلاحين لم يكن يمثل مستوى الطموح فمن (١٠٨) نائب كان عدد الصلاحيين الذين وصلوا الى مجلس النواب (١٢) نائبا فقط[٥٤]. ومع قلة عددهم، فان ذلك لم يحل دون وقوفهم صفا واحدا امام خصومهم وبذلك كان عبد القار اسماعيل أول قيادي شيوعي عربي يدخل مجلسا نيابيا.

[٥٣] موقع نقابة الصحفيين العراقيين www.iraqijs.org.

[٥٤] حنا بطاطو، المصدر السابق، الكتاب الثاني، ص٩٦.

ولا يفوتنا في هذا المجال الاشارة الى ان جماعة الاهالي بعد تنفيذ الانقلاب قد ادركوا انهم يجب ان يستندوا الى العمل المنظم، لذا ارتأوا تأليف حزب فتقدم عبد القادر اسماعيل وعدد آخر منهم كامل الجادرجي ومحمد صالح القزاز بطلب الى وزارة الداخلية لتأليف حزب بأسم (جمعية الاصلاح الشعبي) وقد اجازت الوزارة الجمعية .

لم تستمر حالة الوفاق بين قادة الانقلاب، وجماعة الاهالي طويلا، إذ سرعان ما دب الخلاف بين الطرفين وتوترت العلاقة مع قادة الانقلاب ولا سيما بعد ان بدأت جريدة الاهالي، التي كان يتولى عبد القادر اسماعيل شؤونها، تعكس التيار المضاد لحكومة الانقلاب في مقالات كان يكتبها يوسف متي باسم مستعار، وقد نوقش عبد القادر بهذا الموضوع، لكنه ثار وهدد بالاستقالة فيما اذا منع كاتب المقال من الكتابة[٥٥] والأكثر من ذلك حين بدأت جملة من الاضرابات تجتاح مدنا متعددة عديدة من العراق كان الشيوعيون وراءها فاضرب عمال ميناء البصرة وشركة السكائر الوطنية في بغداد وعمال نفط كركوك وبينما كانت الاضرابات في قمتها وقد اعتقل محمد صالح القزاز، رئيس اتحاد نقابات العمال لذلك قرر الوزراء الاصلاحيون الانسحاب من الوزارة وقدموا استقالتهم في ١٩ حزيران ١٩٣٧ حيث شنت حملة شعواء عليهم من قبل الصحافة .وفي ١٢ تموز حلت جمعية الاصلاح الشعبي بعد شهر واحد من اجازتها بسبب اتهامها بالشيوعية وتفرق اعضاؤها على حين كان السبب الحقيقي هو رغبة رئيس الوزراء حكمت سليمان في

---

[٥٥] عبد الغني الملاح، المصدر السابق، ص ١٧٧.

تأسيس حزب يضم اعضاء الجمعية مع جماعة بكر صدقي[٥٦]. ويرى باحث آخر ان وزارة حكمت سليمان اشهرت عداءها للشيوعين بسبب خشيتها من ان يرتبط مصطلح الشيوعية بالفقراء[٥٧]. وفعلا في ١٧ اذار ١٩٣٧ شن بكر صدقي رئيس اركان الجيش واقوى الشخصيات في حكومة الانقلاب،هجوما على الشيوعيين مشيرا الى ان الشيوعية لا تتلاءم مع الحكم الملكي معلنا استعداد الجيش لسحق اية حركة شيوعية تنتهك حرمة العرش[٥٨]. وعطلت جريدة الاهالي لصاحبها عبد القادر اسماعيل فتوقفت عن الصدور بموجب قرار مجلس الوزراء في ٢٤ تموز ١٩٣٧. وقد اشارت التقارير الامنية الى ان عبد القادر اسماعيل لم يترك اية فرصة إلا قام بنشر مقالات عنيفة جدا ضد موسليني في جريدة الأهالي سلط فيها الضوء على الاعمال الوحشية التي اقترفها الايطاليون في طرابلس وهذا جعله في موقف مضاد مع بكر صدقي ذي الميول النازية وان موقفه هذا جعل القناصل الايطاليين في بغداد يتدخلون لدى بكر صدقي لإغلاق جريدة الاهالي[٥٩]، وقد حُلَّ المجلس النيابي على إثر ذلك وتعرض البستاني الى ثلاث محاولات للاغتيال من قبل جماعة بكر صدقي[٦٠] لانزعاج الاخير منه مما جعله يخشى على نفسه من الاغتيال ولاسيما بعد حل جمعية الاصلاح الشعبي وتفرّق اعضاؤها فغادر

---

(٥٦) عبد الرزاق الحسني، تأريخ الاحزاب السياسية العراقية ١٩١٨-١٩٥٨، ط١، بيروت، ١٩٨٠، ص ص١١٩-١٢٠.

(٥٧) سيف عدنان ارحيم القيسي، المصدر السابق، ص ٣١.

(٥٨) حنا بطاطو، المصدر السابق، ص ٩٧.

(٥٩) عادل تقي البلداوي، المصدر السابق، ص ص ٥٣-٥٤.

(٦٠) حنا بطاطو، المصدر السابق، الكتاب الثاني، ص ٩٨.

العراق الى سوريا ومعه شقيقه يوسف اسماعيل البستاني وهذا دفع الحكومة العراقية بأسقاط الجنسية العراقية عنهما ومنعهما من الرجوع الى البلاد[٦١]، وأحيل عبد القادر اسماعيل إلى محكمة بغداد العليا، فحكم عليه بالإعدام غيابيا بتهمة الشيوعية وقد حصل كل ذلك في ١٠ اب ١٩٣٧ اي قبل يوم واحد من اغتيال بكر صدقي. مع ذلك نجد ان اتهام عبد القادر اسماعيل بالشيوعية لم يكن بعيدا عن الحقيقة وهذا ما اثبتته السنوات اللاحقة .

لم يمكث الاخوان عبد القادر ويوسف طويلا في سوريا فسرعان ما سافرا الى فرنسا حيث اصبح يوسف اسماعيل عضوا في الحزب الشيوعي الفرنسي لكن عبد القادر سرعان ما عاد ثانية الى دمشق ليصبح عضوا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري[٦٢]. ومن هناك كتب العديد من المقالات يهاجم فيها النازية[٦٣]. كما نشر عام ١٩٣٩ احدى القصص التي كتبها يوم تخرجه من الدراسة الثانوية واسمها (من بنات الناس) بعد ان اجرى عليها بعض التعديلات مستخدما اسما مستعارا هو عربي عراقي. في هذه القصة كتب عن واحدة من بنات الناس قال انه كان على علم من امرها تهاوت فيها الحياة لتنساق الى طريق الرذيلة وذاقت شقاؤه،وكان الفصل الخامس المعنون السركال من افضل فصول القصة التي تقع في (١١٨)صفحة من القطع المتوسط [٦٤] .

---

[٦١] سمير عبد الكريم، المصدر السابق، ص٢٥.

[٦٢] عادل تقي البلداوي، المصدر السابق، ص٥٣.

[٦٣] فؤاد حسين الوكيل، المصدر السابق، ص٨٥.

[٦٤] المصدر نفسه، ص ٨٦.

مكث عبد القادر اسماعيل في سوريا حتى عام ١٩٤٧ ومن هناك انتقل الى بيروت حيث اختبأ في إحدى المنازل حتى عام ١٩٥٤ حتى القي القبض عليه[٦٥] ويبدو انه اطلق سراحه اذ انه حينما قامت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ كان في بلغاريا التي غادرها متوجها الى العراق بعد سنوات طويلة قضاها في المنفى ناهزت حوالي احدى وعشرون عاما حيث عاد بعد قيام ثورة ١٤ تموز .مع ذلك ان صلته بالاحداث السياسية في العراق لم تنقطع خلال مدة ابعاده فقد شهدت له الكثير من النشاطات[٦٦] .

اخيرا لابد من القول إن انغماس عبد القادر اسماعيل في العمل السياسي وزهده في ذلك ابعده عن الزواج وتكوين اسرة حتى وفاته، وبسبب زهده اطلق عليه المقربون (غاندي).

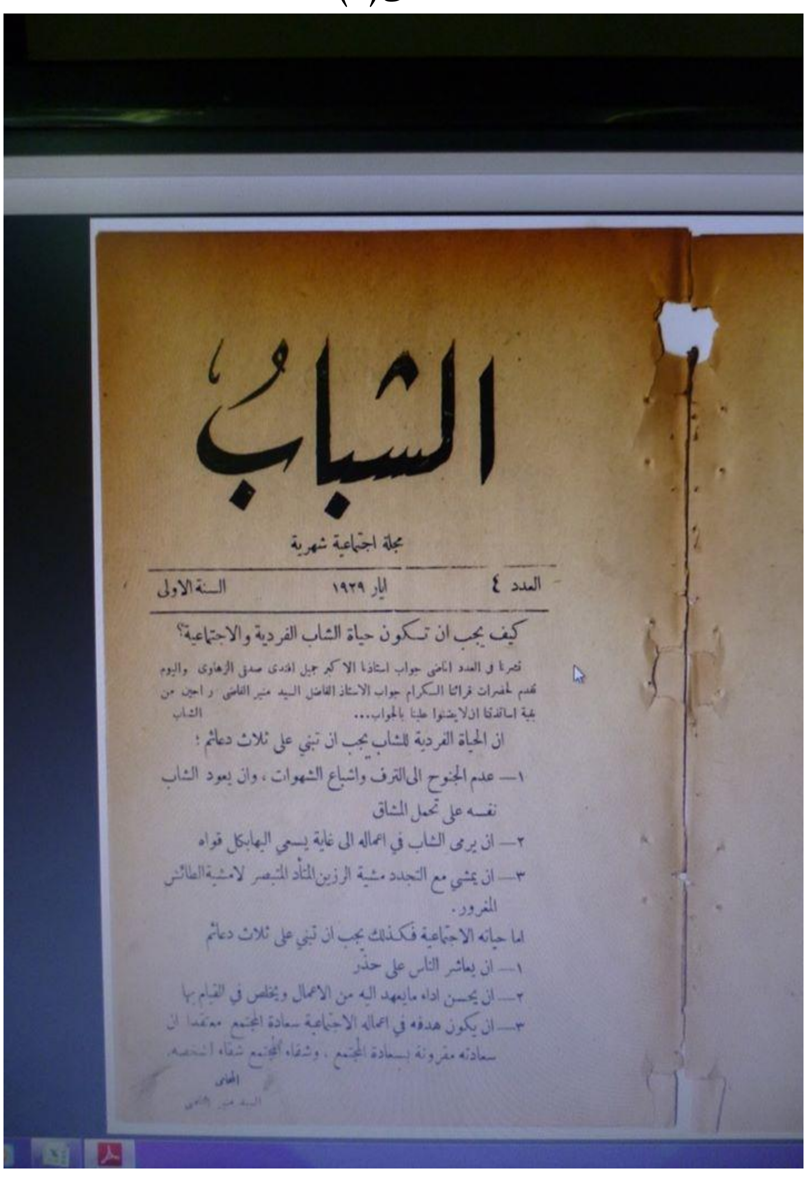
---

[٦٥] في ٢٠ ايلول عام ١٩٥٤ نشرت جريد النضال اللبنانية خبرا يفيد بالقاء القبض على عبد القادر اسماعيل من قبل رجال الشرطة حيث كان مختفيا لمدة ثلاث سنوات في احدى المنازل في بيروت وقد وجد رجال الشرطة خلال عملية التفتيش عددا كبيرا من المنشورات الشيوعية والوثائق السرية فضلا عن آلة طباعة . للمزيد عن هذه الحادثة انظر :

جريدة النضال، العدد ٣٠٢١، ٢٠ ايلول ١٩٥٤.

[٦٦] للمزيد من التفاصيل انظر: حنا بطاطو، المصدر السابق، الكتاب الثاني، ص ص١٩٤-٢٣٩.

الملحق(١)



الشباب

مجلة اجتماعية شهرية

العدد ٤ ايار ١٩٢٩ السنة الاولى

كيف يجب ان تكون حياة الشاب الفردية والاجتماعية؟

نشرنا في العدد الماضي جواب استاذنا الاكرم جميل افندي صدقي الزهاوي واليوم نقدم لحضرات قرائنا الكرام جواب الاستاذ الفاضل السيد منير القاضي راجين من بقية اساتذتنا ان لا يضنوا علينا بالجواب...

الشباب

ان الحياة الفردية للشاب يجب ان تبني على ثلاث دعائم:

١ــ عدم الجنوح الى الترف واشباع الشهوات، وان يعود الشاب نفسه على تحمل المشاق

٢ــ ان يرمى الشاب في اعماله الى غاية يسعى اليها بكل قواه

٣ــ ان يمشي مع التجدد مشية الرزين المتاد المتبصر لا مشية الطائش المغرور.

اما حياته الاجتماعية فكذلك يجب ان تبني على ثلاث دعائم

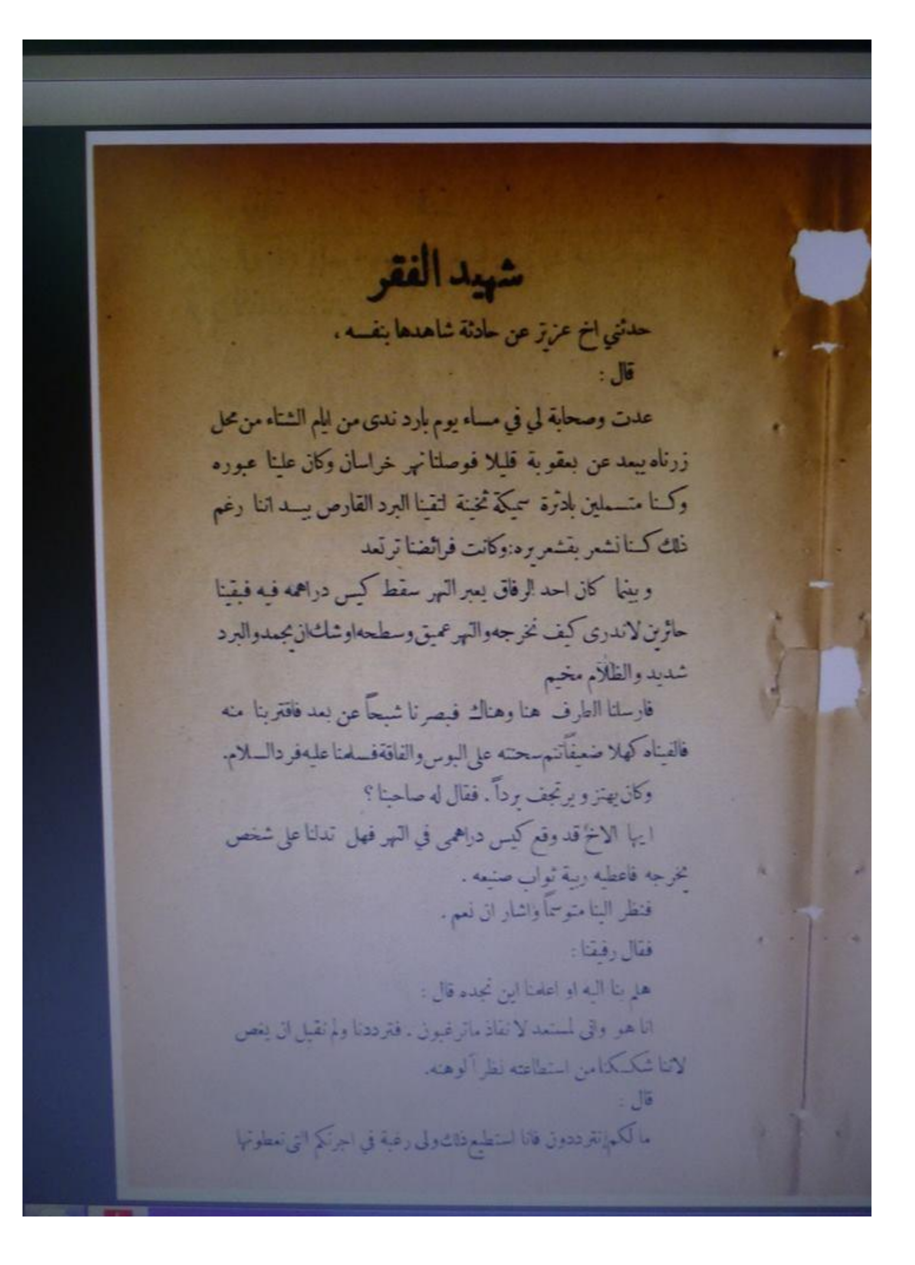
١ــ ان يعاشر الناس على حذر

٢ــ ان يحسن اداء مايعهد اليه من الاعمال ويخلص في القيام بها

٣ــ ان يكون هدفه في اعماله الاجتماعية سعادة المجتمع معتقدا ان سعادته مقرونة بسعادة المجتمع، وشقاء المجتمع شقاء لشخصه.

المحامي

السيد منير القاضي



شهيد الفقر

حدثني اخ عزيز عن حادثة شاهدها بنفسه،

قال :

عدت وصحابة لي في مساء يوم بارد ندى من ايام الشتاء من محل زرناه يبعد عن بعقوبة قليلا فوصلنا نهر خراسان وكان علينا عبوره وكنا متسملين بادثرة سميكة ثخينة لتقينا البرد القارص بيد اننا رغم ذلك كنا نشعر بقشعريرة:وكانت فرائضنا ترتعد

وبينما كان احد الرفاق يعبر النهر سقط كيس دراهمه فيه فبقينا حائرين لاندرى كيف نخرجه والنهر عميق وسطحه اوشك ان يجمد والبرد شديد والظلام مخيم

فارسلنا الطرف هنا وهناك فبصرنا شبحاً عن بعد فاقتربنا منه فالفيناه كهلا ضعيفاً تنم سحنته على البوس والفاقة فسلمنا عليه فرد السلام.

وكان يهتز و يرتجف برداً . فقال له صاحبنا ؟

ايها الاخ قد وقع كيس دراهمي في النهر فهل تدلنا على شخص يخرجه فاعطيه ربية ثواب صنيعه .

فنظر الينا متوسماً واشار ان نعم .

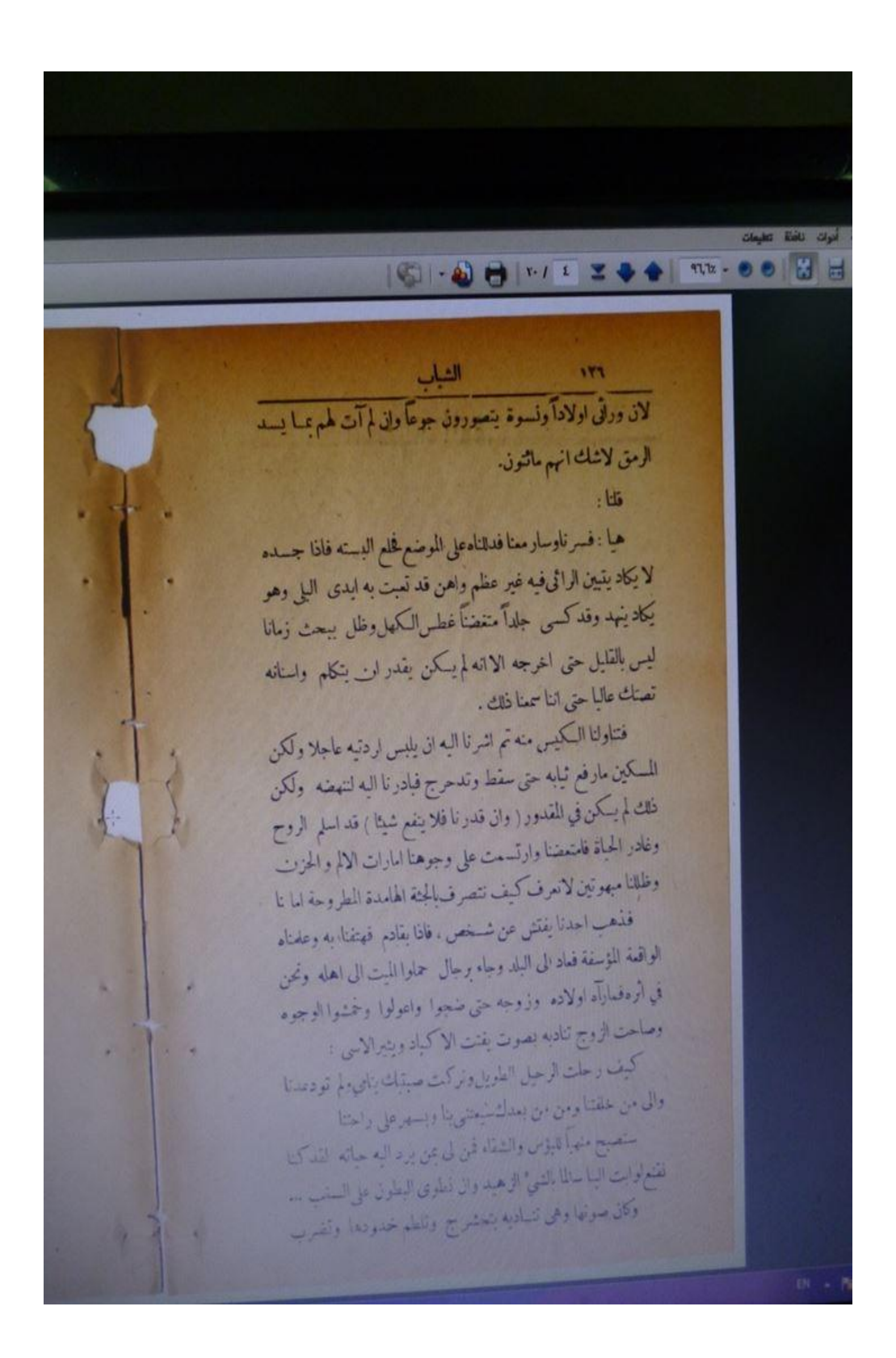
فقال رفيقنا :

هلم بنا اليه او اعلمنا اين نجده قال :

انا هو واني لمستعد لانفاذ ماترغبون . فترددنا ولم نقبل ان يغص لاننا شككنا من استطاعته نظراً لوهنه.

قال :

ما لكم اتترددون فانا استطيع ذلك ولي رغبة في اجرتكم التي تعطونها



١٣٦ الشباب

لان ورائي اولاداً ونسوة يتصورون جوعاً وان لم آت لهم بما يسد الرمق لاشك انهم مائتون.

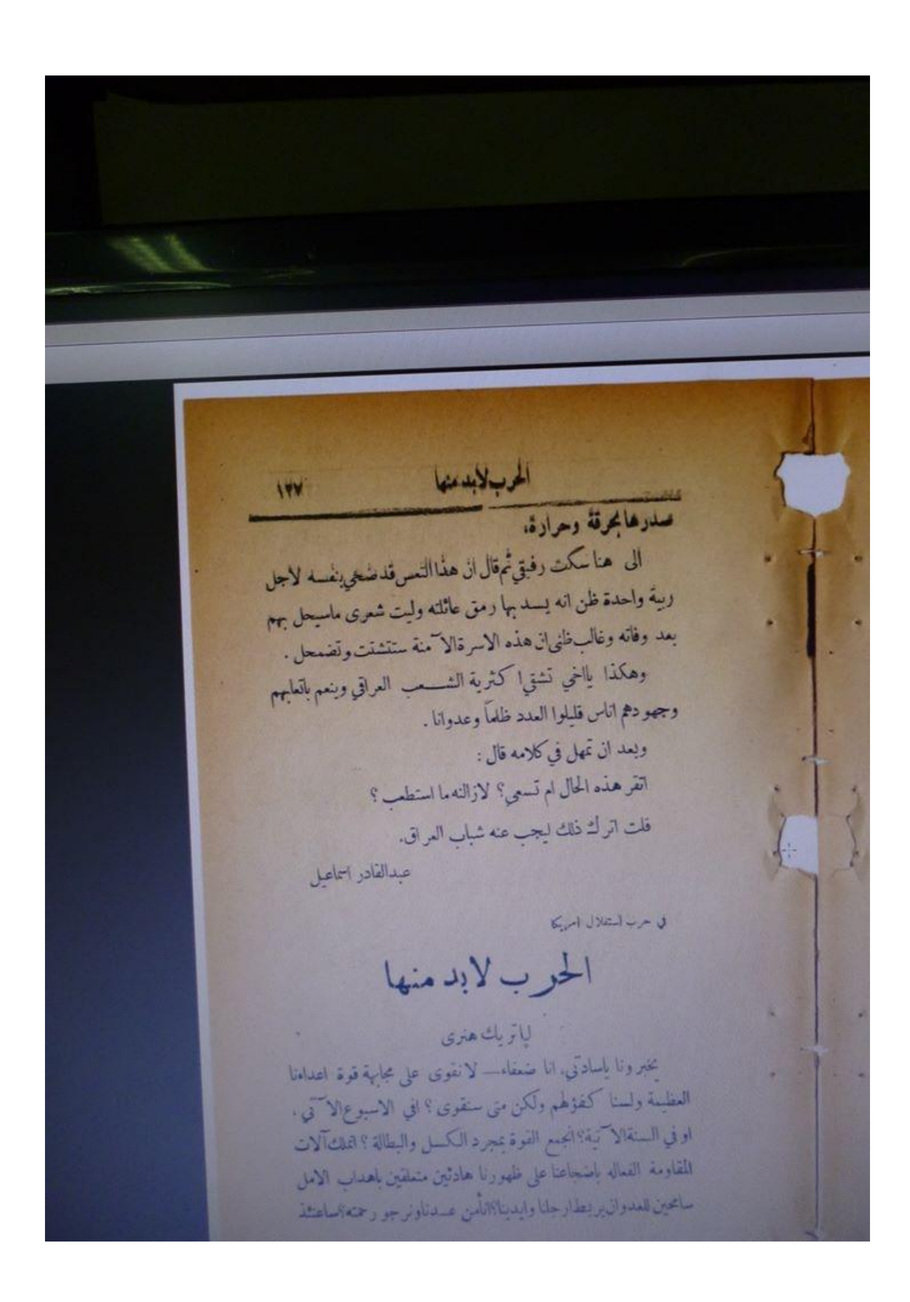
قلنا :

هيا : فسرناوسار معنا فدللناه على الموضع فخلع البسته فاذا جسده لا يكاد يتبين الرائي فيه غير عظم واهن قد تعبت به ايدي البلى وهو يكاد ينهد وقد كسى جلداً متغضناً غطس الكهل وظل يبحث زمانا ليس بالقليل حتى اخرجه الا انه لم يكن يقدر ان يتكلم واسنانه تصتك عاليا حتى اننا سمعنا ذلك .

فتاولنا الكيس منه ثم اشرنا اليه ان يلبس اردتيه عاجلا ولكن المسكين مارفع ثيابه حتى سقط وتدحرج فبادرنا اليه لننهضه ولكن ذلك لم يكن في المقدور (وان قدرنا فلا ينفع شيئا) قد اسلم الروح وغادر الحياة فامتعضنا وارتسمت على وجوهنا امارات الالم و الحزن وظللنا مبهوتين لانعرف كيف نتصرف بالجثة الهامدة المطروحة اما نا فذهب احدنا يفتش عن شخص ، فاذا بقادم فهتفنا به وعلمناه الواقعة المؤسفة فعاد الى البلد وجاء برجال حملوا الميت الى اهله ونحن في اثره فمارآه اولاده وزوجه حتى ضجوا واعولوا وخمشوا الوجوه وصاحت الزوج تادبه بصوت يفتت الاكباد ويثير الاسى :

كيف رحلت الرحيل الطويل وتركت صبيتك بناي ولم تودعنا
والى من خلفتنا ومن من بعدك سيعتني بنا ويسهر على راحتنا
ستصبح منهباً للبؤس والشقاء فمن لي بمن يرد اليه حياته لقد كنا
نقنع لوانت الينا سالما بالشيء الزهيد وان نطوي البطون على السغب ...

وكان صوتها وهي تناديه يتحشرج وتلطم خدودها وتضرب



الحرب لابد منها ١٢٧

صدرها بحرقة وحرارة،

الى هنا سكت رفيقي ثم قال ان هذا التعس قد ضحى بنفسه لاجل ربية واحدة ظن انه يسد بها رمق عائلته وليت شعري ماسيحل بهم بعد وفاته وغالب ظني ان هذه الاسرة الآمنة ستتشتت وتضمحل .

وهكذا ياأخي تشقى أكثرية الشعب العراقي وينعم بأتعابهم وجهودهم اناس قليلوا العدد ظلماً وعدوانا .

وبعد ان تمهل في كلامه قال :

أتقر هذه الحال ام تسعى؟ لازالته ما استطعت ؟

قلت اترك ذلك ليجب عنه شباب العراق.

عبدالقادر اسماعيل

في حرب استقلال امريكا

الحرب لابد منها

لباتريك هنري

يخبرونا ياسادتي، انا ضعفاء— لانقوى على مجابهة قوة اعدائنا العظيمة ولسنا كفؤهم ولكن متى سنقوى ؟ أفي الاسبوع الآتي، او في السنة الآتية؟ أنجمع القوة بمجرد الكسل والبطالة ؟ أنملك آلات المقاومة الفعالة باضجاعنا على ظهورنا هادئين متعلقين باهداب الامل سامحين للعدوان بربط ارجلنا وايدينا؟ أنأمن عدونا ونرجو رحمته؟ ساعتئذ

الملحق رقم (٢)

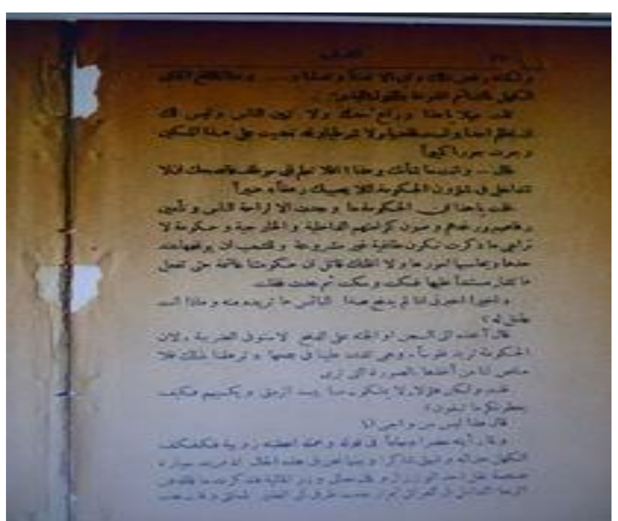


الشباب

العدد ٥ | حزيران ١٩٣٩ | السنة الأولى

الشعر

الشعر والطبيعة





الجباة يأخذون الضريبة بالظلم ١٩١

حال دافعي الضريبة وتلك حال من يأخذها ويتمم بها وعند ما وصلت يتصور أن هذا الحد المستحدثة مريرة واعتقدنا الحال ، ولكن الحكومة تزيد طوسا ، وعندئذ اعتورتني رغبة جازمة لاستقصاء حال دافعي الضريبة في الخارج فاكتب عنهم مرابيا ومليا ومتألما ومثيرا لعاطفة اخواني من الشباب الحي ليقوموا بحركة اجتماعية واسعة لينقذوا هؤلاء العمال والبؤساء مما يعانون

عبد القادر اسماعيل

جميل أن تعطي من يسألك ما هو في حاجة إليه ؛ ولكن أجمل من ذلك أن تعطي من لا يسألك وأنت تعرف حاجته إليك



عبد القادر اسماعيل البستاني



الدفتر التقاعدي لعبد القادر اسماعيل

الإفتِراض الصَّرفيّ في تَأصِيل لَفْظِ الجَلالَة

(الله)

الاستاذ الدكتور
محمد حسين علي زعين
جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم اللغة العربية

مدرس مساعد
زينب حسن ناجي الحسيني
مديرية تربية محافظة بابل

الملخص :

تقومُ مركزيةُ هذا البحث على معرفةِ الجذور اللغوية والتأريخية للفظ الجَلالَة " الله " وأُصوله في اللغاتِ السَّامِيّة والوقوف عند مسألة كونه جامدًا أو مُشتقًّا سواء أكان ذلك عبر الوقوفِ على آراءِ العُلماءِ من أهلِ الصَّرف أم عند المفسرين قَديمًا وحَديثًا فيما يتعلّق بالاختلافِ من حيث الجمودِ والإشتقاق وبيان مواقفهم وآرائهم في ذلك الأمر. ومن ثَمَّ محاولة رصد حُجَجهم في إثباتِ ذلك الإشتقاق بوجودِه أو بعدمه وقد بيَّن البحثُ أنَّ هذا الإشتقاق (مجازي) بمعنى ملاحظة هذه المعاني وتقاربها ، وأنَّ لَفظَ الجَلالَة "الله" لَفظٌ ساميٌّ عربيٌّ قديمٌ شائعٌ ومعروفٌ ومستعملٌ لذلك كَثُرَت الافتراضات والاشتقاقات فيه .

المقدَّمة

الحمدُ لله ربّ العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على أفضلِ أنبيائه ورُسلِه سيّدنا محمد ، وعلى آل بيته الطيبين الأبرار وصحبه الغرّ الميامين .

أمَّا بعد :

فإن لفظَ الجَلالَةِ الله يعني المعبود , وهذا الاسم لم يُطلق إلّا على الخالقِ سبحانه وتعالى ، إذ لا يجوز لأحد من البشرِ أن يُسمّي به بوجهٍ من الوجوهِ وهو أخصُّ وأعظمُ الأسماء ، لأنّه دالٌ على الذاتِ الجامعة للصفاتِ الإلهيّة حتمًا لا يشذُّ منها شيء . فالله تعالى هو خالقُ العالم بكلِ سماواته وأراضيه ومُدبّر هذا الكون وهو يُعلِن عن نفسهِ ويكشفُ عن ذاتِه بقوله :

(**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**) آل عمران : ٢

(**اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**) النور : ٣٥

(**تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ**) آل عمران : ٢٧

وغيرها من الآيات التي تُبيّن قدرته وبأنَّه هو الإله المُستحقُّ للعبادة, وقد انبرى علماءُ العربيةِ بالبحث والتنقيب لمعرفةِ جموده أو اشتقاقهِ ؛ وقد اختلفوا في كونِ لفظِ الجَلاَلة "الله" مُشتقًا أوجامدًا وبناءً عليه لا بُدَّ من الوقوفِ على ذلك , فجاءَ البحثُ يَحمِلُ عنوان :

(الافتراض الصَّرفيّ في تأصِيل لَفظِ الجَلاَلة "الله") لبيانِ ما ذُكِر ومعرفة الافتراضات في أُصولِه وبعد توافِر المادة العلميّة اقتضت طبيعة البحثِ أن يتضمنَ مبحثين وتمهيدًا ومقدّمة ثُمَّ خاتمة وثبتتا بالمصادر وبالمراجع , حَملَ

المبحثُ الأوّل : عنوانًا هو : تأصِيل لَفظِ الجَلاَلَة (الله) عند الصَّرفيين القدماء ، وأهل التفسير والمفسرين , وحَملَ المبحث الثاني : عنوانًا : تأصيلِ لَفظِ الجَلاَلَة (الله) عند المحدثين ، وأهل التفسير والمفسرين ... ومن الله التوفيق .

التمهيد :

تأصِيل لَفظِ الجَلَالَة (الله) في اللغاتِ السَّامِيّة

اللهُ عَلَمٌ من الربِ تبارك وتعالى وهو أعظمُ الأسماءِ وأخصّها ؛ لأنّه دالٌّ على الذاتِ الجامعة للصفاتِ الإلهيّة حتى لا يشذُّ فيها شيء , ولا جمع له في اللغةِ العربيّة , وهو الإلهُ الوحيد في الديانةِ ؛ لذا يُوصَف بإنّه الخالقُ الكُلِّيّ والمشرفُ على الكون(١).

وإذا تتبّعنا تأصِيل أو تأثيل هذا اللفظ في اللغاتِ السَّاميّةِ فسنجِدُ أنّ المجتمعاتِ العربيّة قبل الإسلام لم تكن مجتمعاتٍ إلحادية تنكرُ وجودَ اللهِ تعالى , ولا تجهل أنَّ هناك رَبّا خالِقا رازقا ، بل كانوا يعرفونَ ذلك ، وكان منهم من بقايا التوحيد ، دين إبراهيم النَّبيّ عليه السّلام وعلاقتهم باليهودِ والنصارى موجودة ، لكنَّ مشكلتهم أنّهم لا يُفردونَ العبادة لله تعالى وحْدَهُ بل يُشركون معه آلهة أُخرى وَهُم يعبدُونَها بِحجّةِ أنّها هي الربُّ الخالقُ الرّزاقُ

---

(١) أسماء الله الحسنى ومرادفاتها وتأويلها باللغتين العربية والانجليزية , محمد عبدالمجيد , ص٨ .

ولكِن بالمقابلِ يزعمُون أنّها وسائط بينهم وبَينَ الله تعالى تُقربهم إلى الله الذي هو الخالق[٢]. والدليل قولُه تعالى :

(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) " الزخرف :٩ " فالمجموعة السَّاميّة تَضُمُّ طائفةً من اللغاتِ منها العربيّة ، وهي على قسمين[٣]. :

الأوّل : اللغاتُ السَّاميّة الشماليّة وهي البابليّة القديمة والآشورية والأكاديه والعبرية والآرامية وغيرها .

الثانية : اللغاتُ السّاميّة الجنوبية وهي العربية والحبشية واللغات اليمنية كالحميرية والسبئية وغيرها . وبذلك تكون العربيةُ أقدمَ اللغاتِ السَّاميّة . وأقربها إلى الأُم فجذرُ لَفظِ الجَلالَةِ (الله) في العبرية (إيل) وذُكِر في التوراةِ بالجمعِ أي (بصيغةِ الجمعِ) (الوهِيم) وهذا الجمعُ غايتُه (التعظيم) وهو موجُودٌ في العبرية ولا سبيلَ لانكارِه [٤]، ومثال على ذلك :

" سأل أبثالوم أخيتوُفَلَ قالَ لَه : ماذا نفعل ؟ ولم يقلْ له : ماذا أفعل ؟ فقال له أخيثُوفلَ : " ادخُل على سراري أبيك " فالفعل هنا خاص به

---

[٢] ينظر : هل كان العرب يعرفون الله قبل البعثة النبوية ، موقع الاسلام سؤال وجواب(انترنيت) ٢٠٠٠/١٢/١٩ م ، في لفظ الجلالة الله هل هو اسم مستحدث بعد الاسلام أم اسم قديم؟(مقال) : محمد عبدالله العليان .

[٣] يُنظر : الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث , محمد حسين آل ياسين, ص٤٦٢– ٤٦٣ , والساميون ولغاتهم : الدكتور حسن ظاظا , ص١٨. , والسريانية العربية الجذور والامتداد , ص١٨ , ص٢١ , سمير عبده .

[٤] يُنظر : البيان الصحيح لدين المسيح : ياسر جبر , ص٧٧.

وحده [٥]. وهناك تلميحاتٌ إلى تعليمِ (الثالوث) , كورود اسم الله في صيغِ الجمعِ (إلوهيم) كقولِه : " في البدءِ خَلَقَ إلوهيم السَّماوات والأرض. فـ (الله) جاءَ بصيغةِ الجمعِ ، فكأنّه يقولُ في البدءِ خلقَ الآلهة السَّموات والأرض بصيغةِ الجمعِ ؛ لأنّ المفردَ في العبريةِ (آل) أو (آلوه) والمعنى الواجب التعظيم والخشوع والاحترام والجمع بالعبرية (الوهيم)[٦] ، هكذا :

العبرية ال وَ هـ , ال و هِ ي م. (إلوهِيم) : الله إله . فهو يتكون من (إلوه – يم) مِمَّا يعني " إله " ويضافُ (يم) للتعظيمِ أو الجمع ويستعملُ في العبريةِ لبيانِ غزارةِ القوةِ والعزَّة . ولكنَّ بعضَ النصارى يصرّون على أنّها تعني جمع آلهة . وطبيعة الثالوث أُختُرِعت بعد المسيح (عليه السلام)[٧] ، وهناك من اعترض على هذه الصيغةِ (الجمع) إذ ذكر الأرشيد ياكون نجيب جرجس في تفسيرِ الكتابِ المقدّس[٨] ، أنَّ صيغةَ الجمعِ هنا لا تعني تعدّد الآلهة ، ولكنّها تعني أمرين هما[٩] :

---

[٥] م.ن : ص٧٧ , ويُنظر : الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثاني , ص٤٠٤.

[٦] البيان الصحيح لدين المسيح , ص٧٩.

[٧] يُنظر : القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم : الأستاذ الدكتور خالد اسماعيل علي , ص٢٢ والبيان الصحيح لدين المسيح , ص٨١.

[٨] يُنظر : تفسير سفر التكوين : نجيب جرجيس : ص٣٧.

[٩] البيان الصحيح لدين المسيح : ص٨١ , واسم الجلالة الله واحد في العبرية , العربية والآرامية , (مقال).

الأوّل : إنَّ اللهَ تعـالى الواحـد الأحـد ، والأمـر الثـاني : إنَّ كثيـرًا مـن العلمـاءِ يـرون أنَّ صـيغةَ الجمـعِ (الـوهيم) تشـيرُ الـى مقـامِ الله الواحـد بثلاثـة أقـانيم (الـرب, والابـن والـروح المقـدس) ، وقـد وردت أسـماءٌ لأعـلامِ أشـخاص وُجِدت مضـافةَ إلـى لفظـة (إيل) في بعض اللغات السَّاميّة مثل : ميكائيل – اسرائيل – (أســمُويْل – السَّــموْءل) عَبْديْــل [10] . ويكتب (الوهيــم) هكذا

אלהים أي يتكون من جزأين أولهما אלה السابق الإشارة

ים والثاني وهو لفظُ جمع ، والمعنى (الإله) وأقربُ مُشتق عربي لِلَفظ الوهيم العبرية هو (اللهم)[11].

أمّا في السريانية فالجذر (إيلوُ) , وقيل أصله أيضًا (لاها) (ألوها). (الها) مُعرب بحـذف الألـف الأخيـر ، وإدخـال الـلام عليـه وتفخيم لامـه إذا انفتح ما قبله [12].

لكنّنـا نـرى فـي الآراميـة القديمـة أنَّ (إلاه) ← (إلهـا) هـو لفـظُ الجلالـة ويتكون من حرف الألف א وحرف اللام ל وحرف الهاء ה ويكتبُ من اليمينِ إلى اليسارِ بدون علامات التشكيل هكذا : אלה أمّا مع علامات التشكيل فيأخذ الصورة التالية : אלה

---

[10] يُنظر : الخلاف الصرفي في العربية : ص١٨٧.

[11] يُنظر : في لفظ الجلالة الله هل هو اسم مستحدث بعد الإسلام أم اسم قديم ؟ , محمد عبدالله العليان (مقال).

[12] يُنظـر : الخُـلاف الصـرفي فـي العربيـة : ١٨٧, أنـوار التنزيـل وأسـرار التأويـل : للبيضاوي : ٢٦/١, القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم : خالد اسماعيل , ص٢٢.

إذ يُنطَق هكذا : " إلـه" [١٣] وما نحنُ بصددِه فانَ أغلبَ هذه اللغات اندثرت , ذلك أنّ أي صيغة مفردة لكلمةٍ عبريةٍ لا نستطيعُ الوصول إلى جذرِها من القاموسِ العبري ؛ لأنَّ الكلمةَ غير موجودة في التصريفِ الثالث , لذا نلجأُ إلى اللغة العربية ؛ للبحثِ عن الجذرِ بوصفِها لُغةً حيّةً وهي الأوفر من حيث المفردات وهي تَمدّنا بالمصطلحاتِ العبرية الناقصة [١٤].

فصفوة القول : إنّ الله تعالى اسمُ عَلَم ولا يُطلق إلّا عليه ولا معبود سواه وهو الاسم الأساسي ، ويستخدمه العرب سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين . وهذا اللفظُ لَهُ أصلٌ سامٍ في العبرية (إيل) وفي السريانية (الها) وفي الآرامية (إلاه) , وفي السبئية (إلـه) وهذا كُلّه قريب من لفظِ الجَلاَلـه (الله) ؛ لأنّهم كانوا يعرفونها قبل الاسلام ، ولكن لا يفردونها للعبادة .. بدليل الآية القرآنية (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) " لقمان : ٢٥".

---

[١٣] في لفظ الجلالة الله هل هو اسم مستحدث بعد الإسلام أم اسم قديم ؟ محمد عبدالله العليان (مقال).

[١٤] اسم الجلالة (الله) واحد في العربية والعبرية والآرامية : ياسر جبر (مقال), ٢٠٠٩ م.

المبْحَث الأَوّل

تأصِيل لَفظِ الجَلاَلَة (الله) عند الصَّرفيين القدماء وأهل التفسير والمفسرين

أولا : آراء القُدماء من أهلِ الصَّرف :

تُوِّج كلامُ العربِ بعنايةٍ خاصّة لِلَفظ الجَلاَلة (الله) من لَدُن أهلِ اللغة والصَّرف ومن قبلِ المفسرين سواء أكانوا من القُدماءِ أم من المحدثين , نذكرُ من القُدماء الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت–١٧٠هـ) فقد ذكرَ في معجمهِ في مادة (أله).

"اللهُ لا إله إلّا هو وحده , وتقولُ العربُ : الله ما فعلت ذلك تُريدُ : والله ما فعلته والتألَه : التَّعَبُّد ... وقولهمُ في الجاهليه الجَهلاء : لاهِ أنت , أي للهِ أنت , ويقولون :لاهم"[١٥]. وقالَ : "واللهُ لا تطرحُ الألف من الاسم إنّما هو اللهُ على التَّمامِ ، وليس اللهُ من الأسماءِ التي يجوزُ منها اشتقاق فِعْل كما يجُوز في الرَّحمن الرَّحيم"[١٦] بمعنى أنّ لَفظَ الجَلاَلة (الله) عنده غير مشتق على الرغمِ من وضوحِ أصليتة من قِبَلهِ.

ففي الجاهلية كانوا يُسمّون الأصنام التي يعبدونها آلهة, ويُسمّون الواحد(إلاها) , افتراءً على الله, ويقرأ قوله تعالى : (**وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ**) ويَذَرك

---

(١٥) معجم العين مادة (أله) : ٩٠/٤–٩١.

(١٦) معجم العين : ٩١/٤.

والاهَتَك أي :عبادتك [١٧] ولكنّ الزَّجاجيّ (ت ٣٤٠هـ) ذكرَ قولا للخليلِ مفاده.

قالَ الخليلُ بن أحمد : " أصلُ إله وَلَاه من الوَلَه والتَّحيّر وقد أُبدِلت الواو همزة ؛ لإنكارِها فَقيل : " إله " كما قيل في وِعاءِ إعاء , وفي وِشاح اشاح ، ثم أُدخِلت عليه الألف واللام وحُذِفت الهمزة فقيل : " الله " ... وكأنّ معناه على هذا المذهب أن يكون الوَلَه من العبادِ إليه ... الوَله والتحّير من العبادةِ إليه؟ [١٨]

بمعنى انّه جعلَهُ مُشّتقا من (وَله , يَوْلَه وَلَهًا) بمعنى التَحيّر ؛ لأنّ الخلقَ والهٌ نحوه أي مُتحيّر, ذلك أنَّ (أله) لفظٌ مشتركٌ بين معانٍ , وهي العبادة, والسكون , والتَّحيّر والفزع . هذا يعني أنَّ الهمزة أصليّة , الألف قبل الهاء زائدٌ .

فأصلُ لَفظِ الجَلاَلة (الله) (الْإِلَه) كقول الشاعر : البُعيث بن حُرَيث[١٩]. :

مَعَاذَ ٱلإلَه أن تكون كظبية وَلادَمية وَلا عقيلة ربرب

---

[١٧] ينظر : م.ن ٩١/٤ ، جامع البيان في تأويل القرآن :١٢٣/١ ، لفظ الجلالة الله في العربية ، بحث ، الدكتور محمد يحيى سالم .

[١٨] اشتقاق أسماء الله : للزجاجي : ص٢٦-٢٧ ويقول انظر قول الخليل في العين- المخطوط , ١١٥/٢,وينظر : مقاييس اللغة (أله) : ١٢٧/١.

[١٩] يُنظر : المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم : ١ /٦٨ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي :١٤٢/١ ، اللباب في علوم الكتاب للدمشقي : /١٣٩-١٤٠ ، خزانة الأدب ولب لسان العرب للبغدادي :٢٧٧/٢.

فالتقى حرف التعريف مع اللام , فأُدغم فيها وفُخِّم ، أو أنّ الهمزة من الإلَه, حُذِفت للثَّقْل بمعنى : إنّا نقلنا حركتها إلى لام التعريفِ وحذفناها بعد نقل حركتها ، ثم حصل إدغام لام التعريف لمّا تقدّم ، وهذا النقلُ لازمٌ ؛ لكثرةِ الاستعمال.

أمّا سيبويه فقد قالَ : "... وكأنَّ الاسم واللهُ أعلمُ إلهٌ , فلمّا أُدْخِلَ فيه الألفُ واللام حذفوا الألفَ وصارت الألفُ واللامُ خَلَفا منها , فهذا أيضا مِمّا يُقوّيه أن يكون بمنزلة ما هو من نفس الحرف. ومثل ذلك أُناسٌ , فإذا أَدْخلتَ الألفَ واللام قلت النَّاس؛ إلّا أنّ الناس قد تفارِقُهم الألفُ واللام ويكون نكرةً , واسمُ الله تبارك وتعالى لا يكونُ فيه ذلك" [٢٠]

يُفهم من كلامِ سيبويه أنّ لَفظَ الجَلاَلة (الله) عنده مُشتقٌ من (إله), دَخلَتْ الألفُ واللام عليه , فَسقطتْ الهمزة, والألف واللام عند سيبويه عوِضٌ من الهمزةِ [٢١]. أي من ألَه الأصل يَأله الاهه (عبادة) [٢٢] وعلى ذلك يكون (إله) على وزن (فِعَال). هذا الاشتقاقُ الأوّل عند سيبويه , أمّا الاشتقاق الثاني عنده فهو : إنَّ الأصل في لَفظِ الجَلاَلة (الله) (لأله) فحُذِفت لام الجر ، وهي تُسمّى بـ (لام الإضافة) , وألف ولام التعريف فلم يبقَ إلّا (لاه) , والأصل منها (إله) [٢٣].

---

[٢٠] كتاب سيبويه :٢/١٩٥-١٩٦, ويُنظر : الخصائص : لابن جني ١/٢٢٦ ، والمخصص : ٥/٢١٦.

[٢١] يُنظر : النكت في كتاب سيبويه : يوسف بن سليمان : ١/٥٤٧.

[٢٢] شرح المفصل : لابن يعيش , ١/٣.

[٢٣] يُنظر : كتاب سيبويه : ٣/٤٩٨, اشتقاق أسماء الله : للزَّجّاجيّ , ص٣٣ , الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية : للجوهري : ٦/٢٢٤٨.

يُفهم من ذلك ومِمّا ذُكِرَ أنّ سيبويه عنده لَفظِ الجَلاَلَة (الله) على اشتقاقين :

الأوّل : إله والوزن له (فِعَال) وبعد دخول الألف واللام , وحذف الألف يكون الوزن (العَال).

حذف الألف
إله ← الإله ——— ← الله ← العَال

الثاني : لَاه وبعد دخول الألف واللام, صار (الله) والوزن (فَعَل)

لَاه ← الله ← الوزن (فَعَلَ) وذلك بعد حذف الألف ، وقد مثّلَ سيبويه ذلك بكلمة (النّاس) ، وأَنّ أصلها (أُناسٌ) ، فلمّا أُدخِلَت (أل) التقى ساكنان فحُذِفَت الهمزة وأُدغِم واحد في الآخر فصار (النّاس) وكذلك (الله) مأخُوذ من (الاءله) الذي يؤله, وتألَهه القلوب وتحبُّه وتؤوب إليه رغبةً ورهبةً وخوفًا ورجاءً [٢٤].

نقولُ : المعروفُ أنَّ الاشتقاقَ تكون له مادة تتقدّم عليه وتشتقٌّ منه , ولكن هنا الاشتقاق ليس من هذا القبيل , انّما الإشتقاق هنا (اشتقاق مجازي) بمعنى ملاحظة المعاني وتقارب هذه المعاني ، فهو المقصود لا الحقيقي ، والسبب في ذلك أنّ الأوّلَ فيه إبهام ، وهو أسبقية المشتق منه على المشتقِّ ، وأسماء الله كُلّها قديمة وقيل : إنّ اسمه تعالى"الله" دالٌّ على صفةٍ له سبحانه وهي الإلهيّة أو الألوهية كسائر أسمائه الحُسنى القدير ,

---

[٢٤] شرح كتاب التوحيد : عبد بن محمد الغنيمان, الكتاب مصدره دروس صوتية ورقم الجزء هو رقم الدرس – ١٤٢ درسا (أنترنيت).

والسَّميع, والعليم , وهي أسماءٌ مُشتقّةٌ من مصادرِها وهي قديمة , ولا يعنون بالاشتقاق إلّا لملاقاة التامَّة للمصدرِ في اللفظِ والمعنى , أي مُتولّدة عنها تولّد الفرع على الأصل [٢٥].

وهناك من نفى هذه الأصليّة لِلَفظ الجَلاَلَة (الله) ألَا وهو المازني (ت-٢٤٩هـ) ، إذ ذهب إلى أنّ لفظَ الجَلاَلة (الله) اسمٌ هكذا موضوع لله عَزَّ وجل وليس أصله " إلَه " ولا " ولاه " ولا " لاه " قال : " والدليل على ذلك إنّي أرى لقولي" الله " فضلٌ ومزيةٌ على " إله " وأنّي أعقلُ به مالا أعقل بقوله " إلَه" "[٢٦].

ولكنّه يُعطي دليلا آخر بناءً على اعتراض العباس بن الفرج الرياشي البصري (ت ٢٥٧هـ) وهو : بأنّه لو كان أصله : " الإلَه " لكان مقتضاه في الحالين واحدًا كالأُناس والناس حيث هما بمعنى واحد فَلفظ الجَلاَلة (الله) يختلفُ عن معنى الإله " بالإتفاق . فلفظ " الله " عَلَم لذاتِ الواجب الوجود , وأمّا "الإله" فهو اسمُ جنس يشملُ كُلّ معبود سواء أكان معبودا بحقٍ أو بغير حقٍ , وإن كان قد غلبَ على المعبودِ بحقٍ في عُرْف الشرع [٢٧] ، وبهذه الأدّلة للمازني تبيّن أنّ لفظ الجَلاَلة (الله) ليس أصله "إلاله" أي ليس

---

[٢٥] يُنظر : كتاب معنى لا اله الاّ الله : ١١٤, أصل لفظ الجلالة الله عند سيبويه (مقال) , ٢٠١٤م.

[٢٦] اشتقاق أسماء الله للزَّجّاجي : ص٢٨-٢٩, وينظر :مجالس العلماء : ص٦٩ , ومعنى لا إله إلّا الله : للزركشي هامش ص١١٢, المحرر الوجيز في الكتاب العزيز : ٦٣/١.

[٢٧] معنى لا اله الا الله : للزركشي : ١١٢-١١٣.

مشتقًا ، وعند المبرّد (ت ٢٨٥هـ) أَنّه اسمُ عَلَم , وقد اعترضَ على سيبويه في معاملةِ الألف معاملتين من أنَّهما حرف زائد من (إله) ← فِعَال وحرف أصلي في (لَاه) ← فَعَل.

فقال : " وزعم سيبويه أنّ أصل هذا : إلاه وأنَّ الألف واللَّام بدل من همزة إلَه , فقد صار يُميّز له مِمّا هُوَ من نفسِ الحرف ، إذ كانا بَدلا منهُ ، وإنّما إثباتهم الألف في قولهم : يا أللہ فكأنّما ثبتَ مع ألف الاستفهام في قولك : آلرجلُ قالَ ذلك؟.. " [٢٨].

ونكرانه على هذه المعاملة تمثّلت بأنَّ هذا نقض ذاك ؛ لأنّه قالَ أوّلا أنَّ الألف زائدةً ؛ لأنّها ألف فِعَال ، ثم ذكرَ ثانيا بأنّها عين الفعل [٢٩] ، ونكرانه هذا وُجِدَ من يردّه من لَدُن ابن سيده (ت ٤٥٨هـ) ووصفه بأنّه ليس نقضًا لأنّه لم يكن في حرفٍ واحدٍ في كلمةٍ واحدةٍ وتقديرٍ واحد أنّه زيادة ، ولو كان هكذا لكان فعلا أنّه نقضٌ ومغالطة ولكن إذا كان من أصلين مختلفين لم يمتنع أن يُحكم بحرف منها أنّه أصيل [٣٠].

فأغلب الآراء تكادُ تكون متوافقة أو قريبة من ناحية الاشتقاق فالزَّجاجيّ يذكرُ لنا أنّ كلا من : يونس بن حبيب (ت١٨٢هـ) , والكسائي (ت١٨٩هـ) وقطرب (ت٢٠٦هـ) , والفراء (ت٢٠٧هـ) ، والأخفش(سعيد بن مسعدة)

---

[٢٨] المقتضب : للمبرّد : ٢٤٠/٤.

[٢٩] البحث الصرفي عند زكريا الأنصاري : شكران أحمد ، ١٣٤ .

[٣٠] يُنظر : البحثُ الصَّرفي عند زكريا الانصاري (ت٩٢٦هـ) : شكران احمد ١٣٤-١٣٥.

(ت٢١٠هـ) ، ذكروا أنَّ الأصلَ في لَفظِ الجَلاَلَة (الإله) ، ثم حُذِفت الهمزة تخفيفًا فاجتمعت لامان , فادغمت الأُولى في الثانية فقيل (الله) فاله "فعال" بمعنى مفعول كأنّه مألوه ، أومعبود مستحق للعبادة [٣١].

وعند أبي حاتم الرازي(ت٣٠٢هـ) أصله من (أَلِه) بمعنى تحيّر ومُشتق من(ألِه–يَأله) كأَنَّ القلوبَ تتحيّر في عظمتِه [٣٢].ومِمّن اتَّفق مع سيبويه في الاشتقاق الذي ذهبَ إليه من (أله) هو ابن عصفور(ت٦٦٩هـ) الذي قال : " فجاء الحذفُ في الهمزةِ على غيرِ قياس في" الله" ، وأصله " إله " ... "[٣٣]. وعليه فإنَّ ما عُرِض من الآراءِ كانت لأهلِ اللغةِ والصَّرفِ من القدماءِ وتباينت آراؤهم في تأصيلِ لفظِ الجَلالَة " الله " وكانت عيّنة منهم ، وأمّا آراء أهل التفسير من القُدماءِ فهي :

ثانيا : آراء القُدماء من المفسرين :

ذكر أبو جعفر الطبريّ (ت–٣١٠هـ) أنَّ " التألُّه " : التفَعُّل من : " ألَه – يَأله" ، وأنّ معنى "ألَهَ"– إذا نُطِق به – : عَبَدالّلهَ ، فـ "الله" أصلَه "الإله" , أسقطتَ الهمزةُ التي هي فاء الاسم , فالتقت اللام التي هي عين الاسم , واللام الزائدة التي دَخلتْ مع الألف الزائدة وهي ساكنة فأدغمت في الأُخرى التي هي عينُ الاسم ، فصارتا في اللفظِ لامًا واحدةً

---

[٣١] يُنظر : اشتقاق أسماء الله للزّجّاجي : ص ٢٣– ٢٤ .

[٣٢] يُنظر : الزينة في الكلمات الاسلامية العربية : ١٩/٢, الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : ٢٢٢٣/٦ .

[٣٣] الممتع في التصريف : لإبن عصفور : ٦١٩/٢ , المقرب : لابن عصفور ص٥٥٩.

مشددةً [٣٤] ، وقد بيّن الماوردي (ت ٤٥٠هـ) أَنَّ هناك قولين في لَفظ الجَلالَة "الله" [٣٥]

أحدهما : إنّه اسمُ عَلَم لذاتِه, غير مشتق من صفاتِه ؛ لأنَّ أسماء الصّفات تكون تابعة لأسماءِ الذات.

القول الثاني : أنَّه مُشتق من (أَلَه) , صارَ باشتقاقِه عند حذف همزه ، وتفخيم لفظة الله . وهذا الاشتقاق أيضا أُختلف فيه :

فالأول : إنَّه مُشتقٌ من الوَلَه ؛ لأنَّ العباد يألَهون إليه , أي يفزعون إليه في أُمورِهم , فقيل للمألوه إليه إله.

والقول الثاني : إنّه مُشتق من الأُلوهية , وهي العبادة من قولهم فُلان يتألّه , أي يتعبّد .

وعنده الاشتقاق من اشتقاق العبادة يعني يكون صفة لازمة لذاتِه ؛ لأنَّه لم يزلْ مُستحقّا للعبادةِ وهذا عنده أصحّ القولين أي أصحُّ من اشتقاقِه من فعلِ العبادةِ ؛ لأنَّه لو كان كذلك لَلَزِم تسمية عيسى عليه السلام إلهًا, وفي بطلانِه دليلٌ على اشتقاقِه من استحقاقِ العبادة لا من فِعلِها [٣٦].

---

[٣٤] يُنظر : جامع البيان في تآويل القرآن : أبو جعفر الطبري : ١/ ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦.

ويُنظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن : أبو اسحاق أحمد بن محمد الثعلبي : ٩٧/١.

[٣٥] يُنظر : النكت والعيون : أبو الحسن علي بن محمد المارودي : ٥٠/١.

[٣٦] ينظر النكت والعيون : للماوردي : ٥١/١.

وعند الزمخشري (ت٥٣٨هـ) فـ (الإلـه) أصـل لِلَفظ الجَلاَلـة (الله) , فَحُذِفت الهمزةُ وعوّض عنها حرف التعريفِ لذلك قِيل في النداء : ياألله بالقطع , كما يُقال ياإله من أسماء الاجناس [٣٧].

لكنّنا نجدُ اشتقاقا آخر عند القرطبي (ت ٦٧١هـ) فبعد أن ذكرَ رأيا لسيبويه والخليل وآراء ذُكِرت يذكرُ رأيا آخر مفاده أنَّ لَفظَ الجَلاَلَةِ مُشتقٌ من الارتفاع ، فكانتْ العربُ تقول : لِكُل شيء مرتفع : "لاَها" فعلى سبيل المثال إذا طَلعت الشّمسُ كانوا يقولون عنها : إنّها لاَهَتْ[٣٨]. وقيل : هو مُشْتَقٌ من أَلَهِ الرَّجُلُ إذا تنسَّك [٣٩] ومن ذلك قوله تعالى : **ويَذَرَكَ وآلِهتك**". وقيل : إنَّ الأصلَ فيه (الله) الهاء التي هي الكناية عن الغائب , وذلك أنّهم أثبتوهُ موجُودًا في فِطر عُقولهمْ فأشاروا إليه بحرفِ الكنايةِ ثم زيدتْ فيه لام الملْك إذ قد عَلِمُوا أنّه خالقُ الأشياء ومالِكها فصار لهُ ثم زِيدتْ فيه الألف واللام تعظيمًا وتفخيمًا [٤٠]. هـ (الأصل) إشارة الى حرف الكناية ← زيادة اللام ← لَه ← زيادة ألف ولام ← الله (لفظ الجَلاَلَة) .

لكنَّ الدمشقي (ت٧٧٥هـ) عَدَّ(الارتجال أو اللفظ المرتجل) أعرف المعارفِ وهو الصواب عندما بيّن اختلاف الناس في ذلك هل هو مُرتجل

---

[٣٧] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : للزمخشري : ١/٥-٦.

[٣٨] الجامع لأحكام القرآن : شمس الدين القرطبي ١٠٣/١.

[٣٩] م.ن : ١٠٣/١ , ويُنظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ابن عطية) ٦٣/١ , زاد المسير في التفسير (لابن الجوزي) , ١٦/١, أنوار التنزيل وأسرار التأويل : للبيضاوي ٢٦/١.

[٤٠] الجامع لأحكام القرآن : شمس الدين القرطبي ١٠٣/١.

أو مُشتق ؟ فرجّحَ الأوّل لأنّهُ ذكر أنَّه حُكِي أنَّ سيبويه رُؤيَ في المنامِ فقيل : ما فَعَلَ اللهُ بِك؟ فقال : خيرًا كثيرًا لِجَعل اسمه أعرف المعارف[٤١].

وتابعَ بذلك الرازي (ت-٦٠٦هـ) الذي كان رأيَه أسبق في القولِ بأَنَّ لفظَ الجَلالةِ (الله) اسم علم لله تعالى, وأنّه ليس بمُشتقَ , وهو قولُ الخليل وسيبويه وقولُ أكثر الأصولين والفقهاء [٤٢] ويَدُلُّ عليه وُجُوهٌ , وحجج سنذكرها لاحقًا.

---

[٤١] يُنظر : اللباب في علوم الكتاب : أبو حفص الدمشقي : ١٣٨/١.

[٤٢] يُنظر : مفاتيح الغيب = التفسير الكبير : للرازي, ١٤٣/١-١٤٤.

المَبْحَث الثاني

تأصِيل لَفظِ الجَلاَلة (الله) عند الصرفيين المحدثين وأهل التفسير والمفسرين

أولا : آراء المحدثين من أهلِ الصّرف ومن المفسرين في تأصِيلِ لَفظِ الجَلاَلةِ (الله).

ذكرَ الدكتور أحمد مختار عمر أنَّ لَفظَ الجَلاَلة (الله) لفظٌ مُشتقٌّ أي أنَّ الذين قالوا باشتقاقه قد اختلفوا في أصلِه : فمنهم مَنْ جَعلَه مُشتقّا من أَلِهَ الرجل إلى الرجل إذا فزع إليه من أمرٍ نزل فآله أي أجاره وآمنه وكذلك من (وَلَه- يوله) والوَله المحبّة الشديدة واشتقاقه من الوَلَه ، لأنَّ قلوبَ العبادِ تُوله نحوه كقوله تعالى : (**ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ**) " النحل : ٥٣" ، ومن " أَلِهِ يأله " إذا تحيّر ، لأنَّ العقولَ تتحيّر عند التفكّر في عظمتِه من " أِلهَ يَألَه " بمعنى عبَدَ يَعبُدُ والتألّه التعبُّد فمعناه المعبود . من " لَاه يَلُوه " إذا احتجب أو إذا ارتفع . ومن أله بالمكان إذا اقام فيه ، هذه الأقوال نقلها الدكتور من دونِ إبداء رأي خاص به بدليلِ أنّه يذكرُ أَنَّ بعضهم قد أوصلَ معنى لَفظِ الجَلالة إلى عشرين قولا [٤٣] وقال : " وقد ذهبَ بعضُ اللغويين إلى أنَّ لَفظَ الجَلاَلة " الله " أصلَه " إله " فَحُذِفَت همزته

---

[٤٣] يُنظر : أسماء الله الحُسنى دراسة في البنية والدلالة , الدكتور أحمد مختار عمر : ص٢٥.

وأُدخلت عليه الألف واللام فخصَّ بالله تبارك وتعالى اللفظ ومعناه من ألِه الرجل : " لجأ " ، أو"تحيّر" ، أو عبدَ " [٤٤].

ومنهم من رَجّحَ أنَّ أصله (الإله) والإله في لُغةِ العرب أُطلِق لمعانٍ أربعة هي : (المعبود ، والملجأ ، والمفزوع اليه ، والمحبوب) , والله تبارك وتعالى هو الذي تألهه قلوب العباد حُبًّا وذلا وخُوفًا وطاعةً وكُلّ معبود سواه باطلُ ومعناه أيضا مألوه, المعبود : هو الذي تألهه القلوب أي تحبّه وأصل (التألّه) : التعبّد [٤٥].

والدكتور فاضل السامرائي يجعلُ اشتقاق لَفظِ الجَلاَلة (الله) من العبادةِ ويراه مناسبًا لقوله تعالى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) فهو مناسبٌ للعبودية وهو مأخوذٌ من لفظِ (الإله) أي المعبود و (ألِه) معناه عَبدَ فكان لفظُ (الله) مناسبًا للعبادةِ فقد اقترنت العبادةُ أكثر ما اقترنت بلفظِ الجَلاَلة في القرآن الكريم في أكثرِ من خمسين موضعًا [٤٦].

وقد توصَّلَ أحدُ الباحثين إلى أنَّ أصل لفظ (الله) هو (الإله) وحُذِفَتْ منه الهمزة للاختصاص بالعَلَمية على المولى , عزَّ وجل , وأنَّ اللفظَ عربيٌّ من أصلٍ سامٍ فهو من الساميَّة الأُمّ وليس عربيًّا فقط ، والألفاظ المتناظرة

---

[٤٤] م.ن : ٢٥.

[٤٥] يُنظر : أسماء الله الحُسنى معانيها وجلالها : ماهر مقدم : ٢٨ , ١٨٧, ويُنظر : تفسير أسماء الله الحُسنى : للسعدي : المقدمة .

[٤٦] يُنظر : لمسات بيانية في نصوص من التنزيل : الدكتور فاضل السامرائي , ويُنظر : لفظ الجلالة (الله) في أصل الوضع العربي ودلالته , الدكتور نافع بهلول الجبوري , المدرس المساعد محمود عباس الحشماوي , ص١٠, (بحث).

الدالّة على معنى (الله) أو (إله) في اللغات السَّاميّة إمّا ذوات أُصول ثنائية صامتة (الهمزة واللام) وإمّا ذوات أُصول ثلاثية صامتة (الهمزة واللام والهاء) ، وهذا يُؤكد أنَّ الهمزة في اللفظِ (إله) أصليّة في العربية [٤٧].

نوَدُّ أن نُنَوه الى أنَّ الكلامَ على تأصِيلِ لفظِ الجَلاَلة (الله) قد تطرّقَ إليه القدماء والمتأخرون بشكلٍ واسعٍ ومفصّلٍ مِمَّا جَعَلَ الكثير من المحدثين عند التطرّق لهذا الموضوع يلجؤون إلى بيانِ آراءَ القدماءِ ورُبّما الأخذ بها ، وهذا ما اطّلَعنا عليه عبر الكثير من البحوثِ الحديثة وهناك صعوبة في التطرّقِ للموضوعِ من ناحيةِ المصادر حتَّى وان وُجِدت فهي تذكرُ آراءَ القدماءِ وبشكل مُفصّل بعض الأحيان.

أمّا بشأن هذه الاشتقاقات بالنسبة لِلَفظ الجَلالة (الله) فبرأينا المتواضع أنَّها تُعدَّ افتراضات وهذه الافتراضات ، مُمْكن القبول بها من عدمِه ، فاذا كان الأمرُ الأول فهذا يعني جواز إطلاقها على ما يُعْبَد . بحقٍ أو بغير حق بشكلٍ مُطلق وهذا لا يجوز ؛ لأنَّ اللهَ تعالى عَلَمٌ خُصِص بالذات الإلهيّة ، وهو المعبودُ الذي يُعبَد بحقٍ لا غير ويحملُ كُلَ الصّفات .

أما المفسرون المحدثون فلهم رأيٌ في تأصِيل لَفظِ الجَلاَلة (الله) فقد ذَكرَ الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) [٤٨] ، أنَّ اللهَ عَلَمٌ لذاتِ الواجبِ الوُجُود لم

---

[٤٧] لفظ الله دراسة في التأصيل المعجمي في السامية والخصائص المورفولوجية والتركيبية والدلالية , الدكتور محمد رجب الوزير , ص٥٩ , ويُنظر : أصل لفظ الجلالة (الله) في اللغة : الشيخ وحيد عبدالسلام بالي , ٢٠١٧/٩/١٧م .

[٤٨] يُنظر : فتح القدير : للشوكاني, ٢١/١.

يُطلَق على غيره وأصلُه " إلَـهٌ " حُذِفَت الهمزةُ وعُوِّضت عنها أداة التعريف فَلَزمت وكـان قبلُ الحـذفِ من أسماءِ الأجنـاس يقـعُ علـى كُـلّ معبـود أو باطل , ثم غَلَب على المعبودِ بحق , كالنَّجم فهو قبل الحذفِ من الأعلامِ الغاليـة , وبعده من الأعـلام المُختصّـة , بمعنـى أنَّ الأصلَ عنده (إلَـهٌ) ، إلَه ← حذف همزه له ← اضافة الف ولام ← الله .

أمّا صاحب تفسير (المنار)[٤٩] (ت١٣٥٤هـ فعنده اسم الجَلاَلـة (الله) عَلَمٌ على ذاتِ الباري سبحانه وتعالى تجري الصفاتُ ولا يُوصف به فعنده لَفظ (الإلـه) صفة والمعنى الشرعي لها : المعبُود بحقّ لذلك أنكرَ القرآنُ عليهم تسمية أصنامهم آلهة , والتحقيق أنَّه أنكرَ عليهم تأليهها وعبادتها , لا مُجردِ تسميتها وقد سمّاها آلهة في قوله تعالى :

(**فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**) "هود : ١٠١" ونحنُ الذي بصددِه يُؤكد أنَّ لَفظَ الجَلاَلـة عَلَمٌ يُوصَفُ ولا يُوصَفُ به ، لأنّ أسماء الله الحُسنى صفات تجري على هذا الاسم العظيم ، ولكونِها صفات وُصِفت بالحُسنى كقولِه تعالى : (**وَلِلَّـهِ الأَسْـمَاءُ الْحُسْـنَى**) " الأعراف : ١٨٠"

أمّا ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ) فأصل الاسم عنده (الإلَـهُ) بالتعريف وهو تعريف "إلاه" الذي هو اِسم جِنْس للمَعْبُودِ مُشتقٌ من "أَلَـه" بفتح اللام بمعنى عَبدَ أو من "ألِه" بكسرِ اللام بمعنى تحيّر ، فقد استبعدَ تعريفَ الألفِ واللام للفظِ (إله) إذ يقول :" وإنَّنا لم نقفْ على أنّ العربَ أطلقوا الْإلَـهَ مُعرّفا باللام

---

[٤٩] تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) : محمد رشيد بن علي : ١/٣٧-٣٨.

مفردًا على أحدِ أصنامهم ، وإنّما يضيفون فيقولون إلاه بَنِي فُلانٍ ... فلمّا اختصَّ الْإِلَهُ بالْإِلَهِ الواحد واجب الوجود اشتقُّوا له من اسم الجِنْس عَلما زيادةً في الدَّلالةِ على أنّه الحقيقُ بهذا الاسم غير جائز الإطلاق على غيره سُنن الأعلام الشَّخصيَّة " (٥٠).

أمّا صاحب الميزان(٥١) فالأصل عنده في لَفظِ الجَلاَلة (الإله) وقد حُذِفَت الهمزةُ لكثرةِ الاستعمال , وإلَه من (ألَه الرجلُ يأله) بمعنى عَبدَ, أو من (ألِه الرجلُ) أو من (ولَه الرجلُ) أي تحيّر فهو فِعَال بكسرِ الفاء بمعنى المفعول كـ (كِتاب) بمعنى (المكتوب) وَعَلَّل سبب تسمية الإله إذ قال : سُمّيَ إلها ؛ لأنَّه معبود ، أو لأنّه مِمّا تحيّرت في ذاتِه العقول والظاهر أنّه عَلَمٌ بالغلبة ، وقد كان مُستعمَلا دائِرا في الألسنِ قبل نزول القرآن يعرِفُه العربي الجاهلي . كما يشعر به قوله تعالى : (**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**) " الزخرف : ٨٧ " ، وقوله تعالى : (**هأذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا)** " الأنعام : ١٣٦ " .

ومِمّا يدلُّ على كونه عَلَمًا أنّه يُوصفُ بجميع الأسماء الحُسنى سائر أفعاله المأخوذة من تلك الأسماء من غيرِ عكس فيقال : الرحمن الرحيم : ويُقال : رحمَ اللهُ , رزقَ اللهُ ولا يقعُ صفة لشيء منها ولا يُؤخذ منه ما يُوصفُ به شيء منها فهو واجب الوجود المستجمع كجميع صفات الكمال ، فالطباطبائي بيَّن الأصل ، ومِمَّ اشتق ، ثم ذكرَ وجود هذا الاسم

(٥٠) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد : لابن عاشور : ١/ ١٦٢-١٦٣ .

(٥١) ينظر : الميزان في تفسير القران : محمد حسين الطباطبائي : ٢١/١.

قبل الاسلام مُسندا كلامَه بدليل من الآيات القرآنية , ثم بين أنّه لا يقع صفة[٥٢].

وصاحب كتاب الحاوي يذكرُ ثلاثة أقوال بما يتعلّق للفظ الجلالة (الله) [٥٣] :

الأول : إنّه مُشتّق من ألهت إلى فلان أي : سَكنتْ إليه ، فالعقول لا تكن الاّ إلى ذكره والأرواح لا تعرجُ إلّا بمعرفتِه وبيانِه من وجودِ الأوّل, والكمال محبوبُ لذاتهِ ومألوف وما سوى الحق فهو ناقص لذاتِه , والناقص بذاتِه لا يكتملُ إلّا بتكميلِ الكامل بذاتِه ، إذ كُل ما سواه فهو مُمْكن لذاتِه , والمُمْكن لذاتِه لا يقفُ عند نفسه ، بل يبقى متعلّقا بغيره ؛ لانّه لا يوجد إلّا بوجودِ غيره فعلى هذا كُل مُمْكن فإنَّه لا يقفُ عند نفسه بل مالم يتعلّق بالواجبِ لذاتِه فهذان الوجهان عليهما التعويل في تفسيرِ قوله تعالى : (**أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**) " الرعد : ٢٨ ".

الثاني : من قالَ إنّه مُشْتقٌ من " الوَله " وهو ذهابُ العقلِ . فالخلقُ قسمان أ. واصلون إلى ساحلِ بحر معرفته أي إلى عالم الأنوار ب. وقسم محرومون أي بقوافي ظُلمات الحيرةِ والجهالةِ والغبار.

الثالث : من قالَ انّه مُشتقٌ من "لَاه" إذا ارتفع والحقُّ سبحانه هو المرتفعُ عن مشابهة المُمْكنات ومناسبة المُحدثات لأنَّ الواجبَ لذاتِه ليس

---

[٥٢] م.ن :٢١/١.

[٥٣] ينظر : كتاب الحاوي في تفسير القران (جنّة المشتاق في تفسير كلام الملك الخلّاق) , عبدالرحمن بن محمد القماش , ص٢٢١ .

إلَّا هو والكامل لذاته ليس إلَّا هو. وسبحانه أعلى من أن يكون عُلُوه بسبب المكان , وأشرف من أن ينسب إلى شيء ومِمَّا حصلَ في عالمِ الإمكان.

ثانيا : ورود أربعة تراكيب مُتضمّنة لَفظ الجَلاَلَة (الله)

تنـاولَ العلمـاءُ هـذه التراكيـب بالدراسـة والـتمعّن ؛ لانّهـا مُتضـمّنة لفـظ الجَلاَلَة (الله) ومنها :

١. لَهْى أبوك : هذا التركيبُ فيه قلبٌ مكاني فهي في المفردة (لَاهٌ) " فقلبوا العين إلى موضعِ اللام وبُنِيَ على الفتحِ ، لتضمّنه لام التعريف كما بُنِيت (آمين) ، وكذلك يدُلك أنّ الثانية فاء الكلمة ، وليست الجارّة فتحها ، وليس بعدها ألف ولام , ولام الجر مع الظاهر مكسورة في اللغةِ الفاشية المعمول بها " [٥٤].

وقال ابن يعيش (ت٦٤٣هـ) : " ورُبّما قالوا لَهى أبوك فقلبوا اللام إلى موضع العين وأسكنوا ، لانَّ العينَ كانت ساكنة وهي الألف ، وبنوه على الفتحِ ، لأنَّهم حذفوا منه لام الجر ولام التعريف وتضمَّن معناها فبُنِيَ لذلك كما بُنِيَ أمس والآن وفتح آخره تخفيفًا لمّا دخله من الحذفِ والتغيير" [٥٥] ، وربما حذفوا من المقلوب فقالوا : (لَهْ أبوك) [٥٦].

٢. لاه أبوك : هذا التركيبُ بعضهم افترضه تامًّا (لله أبوك) يريدون لله فحذفوا لام الجر واللام الأولى من الله ، فهذا الرأي يميلُ إلى حذف لام

---

[٥٤] يُنظر : شرح المفصل : لابن يعيش : ٥٤/٨–٥٥.

[٥٥] شرح المفصّل : لا بن يعيش : ١٠٥/٩.

[٥٦] يُنظر : مجالس العلماء : للزجاجي : ص٥٧.

الخفض ولام التعريف والإبقاءعلى الأصلية [٥٧], وهناك رأيُ أنَّه حُذِفَت لام التعريف واللام الأصليّة والإبقاء على لام الخفض بمعنى أنّه راعى بعدمِ اضمار الخفضِ ؛ لأنّ لكل رأي حُجَتَه , وأمّا حُجّة من أبقى الأصل ، فإنَّه كان مُحافِظا على أُصول المفردة, ولئلا يُحذف حرف من أصل الكلمة ويُعلّل الزَّجاجيّ لِمَن أبقى لام الخفضِ ؛ لأنّ الاسم مخفوض بها , وحروف الخفضِ لا تُضمر , وهذا الحذفُ سوف يُسقِط بعض أُصول المفردة ويُلغِي عنها علميتها [٥٨].

٣. أَلهِ أبوك : هذا التركيبُ تطرّقَ إليه ابن ولّاد (ت٣٣٢هـ) وبيَّن أصله إذ إنَّ أصلُه إله أبوك حُذفِت الهمزة ثم قالوا (لهي) بالقلب تشبيها للألف الزائدة بالأصلية [٥٩].

٤. لهَنْكَ لرَجُلُ صِدقٍ : فهذا التركيبُ صورة من صور لفظة (إلاه) إذ يراها الرضي في ثلاثة مذاهب [٦٠] ، فسيبويه عنده الهاء بدل من الهمزة . والفرّاء : والله انَّك كقولهم : له ربي لا أقولُ ذلك ثم حُذِفَت همزة أنّك ،

---

[٥٧] يُنظر : شرح المفصّل : ٨/٥٤-٥٥.

[٥٨] يُنظر : اشتقاق أسماء الله : للزجاجي , ص٢٨ ويُنظر : الخلاف الصرفي في العربية , ناصر سعيد العيشي , ص١٩٠, ١٩٩٨م.

[٥٩] يُنظر : همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : للسيوطي, ٢/٤٧٢.

[٦٠] يُنظر : معاني القرآن للفرّاء : ١/١٠٠-١٠١, وشرح كافية ابن الحاجب للرضي : ٢/٣٥٧, والخلاف الصرفي في العربية : ١٩١.

والمفضّل بن سلمة يراه ابتداء : لله أنّكَ. أمّا من ناحيةِ القسم ففيه لغات مختلفة منها : [٦١]

واللهِ لا افَعلُ .

لاه لا أفْعَلُ .

اللهِ. بإسكان الهاء وترك تفخيم اللام

واه لا افعل ذلك . هذا كله لكثرة دوره في الكلام (تداوله) واستعماله كثرت منه اللغات.

ثالثا : الحُجج الدالَّة بعدم اشتقاق لفظ الجَلالَة (الله)

الحُجّةُ الأُولى : لو كان لفظًا مشتَقًا لكان معناه معنى كُليّا لا يُمنع مفهومه نفسه من وقوعِ الشركة منه ، لأنَّ اللفظَ المُشتق لا يفيدُ إلاَّ انَّه شيء ما مبهم , حصلَ له ذلك فثبت أنَّ هذا اللفظ المشتق منه وهذا المفهومُ لا يمنعُ من وقوع الشركة منه بين كثيرين , فلو كان مشتقًّا لم يمنع الوقوع إذا جُمع العقلاء على أنَّ قولنا : لا إله الا الله يُوجِب التوحيد المحض عَلِمْنا أنّ قولنا الله اسمُ عَلَم موضوع لتلك الذات المعيّنة وأنّها ليست من الألفاظ المشتقَّة

الحُجّةُ الثانية : ذكر الاسم أولا يَستوجِبُ ذكر صفاتِ ذلك الاسم بعده فالواجب ذكر لَفظ الجَلاَلَة أولا ثم ذكرَ الصفاتَ المُقدَّسة ثانيا مثلا نقول : اللهُ العالمُ القادرُ فلا يجوز القول العالم القادر الله ؛ لأنّ هذا يدلُّ على أنَّ اسم

---

[٦١] اشتقاق أسماء الله : للزجاجي : ٢٩-٣٠.

الله عَلَم , ولكن لو تمَّ استدراك الكلام وقال في سورة إبراهيم ذكر الله تعالى : (**الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ**) إبراهيم : ١ – ٢ نقول : هناك قراءتان الأُولى بالرفع وعندها يزول السؤال ، لأنّه جعله مبتدأ بمعنى أخرجَه وأخرجَ عن جعله صفه لما قبله ، وأمّا القراءة بالجهر فهو نظير, لقولنا : هذه الدارُ ملكٌ للفاضلِ زيد فبذكر (زيد) أُزِيلَ الاشتباه أنّه من ذلك العالم الفاضل [٦٢].

الحُجّةُ الثالثة : قالَ تعالى : (**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّا**) مريم : ٦٥ وليس المراد من الآية الصفة وانَّما المراد اسمُ العلم غير مُشتق من شيء واجتمعوا بهذه الآية والمعنى (هل تعلم له ما يُسمّى به وجه لكان له سَمِيٌّ ، لأنّ المشركينَ سَمَّوُا أصنامهم آلهة فهذا غير لازم [٦٣] ، وكذلك معناها هل تعلم شيئًا يُسمىّ الله غيره ؟ أو هل تعلمُ له نظيرًا في الخلقِ ووجود الإلهية لا ؟ فلا يستلزم الاشتقاق لاتحاد المعنى [٦٤].

وأمّا – حِجَج القول باشتقاق لَفْظ الجَلَالة (الله)

فقد تعدّدت الأقوال والآراء بأنَّه ليس اسم عَلَم واستدلوا بهذه الحُجَج :

---

[٦٢] يُنظر : مفاتيح الغيب = التفسير الكبير , للرازي , ١/١٤٤–١٤٥, والحاوي في تفسير القرآن الكريم : عبدالرحمن القماش, ٢١٣–٢١٤.

[٦٣] يُنظر : معنى لا إله إلّا الله : للزركشي, ص١٠٦–١٠٩.

[٦٤] يُنظر : كتاب معنى لا إله إلّا الله : للزركشي , ص١١٤, ويُنظر : مقالة : (أصل لفظ الجلالة (الله) عند سيبويه , الأستاذ الدكتور عبدالله أحمد جاد الكريم , ٢٠١٤/١٢/٢٨م.

١. الحُجّةُ الأولى : لفظ الجَلاَلة (الله) في الآيات الكريمة : (**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ)** البقرة : ٢٥٥ , وقوله تعالى : (**وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ**) الأنعام : ٣ صفة وليس اسمًا عَلَمًا, والدليل على ذلك القول عندما نقول : (هو زيدٌ في البلد) ويجوز أن يُقال هو العالمُ الزاهد في البلد, إذ انّ الضمير لا يقع موصوفًا ولا صفة, وإذا ثبت صفة امتنع أن يكون اسم عَلَم.

٢. من طبيعةِ اسم العلَم أنَّه يُصار إليه ليتميّز شخص من شخص آخر يشبهه ، وهذا ممتنع في حقِ الله تعالى ؛ لأنّ الأعلام إنّما وُضِعتْ للفصلِ بين ما تشابه ويشتبه [٦٥]. ولذلك ذكر سيبويه أَنَّ العَلَم كأنَّه مجموعُ صفات يعني انّه وضعَ لتركِ الإطالة بذكر الصفات, وتمَّ امتناع أن يكون الله تعالى اسم عَلَم لاستحالة الشبيه والنظير له تعالى [٦٦]. وهذه الحُجّة الثانية.

٣. الحُجّة الثالثة : إنّ اسم العَلَم قائم مقام الإشارة ولمّا كانت مُمتنعة في حق الله تعالى كان اسمُ العلمِ مُمْتنعًا في حقِه[٦٧]. فهذا الاختلاف شكلي كما وصفه ابن الجوزية ولا أهمية له ، لاعتقادِهم في أسماء وصفات الله ؛ لأنّها قديمة والقديم لا مادة له.

---

[٦٥] يُنظر : الكتاب , ٦/٢.

[٦٦] ينظر : معنى لا إله الاّ الله : ١١٤ .

[٦٧] يُنظر : بدائع الفوائد ، لابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر ، ط١ ، ٧٦ .

الخاتمة :

توصّل البحثُ إلى النتائج الآتية :

١. تبيّن من البحث أنَّ لفظَ الجَلاَلَة (الله) يُعدُّ لفظًا عربيًا قديمًا أصلُه ينتمي إلى اللغة السَّاميّة وهو من الألفاظ الشائعة والمعروفة فيها.

٢. أرى كما رأى ابن قيم الجوزية أنّ الاختلافَ الذي حصل بين العلماء في جمود لفظ الجَلاَلَة (الله) واشتقاقه هو اختلاف شكلي لا أهمية له لإعتماد العلماء في أسماء الله وصفاته كلها في أنَّها قديمة والقديم لا مادة له . وبخاصة أنَّه اشتقاق مجازي بمعنى ملاحظة هذه المعاني وتقاربها.

٣. راقب البحثُ أنّ كثرة تداول لفظ الجَلاَلَة (الله) واستعماله بكثرة في الكلام أدّى إلى حدوث تغيّرات وافتراضات لهذا اللفظ .

٤. ندرة آراء المحدثين فيما يتعلق بهذا الموضوع ، وإن كانت هذه الآراء موجودة فهي تكادُ تكون سيرا ومجاراةً لآراء القُدماء وكذلك من المتأخرين , فهم يذكرون آراءَ القدماء بشكل مُفصّل وواسع والبحوث التي تكتب في هذا اللفظ تشهد ذلك .

٥. ذُكِرت حُجَج على الترجيح للاشتقاق لِلفظ الجَلالة (الله) وحُجَج على الترجيح على جمود هذا اللفظ ، وبأنّه علمٌ مرتجل في البحث .

٦. ذهبَ كثيرٌ من علماءِ العربيّة إلى انَّ لفظَ الجَلاَلَة (الله) عَلمٌ مرتجلٌ غيرُ مشتق ومنهم : الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) , وسيبويه (١٨٠هـ) والمازني (ت٢٤٩هـ) , والزَّجّاجي (ت٣٣٧هـ) , والمبرد (٢٨٥هـ) والرازي (ت٦٠٦هـ) , ولو أنّه مال إلى القول الثاني في الاشتقاق أي انَّه لم يقلْ بالقطعية أنَّه عَلَمٌ مرتجل .

٧. وردت اشتقاقات مُتعَدّدة لهذا اللفظ (الله) منها (أَلَه – أَلِه) بمعنى عبَدَ – تحيَر , ومن (وَلَه ولِاه) . (لاها) بمعنى القدرة في السريانية , الهاء بمعنى الكنايه عن الغائب , (إلاه) ← وزن فِعَال , (ألاه) , (ألهت) أي أسكنت إليه , (الإله) (لاهٌ) بمعنى استتر , (تألّه) التضرّع .

المصادر :

- القرآن الكريم
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل : أبو سعيد عبدالله بن عمر البيضاوي (ت٦٨٥هـ) تحقيق محمد بعد الرحمن , دار احياء التراث العربي , بيروت .
- أسماء الله الحسنى ومرادفاتها وتأويلاتها باللغتين العربية والانجليزية , محمد عبدالمجيد الزميتي , ط٣ , ١٩٩٨.
- اشتقاق أسماء الله : لأبي القاسم الزَّجّاجي , تحقيق الدكتور عبدالحسين المبارك , مؤسسة الرسالة , ط١ , ١٩٨٦م .
- أسماء الله الحسنى دراسة في البنية : والدلالة : الدكتور أحمد مختار عمر.
- أسماء الله الحسنى معانيها وجلالها : ماهر مقدم , السعودية , دار الال والصحب للنشر والتوزيع ط١.
- البيان الصحيح لدين المسيح : ياسر جبر , دار الخلفاء الراشدين ، ط١، ٢٠٠٧م .
- بدائع الفوائد , لابن قيم الجوزية , محمد بن أبي بكر , تحقيق هشام عبدالعزيز وآخرين ، مكتبة نزار مصطفى , ط١, ١٩٩٦م .
- تفسير أسماء الله الحسنى : أبو عبدالله عبد الرحمن بن ناصرآل سعدي(١٣٧٦هـ) المحقق : عبيد بن علي ، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ،ع١١٢ ،١٤٢١هـ .

- تفسـير القـرآن الحكـيم (المنـار) : محمـد رشـيد بـن علـي الحسـيني (ت١٣٥٤هـ) الهيئة المصرية العامة الكتاب , ١٩٩٠م .
- تفسير سفر التكوين : نجيب جرجيس .
- التحرير والتنوير" تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" , لابن عاشور , الدار التونسية للنشر , تونس .
- جامع البيان في تأويل القرآن : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت-٣١٠هـ) , تحقيق أحمد محمد شاكر , مؤسسة الرسالة .
- الجـامع لإحكـام القـرآن : تفسـير القرطبـي : شـمس الـدين القرطبـي (ت-٦٧١هـ) تحقيـق : أحمـد البردونـي وابـراهيم اطفـيش, دار الكتـب المصرية, القاهرة.
- كتـاب الحـاوي فـي تفسـير القـرآن (_ جنـة المشـتاق فـي تفسـير كـلام الملـك الخـلاّق) عبـدالرحمن بـن محمـد بـن عبـد الحميـد القمـاش , تقديم عبدالوهاب المشـهداني , ط١, ٢٠٠٥, الامـارات , عـدد الأجـزاء ٨٤٠ جزء .
- خزانـة الأدب ولـب لبـاب لسـان العـرب ، عبـد القـادر بـن عمـر البغدادي (ت١٠٩٣هـ) تحقيـق وشـرح عبـد السـلام محمـد هـارون ، مكتبـة الخانجي ، ط٤ ، القاهرة ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .
- الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ) , الهيئة المصرية العامة للكتاب , ط٤ .
- الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث , محمد حسين آل ياسين , منشورات دار مكتبة الحياة , ط١ , بيروت , ١٩٨٠.

- البحث الصرفي عند زكريا الأنصاري (ت٩٢٦هـ) , شكران حمد شلاكه , ٢٠٠٩ , (اطروحة دكتوراه) جامعة بابل , كلية التربية .
- الزينة في الكلمات الاسلامية العربية , أبو حاتم الرازي (ت ٣٠٢هـ) تحقيق حسين بن فيض الله الهمذاني , مطبعة الرسالة, القاهرة, ١٩٥٨م .
- زاد المسير في علم التفسير : جمال الدين ابو الفرج (الجوزي) , ٥٩٧هـ , المحقق : عبدالرزاق المهدي , الناشر دار الكتاب العربي – بيروت .
- الساميون ولغاتهم , الدكتور حسن ظاظا, دار القلم , دمشق , ط٢ , ١٩٩٠م.
- السريانية – العربية الجذور والامتداد , سمير عبده , منشورات دار علاء الدين , ط٢ , ٢٠٠٢م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية , اسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ) تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار , دار العلم للملايين , بيروت , ط٤ , ١٩٨٧م .
- شرح ديوان الحماسة ، اختاره أبو تمام حبيب بن أوس (ت ٢٣١هـ) ، يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي (ت٥٠٢هـ) ، دار القلم بيروت ٠
- شرح المفصّل : لابن يعيش (ت٦٤٣هـ) , ادارة الطباعة المنيرية .
- شرح كتاب التوحيد : عبدالله بن محمد الغنيمان.

- فتح القدير : محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ), دار ابن كثير, دار الكلم الطيب, دمشق, بيروت, ط١, ١٤١٤هـ.
- القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم : الأستاذ الدكتور خالد اسماعيل علي مؤسسة البديل , دار , ٢٠٠٩م, ط١.
- الكتاب : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سيبويه (ت١٨٠هـ) , تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ط١ ، دار الجيل– بيروت .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل , للزمخشري (ت–٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي , بيروت , ط٣, ١٤٠٧هـ .
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن : أبو اسحاق أحمد بن محمد الثعلبي (ت–٤٢٧هـ) , تحقيق : الامام أبي محمد بن عاشور , مراجعة وتدقيق الاستاذ نظير الساعدي , دار إحياء التراث العربي , بيروت – لبنان .
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل , الدكتور فاضل السامرائي , دار الشؤون الثقافية , ط١ , بغداد , ١٩٩٩م .
- اللباب في علوم الكتاب : أبو حفص سراج الدين الحنبلي الدمشقي (ت– ٧٧٥هـ) المحقق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض , دار الكتب العلمية , بيروت , لبنان .
- مجالس العلماء : لابي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي , تحقيق عبدالسلام محمد هارون , مكتب الخانجي – القاهرة.
- المحرر الوجيز في الكتاب العزيز : لابن عطيه (ت–٥٤٢هـ) , تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد.

- المقتضب : للمبرّد (ت–٢٨٥هـ) , تحقيق : محمد عبدالخالق عظيمة, عالم الكتب , بيروت.
- المقرب : لابن عصفور (ت–٦٦٩هـ) , تحقيق أحمد عبدالستار الجواري, عبدالله الجبوري , مطبعة العاني , بغداد , ١٩٧١.
- الممتع في التصريف : لابن عصفور , تحقيق الدكتور فخرالدين قباوة , ط٥ , الدار العربية للكتاب , ليبيا , ١٩٨٣.
- الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي , منشورات مؤسسة الأعلى– للمطبوعات ، ج١, ط١ , بيروت , ١٩٩٧م .
- معاني القرآن للفراء : أبو زكريا يحيى الفرّاء (ت–٢٠٧هـ), تحقيق أحمد يوسف النجاتي , محمد علي النجار , عبدالفتاح اسماعيل الشلبي .
- معنى لا إله الا الله : للزركشي (ت٧٩٤–هـ), تحقيق وتعليق : علي محي الدين علي القره داغي , دار البشائر الاسلامية, بيروت.
- معجم العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت–١٧٠هـ) , تحقيق الدكتور مهدي المخزومي , الدكتور ابراهيم السامرائي , دار ومكتبة الهلال .
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير : فخر الدين الرازي (ت–٦٠٦هـ), دار احياء التراث العربي , بيروت , ط٣, ١٤٢٠هـ .
- مقاييس اللغة : أحمد بن فارس (ت–٣٩٥هـ) , تحقيق عبدالسلام محمد هارون , دار الفكر.

- المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم : أبو القاسم الحسن بن بشير الآمدي(ت٣٧٠هـ) ، المحقق الأستاذ الدكتورف . كرنكو ، دار الجيل بيروت .
- النكت في كتاب سيبويه : يوسف بن سليمان بن عيسى , تحقيق : زهير عبدالمحسن سلطان , منشورات معهد المخطوطات العربية , الكويت ، ط١, ١٩٨٧م .
- النكت والعيون : أبو الحسن علي بن محمدالماوردي (ت–٤٥٠هـ) تحقيق : السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم, دار الكتب العلمية , بيروت , لبنان .
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : للسيوطي (ت– ٩١١هـ), تحقيق عبدالحميد هنداوي , المكتبة التوقيفية , مصر

- **البحوث والمقالات**

١ - في لفظ الجلالة الله هل هو اسم مستحدث بعد الاسلام أم اسم قديم , محمد عبدالله العليان ، ع٢, ٢٠١٠م , مقال . رابط الانترنت
l2.wp.com/alfalq.com/wp-content/uploads/20101/allah11jpg.

٢ - هل كان العرب يعرفون الله قبل البعثة النبوية(مقال) في موقع الإسلام سؤال وجواب (انترنيت) ،٢٠٠٠/١٢/١٩م . رابط الانترنت
https :/is/amqainfo/ar/down/oaa's/answers/12222.

٣ - اسم الجلالة (الله) واحد في العربية والعبرية والآرامية(بحث) ، ياسر جبر , ٢٠٠٧م
http ://www.eltwhed.com/vb/showth read.php?36678.

٤ - أصل لفظ الجَلاَلة (الله) عند سيبويه : الأستاذ الدكتور عبدالله احمد جاد الكريم حسن, ٢٠١٤/١٢/٢٨. رابط الانترنت , موقع الالوك
https//www.alukah.net/literature.languae/0180377/#relatedcontent.

٥ - لفظ الجَلاَلة في أصلِ الوضع العربي ودلالته ، بحث , الدكتور نافع بهلول الجبوري والمدرس المساعد محمد وعباس الحشماوي ، مجلة جامعة تكريت ، مج١٥ ،ع٢ ، ٢٠٠٨م .

٦ - أصل لفظ الجلالة (الله) في اللغة : الشيخ وحيد عبدالسلام بالي , ٢٠١٧/٩/١٧م.

٧ – لفظ الله دراسة في التأصيل المعجمي في السامية والخصائص المورفولوجية والتركيبية والدلالية , الدكتور محمد رجب الوزير ، علوم اللغة دراسات علمية محكمة ، مج٢ ، ع١ ، ١٩٩٩م ، دار غريب للطباعة والنشر .

٨ – لفظ الجلالة الله في العربية : الدكتور محمد يحيى سالم , مجلة الجامعة الاسلامية – بغداد – ع١٩ – ٢٠٠٧م.

مكانة المرأة في مجتمع المشرق الإسلامي ودورها
في عهود الإمارات شبه المستقلة
(في القرنين الثالث والرابع للهجرة/ التاسع والعاشر للميلاد)

الاستاذ المساعد الدكتور

حسين إبراهيم محمد مصطفى الجبراني

قسم التاريخ/ كلية التربية: عقرة/ جامعة دهوك

الملخص :

ما يميز العلاقات الأُسرية في المشرق الإسلامي في هذه المدة هو مكانة المرأة؛ إذ كانت المرأة في هذه الديار تتمتع بحرية أَكبر وصلاحيات أَوسع إِذا ما قورنت بغيرها من المجتمعات، وحتى بعد ما دخل الإسلام إِلى أَراضي المشرق الإسلامي ظل أَهالي هذه البلاد محتفظين بالكثير من العادات والتقاليد القديمة.

وبالانتقال إِلى معرفة أحوال المرأة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة ولاسيَّما على عهد الإمارات الإسلامية شبه المستقلة، نجد أن المرأة أخذت على عاتقها العديد من المهام والواجبات السياسية والإداريَّة والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فضلا عن واجباتها بوصفها زوجة، فهي تتولى القيام بالأعمال اليومية في منزلها، وهي المسؤولة عن حضانة الأطفال ورعايتهم، فضلا عن مشاركة أزواجهن في أعمالهم اليومية في الزراعة أو الصناعة ، كما يشتغلن في التطريز ونسج الملابس والحياكة وغيرها من الأَعمال.

يسعى البحث إلى الكشف عن أوضاع المرأة في المشرق الإسلامي ومكانتها في القرنين الثالث والرابع للهجرة/ التاسع والعاشر للميلاد ودورها على عهد الإمارات الإسلامية شبه المستقلة، وقد اثرنا اختيار هذا الموضوع لأهمية المرأة في المجتمع في كل العصور، ولغياب الدراسة المتكاملة عن مكانة المرأة هذه الفترة من التاريخ الإسلامي، لقد اغفلت كتب التاريخ مكانة ودور المرأة في الحياة العامة في بلدان المشرق الإسلامي في مدة بحثنا هذا، وان كان هناك ذكر لها ، فهو لا يتعدى إشارات هنا وهناك. لذا حاولنا أَن نجيب عن تساؤل طالما رُدد كثيرا، هل للمرأة من مكانة في مجتمع الإمارات الإسلامية شبه المستقلة في المشرق الإسلامي, بعامة والقرنين الثالث والرابع للهجرة/ التاسع والعاشر للميلاد بخاصة؟ وهل كانت النظرة إليها نظرة تقدير واحترام؟ وهل اقتصر دور المرأة على الإنجاب وتربية الاولاد؟ أم إِنَّها دخلت معترك الحياة وساهمت مساهمة فاعلة في الحياة العامة بشكل يسجل لها التاريخ؟ كل هذه التساؤلات سيجيب عنها البحث مفصلا.

المقدمة:

تعدُّ الدراسات الموجهة لكشف إسهام النسوة في شتى مجالات الحياة في العصور الإسلامية دراسات مميّزة؛ فليس من المعقول أَن يكون نصف المجتمع الإسلامي وهنَّ النساء ذاك المجتمع الذي قاد دفّة الأمور منذ ظهور الإسلام ولحين سقوط الدولة العباسية في بغداد على أيدي المغول سنة

(٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨م) مغيّبا، ولايُشار إليه، فنقول: ليس من المعقول أَن يكون نصف ذلك المجتمع ذا إسهام هامشي لا يتعّدى إنجاب الأطفال والاعتناء بهم والقيام ببعض الأعمال المنزلية فحسب في حين يتمتع النصف الآخر بكل ذلك الكم الهائل من الحيوية والإبداع في العطاء الحضاري، هذا إذا علمنا أنَّ الإسلام قد أولى أهمية كبرى للمرأة وعّدها مساوية في قيمتها الإنسانية للرجل مع احتفاظ كل منهما بخصوصيته التي أرادها الإسلام وهيأتها له عوامل التكوين الفطري لكل منهما فقد خصص الإسلام سورة كاملة في القرآن الكريم هي سورة النساء بيّن فيها بصورة شمولية ما للمرأة من حقوق ومالها من منزلة في التشريع السماوي الخالد هذا مع ما حفلت به سور قرآنية أخرى وأحاديث نبوية شريفة كثيرة تناولت ما يتعلق بالمرأة بمختلف مجالات حياتها منذ ولادتها وحتى وفاتها.

وركَّز البحث على دراسة مكانة المرأة في مجتمع المشرق الإسلامي وأثرها في القرنين الثالث والرابع للهجرة/ التاسع والعاشرة للميلاد، التي تعدّ قمة ما توصلت إليها الحضارة الإسلامية من الرقي والتقدم، ولاسيَّما انه لم تتجه جهود معظم الباحثين صوب دراسة هذا الجانب ، مع أنها أدت دورا مهما في مضمار الحضارة الإنسانية بعامة والحضارة الإسلامية بخاصة؛ ومن هذا الأساس انطلقت هذه الدراسة في تناول مكانة المرأة في هذه الإمارات التي تشكل جانبا مهما في دراسة ما يقرب من قرنين من حضارة أمتنا الإسلامية لما تتضمّنه من جوانب مهمة من تاريخ هذه الإمارات؛ تعين الدارسين على كشف أبعاد التأثير الإسلامي في المقوّمات الحضارية لتلك الإمارات ومن هذا المنطلق جاء اختيار عنوان البحث الموسومة بـ((**مكانة**

المرأة في مجتمع المشرق الإسلامي ودورها في عهود الإمارات شبه المستقلة "في القرنين الثالث والرابع للهجرة/ التاسع والعاشر للميلاد"))؛ لينصب على دراسة جانب مميّز من التاريخ الاجتماعي الإسلامي، ألا وهو: المرأة ومكانتها في المجتمع.

وبدخول الإسلام إلى بلدان المشرق الإسلامي، تبدأ مرحلة جديدة ومغايرة من حياة المرأة في هذه الأَصقاع فمن البديهيات الإسلامية أن المرأة في عُرف الإسلام كائن إنساني له روح إنسانية من النوع نفسه الذي منه روح الرجل، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبا)[١]، فهي إذا الوحدة الكاملة في الأصل والمنشأ والمصير، والمساواة الكاملة في الكيان البشري حتى أن الأوامر والتشريعات جاءت للرجل والمرأة على حدٍّ سواء، والجزاء في الآخرة واحد للجنسين، قال تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ) [٢] .

وقسّمت البحث على تمهيد وخمسة مباحث وخاتمة. فقد خُصص التمهيد بتقديم نبذة تاريخية مختصرة عن مكانة المرأة ودورها في الحياة الاجتماعية في المشرق الإسلامي .

---

[١] سورة النساء: الآية ١.

[٢] سورة آل عمران: من الآية ١٩٥

أمَّا المبحث الأول فتطرق للحديث عن مكانة المرأة ودورها في الإمارة الطاهرية أولى الإمارات الإسلامية شبه المستقلة في المشرق الإسلامي، التي خرجت من عباءة التبعية المباشرة للخلافة العباسية، فيما تناول المبحث الثاني مكانة المرأة ودورها في مجتمع الإمارة العلوية في طبرستان والإسهام الكبير للمرأة في جوانبها المتعددة وحاولنا جاهدين أَن نؤشر مدى حضورها المتميز في مجتمع طبرستان وبلاد الديلم، ثم انتقلنا في المبحث الثالث إلى استعراض موضوع مكانة ودور المرأة في الإمارة الصفارية واوردنا بعض الاشارات التي تؤكد مسألة إسهام المرأة الصفارية فيها .

ودرس المبحث الرابع دور المرأة في الإمارة السامانية ومكانتها؛ إذ يُعَدُّ عهد الإمارة السامانية أحد أبرز عهود البلدان الشرقية للعالم الإسلامي ويحظى هذا العهد بأهمية فائقة من عدة نواحٍ، فمن ناحية المكتسبات العلمية الجمة ، ومن جانب آخر نجد التطور الكبير في الجوانب الإداريَّة والاقتصادية والاجتماعية فضلا عن الآثار العمرانية العريقة.

وتضمن المبحث الخامس ما كان للمرأة في الإمارة الغزنوية من إسهام كبير في كافة جوانب المجتمع ، ذلك الإسهام الذي كان كبيرا ومتميزا بحق مع الإشارة إلى الجانب السياسي الي تخصصت بها نساء هذه الإمارة على وجه التحديد.

أمَّا الخاتمة فقد عرضت أَهم النتائج التي توصل إليها البحث بعد تقديم عرض مفصل بالتحليل مكانة المرأة في مجتمع بلدان المشرق الإسلامي في

القرنين الثالث والرابع للهجرة/ التاسع والعاشرة للميلاد على عهد الإمارات الإسلامية شبه المستقلة.

وفي الختام لابد من إيضاح نقطة مهمّة جدا يتعلّق بخصوص التطرق مرارا وتكرارا لذكر العديد من الأَقاليم والمدن والقصبات والنواحي والقرى، في أثناء البحث، لكن دون ذكر تعريف لهم في الهامش، نجد أنَّ تعريفهم كان يزيد من حجم البحث فعندها نضطر إلى اختصار الموضوع أو حذف بعض جوانبها الامرة الذي يولِّد الضبابية في البحث، وتلافي هذا الاشكال، قررنا ان نخصص خارطة ومن اعداد الباحث وبالتعاون مع مؤسسة السحاب لرسم الخرائط الجغرافية في طهران، ووضعها في نهاية البحث حددنا علية جميع اصقاع اقاليم المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة.

التمهيد/ نبذة تاريخية عن مكانة المرأة ودورها في الحياة الاجتماعية في المشرق الإسلامي:

لقد كان نظام الأُسر في المشرق الإسلامي في العهد الساساني نظاما أبويا يمثل فيه الرجل الركن الأساس فله صلاحيات وامتيازات كبيرة، فكان رب الأسرة (كدط خداه)، يتولَّى رئاسة العائلة وهو صاحب الولاية[٣]، وكانت المرأة ضمن مسؤولياته، فلم يكن بيدها الخيار في الزواج أو الطلاق ولم يكن

---

[٣] الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الكاتب (ت ٣٦٧هـ /٩٧٧م): مفاتيح العلوم، دار الكتب العلمية، (بيروت ، د. ت). ، ص١٣٤؛ آرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، مراجعة: عبد الوهاب عزام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٩٨م)، ص٣٠٨.

لها حق السيادة على نفسها، فالسيادة على المرأة كانت تنتقل من أبيها إلى أخيها قبل الزواج ثم إلى زوجها بعد الزواج[٤] .

وكانت المرأة في المشرق الإسلامي وعلى العهد الساساني تعيش عيشة الذل والهوان وتُعامل معاملة البهائم، إذ كان الفُرس يميزون بين الزوجة الرئيسة (ذن بادشئيها)، الزوجة الممتازة عن الزوجة التي تأتي في المرتبة الثانية (ذن جطاريها) الزوجة ـ الوضيعة ـ الخادمة، وكانت الأحكام القانونية لهذين النوعين من الزوجات مختلفة، والظاهر أن المجموعة الثانية كانت من الرقيق المشترى والسبايا.

وكانت عادة زواج المحارم منتشرة في المشرق منذُ القدم، إذ أحلَّت، زواج المحارم، فقد ذكر في الفستا (الكتاب المقدّس للديانة الزردشتية) أن الزواج بين الأخ وأُخته منور بمجد إلهي وله فضيلة طرد الشيطان.

وتعرَّضت مكانة المرأة في المشرق الإسلامي إلى ضربة عنيفة؛ إذ اختلت الأوضاع الاجتماعية أبان ظهور الديانة المزدكية[٥]. التي أشاعت

---

[٤] محمد وصفي أبو مغلي: إيران دراسة عامة، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، (البصرة، ١٩٨٥م)، ص١٨٤.

[٥] المَزْدَكيّة هو دينٌ ثَنَوي ، مؤسسُهُ الزعيم الديني الفارسي مَزْدَك المتوفى نحو ٥٢٨ ميلادي. والذي قادَ حَركة اشتراكيّة مناهضة للزَّرادشتية السائدة في عهده، وراح يناقش قضية الظلمة والنور أذ يرى أن امتزاجهما هو الذي تمخض عنه نشأة الدنيا صدفة وأسّس دينه التي دعت إلى المشاركة في الأموال والنساء. وهي تومن بوجود مدبر للخير، ومدبر للشر وهما في صراع ، فالعمل الجيد والنافع هو من فعل مدبر الخير، والعمل القبيح الضار هو من فعل مدبر الشر. للمزيد، ينظر، القمي، سعد بن عبد الله

إباحية النساء، فجعلت المرأة شركة كالماء والنار والكلأ ممَّا أدى إلى إذلالها وانتهاك حرمتها بوصفها أُما وزوجةً، وأخذ الرجل ينظر إلى المرأة على أنَّها بمنزلة الوعاء، أي: إنَّها مجرد حاضنة، ناكرا إنسانيتها ودورها المؤثر في الأسرة والمجتمع، واكتفى بعدِّها وسيلة للمتعة، ولاسيَّما في بلاط الملوك والأَكاسرة .

وتمتعت المرأة في المشرق بعد دخولهم الإسلام بمكانة مرموقة ونفوذ عظيم[٦]، فقد عرفت المرأة بعامة والتركية بخاصة بطهارة الذيل والعفة [٧]

أبي خلف الأشعري، (ت ٣٠١هـ/٩١٣م): المقالات والفرق، صححه وقدم له وعلق عليه: الدكتور محمد جواد مشكور، مطبعة الحيدري، (طهران، ١٩٦٣م)، = ص١٩٣؛ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م): التنبيه والإشراف، مطبعة بريل، (ليدن، ١٨٩٣م)، ص٨٨؛ الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص٢٥؛ البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م): الآثار الباقية عن القرون الخالية، باعتناء: إدوارد سخاو، (لايزبك، ١٩٢٣م) ، ص٢٠٩؛ الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م): الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، (بيروت، ١٤٠٤هـ)، ج١، ص٢٤٩؛ آرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، ص٣٢٦-٣٣٠؛ سعيد نفيسي: تاريخ تمدن ايران ساساني، جابخانة دانشكاه، (تهران، ١٣٣١ش)، ص٦٦.

[٦] سعد زغلول: الإسلام والترك في العصر الإسلامي الوسيط. مجلة عالم الفكر، المجلد: العاشر ، العدد(٢) ، (كويت، ١٩٧٩م)، ص١٦١.

[٧] الكرديزي، أبو سعيد عبد الحي بن ضحاك بن محمود(ت ٤٤٣هـ/١٠٥١م). كتاب زين الأخبار، تعريب: محمد بن تاويت، مؤسسة الخامس الجامعية والثقافية (فاس، ١٩٢٧م)؛ وكذلك ــ نسخة: المشروع القومي للترجمة، ترجمة: عفاف سيد زيدان، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية،(القاهرة،٢٠٠٦م) ، ص٣٧١.

وكل ذلك أعطاها شخصية متكاملة أهلتها لتؤدّي أَدوارا مختلفة في جميع مناحي الحياة السياسية والإداريَّة والاجتماعية حتى الاقتصادية فقد عرفت مدن المشرق الإسلامي في تاريخها وبخاصةٍ مدينة بُخارى عن سيدة زوجة (بُخارى خداة) وهو لقب ملوك بُخارى التي جلست على العرش، هذه الخاتون مكثت في الحكم خمس عشرة سنة فقد كانت الآمِرة والناهية؛ إذ كان العرب المسلمون عقدوا معها الصلح إبَّان حملة الفتوحات الإسلامية[٨]، فقد كانت تستعين بالعديد من رجال الدولة لمساندتها في الحكم وكان على أَهل الرسانيق(النواحي) أَن يرسلوا إليها كل يوم مائتي شاب من شباب دهاقنة وهم أَولاد الطبقة الارستقراطية الحاكمة في خرسان وبلاد ما وراء النهر الذين كانوا يقفون تحت إمراتها وخدمتها مرتين في اليوم حتى تنتهي في النظر في شؤون مظالم رعيتها ويباشرون شؤون البلاد الإداريَّة[٩].

وحافظت المرأة على تلك المكانة حتى بعد قيام الإمارات الإسلامية شبه المستقلة في مطلع القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد والمصادر التاريخية مليئة بالشواهد الذي تؤكد علو شأن المرأة في المشرق الإسلامي، ولاسيَّما نساء الطبقة العليا اللواتي تمتعن بهيبة ومكانة وأدّت أَدوارا سياسية خطيرة وحساسة في حياة الدولة الإسلامية بعامة وحياة هذه الإمارات بخاصة، ومن الجدير بالذكر أَنَّ النساء وجدنَ أنفسهنَّ في إطار طبقية

---

[٨] النرشخي، أبو بكر محمد بن جعفر (ت ٣٤٨هـ/٩٥٩م): تاريخ بخارى، عربه عن الفارسية حققه وعلق عليه: الدكتور أمين عبد المجيد بدوي ونصرت مبشر الطرازي، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٦٥م) ، ص٢٣.

[٩] النرشخي: تاريخ بُخارى، ص٢٣-٢٤.

المجتمع – ليس نظاما طبقيا عبوديا– فقد تعددت فئات النساء في المشرق الإسلامي على عهود هذه الإمارات وتفاوتت كل طبقة عن الأُخرى بعدد السلطة والنفوذ والثروة فهنالك طبقة نساء الحكام والسلاطين والأُمراء وبناتهم من الحرائر[١٠]، وطبقة نساء الحكام من الجواري اللاتي تهيأت لهن أَسباب الفرص عن طريق الزواج من ذوي الأَمر مما مهّد لها سبيل الاندماج في طبقة علية القوم هذا إلى جانب وجود طبقة من النساء ذوي المكانة المتوسطة فضلا عن طبقة النساء من الجواري والمغنيات والخادمات اللواتي انصهرن في نظام اجتماعي واحد مع الحرص على التقليد والاقتداء بنساء الطبقة العليا سيدات المجتمع[١١]. وانقسمت المرأة وبحسب مكانتها في المجتمع على:

١– **نساء الطبقة العليا:** وهن نساء الحكام وبناتهم ونساء رجالات الدولة من الجواري وهي تمثل الطبقة الارستقراطية في المجتمع[١٢]، وخير مثال : سيدة بُخارى التي كانت تحكم قرية نرشخ في حدود سنة (١٥٩هـ–٧٧٦م)[١٣]، وفي الإمارة السامانية برز اسم أم الأَمير أبي القاسم نوح بن منصور

---

[١٠] فتحي ابو سيف: المصاهرات السياسية في العصرين الغزنوي والسلجوقي، مكتبة الانجلو المصرية (القاهرة، د- ت)، ص٣٢؛ نعمة علي مرسي: المرأة المسلمة في اسيا الوسطى، د-ن (د- م، د-ت) ، ص٤٥.

[١١] النرشخي: تاريخ بخارى، ص٤٥.

[١٢] النرشخي: تاريخ بخارى، ص٤٦.

[١٣] النرشخي: تاريخ بُخارى، ص٩٩.

(٣٦٦-٣٨٧هـ /٩٧٦-٩٩٧م) التي صارت وصية للعرش؛ وذلك لصغر سن ابنها[١٤].

ومن هؤلاء النسوة أَيضا الحّرة زينب ابنة السلطان محمود الغزنوي (٣٨٩-٤٢١هـ/ ٩٩٨-١٠٣٠م) والسيدة كالجي وهي أُخت السلطان محمود الغزنوي والحرة الختلية أُخت السلطان مسعود الغزنوي (٤٢٢-٤٣٢هـ/١٠٣٠-١٠٤٠م) فقد تمتعنَ بالحرية وكنَ ذوات ثروة ونفوذ في البيت الغزنوي[١٥]. ومن الملاحظ أَنَّ هذه الطبقة من النساء ظهرت فيها العظمة والأُبهة في حياتهن اليومية وسكنوا القصور الفخمة وخصِّصت لهن الدور الخاصة الملحقة بالقصور الرئيسة في عواصم هذه الإمارات وقد قام على الخدمة بها العديد من الخصيان والجواري .

كما كان للمرأة دورٌ عظيم في إرساء الصلح ما بين الخصوم التي كانت تجعل من العداء صداقة وقرابة[١٦]. ومن الأَمثلة – على سبيل المثال لا الحصر- زواج الأَمير نوح بن نصر الساماني (٣٣١-٣٤٣هـ/

---

[١٤] العتبي، أبو نصر محمد بن عبد الجبار، (ت ٤٢٧هـ/١٠٣٥م): التاريخ اليميني، بحواشي كتاب المنيني (شرح تاريخ العتبي)، جمعية المعارف، (المدينة المنورة، ١٣٨٦هـ)، ج١، ص١٣٦.

[١٥] البيهقي، ابو الفضل محمد بن حسين (ت ٤٧٠هـ/١٠٧٧م): تاريخ البيهقي ، ترجمة يحيى الخشاب وصادق نشأت، دار النهظة العربية للطباعة والنشر (بيروت ١٩٨٢)،. ص١٢٧-١٣٠، ١٢-١٣.

[١٦] إحسان ذنون الشامري: مدينة بخارى (٩٤-٣٨٩هـ/٧١٢ -٩٩٩م)، دراسة في الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، (اربد، ٢٠٠٥م)، ص٥١.

٩٤٢-٩٥٤م)، من ابنه إمبراطور الصين[١٧] ، والمصادر التاريخية مليئة بهذه النماذج من المصاهرات [١٨].

٢- **نساء الطبقة العامة:** كانت للمرأة الاعتيادية في مجتمع المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة/ التاسع والعاشر للميلاد مواقف تدل على جرأتها وامتلاكها المبادرة وخير مثال على ذلك هي السيدة البخارية حينما تجدد النزاع بين الإمارة القراخانية (٣١٥-٦٠٩هـ/٩٢٧-١٢٢٢م) وبقايا السامانيين بقيادة الأَمير أبي ابراهيم إسماعيل بن نوح الثاني الساماني الملقب بـ(المنتصر) بمجيئه إلى بُخارى مطالبا العرش الساماني المفقود والمسلوب من الإمارة القراخانية بعدما فّر من سجنه عند القرخانيين سنة (٣٩٠هـ-٩٩٩م) فقامت هذه السيدة بإيواء الأَمير اسماعيل في بيتها وإِخفائه عن الأَنظار حتى هدأت الأَوضاع المتفجرة في مدينة بُخارى[١٩]، هذا دون أَن ننسى الجارية التي كانت تأتي إِلى الأَمير اسماعيل وهو في السجن حتى أَعطى الأَمير لباسها ما مهد له الخروج والخلاص من سجن القرخانيين في بُخارى[٢٠].

---

[١٧] بدر الدين حي الصيني: العلاقات بين العرب والصين، مطبعة مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، ١٩٥٠م)، ص١٩٨.

[١٨] فتحي ابو سيف: المصاهرات السياسية،ص٩٩.

[١٩]ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبدالكريم (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، ط٢، (بيروت، ٢٠٠٧م)، ج٧، ص٢٤٣.

[٢٠] ابن الاثير: الكامل في التاريخ ، ج٧، ص٢٤٣.

وفي الحياة اليومية لم تبخل بجدها عن مشاركة الرجال في الحياة العامة، إذ كانت تمثل الزوجة في ربة البيت والراعية لمصالح زوجها[٢١]، ولم يعرف عن نساء هذه الطبقة أَن تسلمت مناصب في الحكم والإدارة فقد كان اهتمامها منصبا على توفير الجو الأُسري والسهر على راحة وسعادة الأُسرة، ولكن هذا لا يعني خلو هذه الفئة من النساء ذوات الثقافة العالية[٢٢]، ومثال ذلك السيدة الرابعة الغزدارية شاعرة دار الحريم في العصر الغزنوي[٢٣]، كما وجدت من نساء هذه الفئة من كانت تعاون زوجها في أَعمالهم اليومية مثل الزراعة وصناعة الآلات الحديدية مثل: السكاكين والمقصات كما كنَ يشتغلن بالتطريز ونسج الملابس[٢٤]، كما كانت السيدة سكينة بنت القاضي أبي ذر محمد بن محمد بن يوسف البخاري (ت٣١٤هـ/٩٢٦م) تُحدّث عن أَبيها القاضي أبي ذر حتى صارت من المحدثات التي يشار إليها بالبنان[٢٥] وبلغ تقدير المرأة أَنَّ مهرها كانت من أَجود أَنواع العملات؛ إذ كان من

---

[٢١]عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في المشرق، دار الفكر العربي، (القاهرة، ١٩٨٧م).

[٢٢] عصام الدين عبد الرؤف الفقي: الدول الاسلامية المستقلة، ص٢٨٨.

[٢٣]عصام الدين عبد الرؤف الفقي: الدول الاسلامية المستقلة ، ص٢٨٨.

[٢٤] ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، (بيروت، ١٩٦٨م)، ج٢، ص٤٧٨.

[٢٥] ابن ماكولا، سعد الملك أبو نصر علي بن هبة الله، (ت ٤٧٥هـ/١٠٨٢م) : الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٩٩٠م)، ج٤، ص٣١٦.

شروطهم في مهور نسائهم تزوج فلان ابن فلان من فلانه بنت فلانة على كذا وكذا الف درهم غطريفية[٢٦] في حين كان هنالك دراهم أَو عملات أُخرى أَقل وزنا منها[٢٧]، ولكن نظام الرق قلل شيئا من شأنها بوصفها زوجة ولاسيَّما بعد ظهور الجواري الجميلات مما أثر على العلاقة الزوجية في كثير من الأَحيان[٢٨].

---

[٢٦] الدرهم الغطريفي (غدرفي) : عملة سوداء سكها للمرة الأولى غطريف بن عطاء والي خراسان سنة (١٨٥هـ/٨٠١م)، بسبيكة من الذهب والفضة والصفر والرصاص والحديد، وكل ستة غطاريف تعادل درهم فضي خالص، في حين أصبح لاحقا درهما فضيا لكل درهم غطريفي وربما أكثر من قيمة الدرهم الفضي الأبيض، وسُكت هذه العملة أول مرة في (قصر ماخ) ببُخارى، وكان الدرهم الغطريفي لا يستعمل إلا في في بُخارى، كما أن أهل بُخارى لا يتعاملون إلا به، وكانت تُعَدُّ العملة المتميزة والمتداولة في البيع والشراء ولاسيما تجارة الرقيق، ومن شدة ثقة الناس في بُخارى بهذا الدرهم أن اشترطوها في مهور بناتهم وكذلك في الخراج. للمزيد، ينظر، ابن فضلان، أحمد بن العباس بن راشد (ت ٣٠٩هـ/٩٢١م): رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد والترك والخزر والروس والصقالبة، تحقيق: سامي الدهان، مديرية إحياء التراث العربي، ط٢، (دمشق، ١٩٧٩م)، ص١١٠؛ الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي (ت ٣٤١هـ/٩٥٢م): مسالك الممالك، مطبعة بريل، (ليدن، ١٩٢٧م)، ص٣١٤؛ النرشخي: تاريخ بخارى، ص٦١؛ السمرقندي: رسوم القضاة، ص١٨٣؛ محمد رضا ناجي: سامانيان، انتشارات دفتر ثذوهشهاى فرهنگـ ، (تهران، ١٣٨٤ش)، ص٥٦.

[٢٧] ابن فضلان: رسالة ابن فضلان ص٧٩.

[٢٨]عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الاسلامية المستقلة ، ص٣٨٢.

وكان جزء من علو مكانة المرأة في المشرق الإسلامي بعامة والترك بعامة وجود قوانين صارمة في مسألة الاعتداء على المرأة المتزوجة؛ إذ كانت تعدّ عقوبتها كعقوبة التآمر أَو الثورة أَو القتل العمد وهي الموت[٢٩]، فقد عرف عنهم إنهم لا يعرفون الزنا ومن ثبت عليه الزنا شقوه نصفين، أَمَّا بالفاس أَو شده على شجرتين[٣٠]، أَو الشق بالسيف أمَّا إذا كانت فتاة غير متزوجة فعقوبتها غرامة مالية أَو إلزام المعتدي بالزواج منها[٣١].

المبحث أَوَّلا: مكانة المرأة ودورها في الإمارة الطاهرية (٢٠٥ـ ٢٥٩هـ / ٨٢٠ – ٨٧٢م):

كانت المرأة في عهد الإمارة الطاهرية[٣٢] تتمتع بقسط وافر من الحرية، وحازت على عناية الأمراء الطاهريين ورعايتهم، فيذكر:((أنَّ الأَمير

(٢٩) سعد زغلول: الإسلام والترك، ص١٢٦.

(٣٠) ابن فضلان: رسالة ابن فضلان، ص١٣٢، ١٣٤.

(٣١) سعد زغلول: الإسلام والترك، ص١٦٢.

(٣٢) الإمارة الطاهرية: هي الإمارة التي بدأت بتعيين الخليفة المأمون (١٩٨– ٢١٨هـ/ ٨١٣– ٨٣٣م)، لقائد جيشه طاهر بن الحسين ذي اليمينين على خراسان سنة (٢٠٥هـ/ ٨٢٠م)، والذي ما لبث ان قطع الخطبة للخليفة المأمون معلنا قيام الإمارة الطاهرية في خراسان سنة (٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، الامر الذي ادى بدار الخلافة إلى تدبير خطة للخلاص من طاهر بن الحسين عبر تناوله السم من احد خدامه، لكن هذه المؤامرة لم تنهِ الإمارة الطاهرية في خراسان إذ حكمها ال طاهر حتى انتهت امارتهم سنة (٢٥٩هـ/ ٨٧٢م) على ايدي الصفاريين بزعامة يعقوب بن الليث الصفار. للمزيد، ينظر، ينظر، ابن طيفور، ابو الفضل احمد ابو طاهر (ت ٢٨٠ هـ/٨٩٣م): كتاب بغداد، جمعها: دكتور احسان ذنون الثامري، دار صادر، (بيروت، ٢٠٠٩م)، ص

عبد الله بن طاهر (٢١٣-٢٣٠هـ/٨٢٨-٨٤٤م) قدِمَ نيسابور بعساكره فنزلوا في دور الناس غصبا، فاتفق أن بعض جنده دخل دار رجل له زوجة حسناء، فقال له أَحد الجنود يوما: اذهب بفرسي واسقها ماء، فلم يجسر على خلافه ولم يستطع مفارقة أهله خوفا عليها من الجند، فقال لزوجته: اذهبي أنتِ بفرسه واسقيها حتى أحفظ أنا أمتعتنا، فمضت المرأة وكانت وضيئة حسناء، فاتفق ركوب الأَمير عبد الله بن طاهر، فرأى المرأة تقود الفرس فقال لها: ما شأنكِ، لست أهلا لهذا، قالت هذا فعل عبد الله بن طاهر قاتله الله، ثم أخبرته الخبر، فغضب وحوقل، ثم أمر العرفاء أن ينادوا في عسكره من بات في نيسابور حُلَّ مالهُ ودمه، وسار إلى شاذياخ وبنى فيها قصرا لهُ وأمرَ الجند ببناء الدور حوله، فتأسست على أثرها مدينة شاذياخ))[٣٣] .

وعرفت الإمارة الطاهرية نساء كُنَّ على قدر كبير من الديانة والزُهد ورجاحة العقل والسخاء، وقمن بالعديد من أعمال البِر والإحسان، إذ يروى أن المسجد الجامع لقصبة سبزوار من أعمال نيسابور قد خرب على أَيدي الخوارج، وكان الناس يذهبون إلى قصبة خسرو جرد لصلاة الجمعة والأعياد، وكان في القصبة امرأة عجوز زاهدة متمولة قد اعتزلت الناس واستوطنت بستانا لها، وحدث في يوم من الأيام أن تنازع أهل خسرو جرد

٢٢؛ اليعقوبي: احمد ابن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب(ت ٢٩٢هـ/٩٥١م): تاريخ اليعقوبي، دار صادر، (بيروت، ١٩٦٠م)، ج٢، ص ٤٥٧.

[٣٣] الحاكم النيسابوري، أبو عبدالله محمد بن عبد الله بن محمد (ت٤٠٥هـ/١٠١٤م): تاريخ نيشابور، تلخيص: أحمد بن محمد بن الحسن بن أحمد الخليفة النيسابوري، باعتناء: دكتور بهمن كريمن، ناشر كتابجانه، ابن سينا، جابخانه اتحاد، (تهران، ١٣٣٩ش)، ص١٢٣.

مع أهل سبزوار حول رؤية الهلال، فقالوا: إن اليوم ليس عيدا عندنا، فتشاور القوم وقالوا: ربما كان بستان هذه العجوز المتمولة يحل هذه المعضلة، ونهضوا وذهبوا إلى باب قصرها، فسمعوا صرير مغزلها، فقالوا لبعضهم: إننا لن نغنم منها شيئا، إلَّا أنَّهم عرضوا عليها مَسأَلة أَعمار مسجدهم، فقالت تلك العجوز: أخبروني كم سيكلّف بناء المسجد، لكي أكتب ذلك في شهادة الوقف، وكم سيقطع من أشجار هذا البستان لتشييد سقوف المسجد، وعن مقدار أجور الأجراء والفعلة لأدفعها، فقال القوم: شكر الله سعيكِ، إن ديانتكِ هي التي جعلتكِ سخية، وجودك قد أخذ المعنى من جود مَعْن[٣٤] .

وكانت المرأة لا تخرج من بيتها من دون محرم، ولا تجرؤ على الكلام مع شخص أجنبي عنها، فإذا فعلت قُتل الاثنان[٣٥] .

المبحث الثاني/ مكانة المرأة ودورها **في الإمارة العلوية (الزيدية) في طبرستان (٢٥٠- ٣١٦ هـ / ٨٦٤ - ٩٢٨ م) :**

وفي الإمارة العلوية[٣٦]، يبدو أنَّ الطبيعة الجغرافية الوعرة لطبرستان وبلاد الديلم قد أكسبت أهالي هذه الأصقاع قوة وخشونة، ولم يقتصر الحال

---

(٣٤) البيهقي، ظهير الدين فريد خراسان علي بن زيد بن محمد (ت ٥٦٥هـ/١١٦٩م) :تاريخ بيهق، ترجمه عن الفارسية وحققه: يوسف الهادي، دار اقرأ للطباعة والنشر والتوزيع، (دمشق، ٢٠٠٤م)، ص١٥١.

(٣٥) ناصر خسرو، أبو معين الدين العلوي المروزي (ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م): سفر نامه، ترجمة وتقديم وتعليق: يحيى الخشاب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، ١٩٤٥م)، ص١٠٤.

(٣٦) الإمارة العلوية: لجاء يحيى بن عبد الله بن الحسن المجتبى(ع) الإمام الثامن عند الزيدية العلوية بعد فشل ثورة الحسين بن علي بن الحسين (ع) في الحجاز ومقتله في

على الرجال بل تجاوز ذلك إلى النساء، فالطبيعة الجغرافية القاسية منحت

موقعة (فخ) سنة (١٦٩هـ/٧٨٥م) زمن خلافة الهادي العباسي (١٦٩ – ١٧٠ هـ/٧٨٥–٧٨٦م) إلى طبرستان، واستقر هناك وكان الخليفة العباسي قد استعان بقائده محمد بن عبد الله بن طاهر لقمع تلك الثورة وفعلا استطاع أنْ ينقض عليها فكافأه بأن أعطاه إقطاعا عند ثغور طبرستان، فأساء التصرف ووضع تحت تصرفه أراضٍ تعود لسكان المنطقة فأدى هذا إلى استياء الأهالي ولم يجدوا بدا من التحالف مع جيرانهم من الديلم، وبعد أنْ تم التحالف بين الطرفين تم الاتفاق على اختيار احد العلويين ليكون أميرا عليهم ، ووقع الاختيار على الحسن بن زيد العلوي (٢٥٠–٢٧٠هـ/٨٦٤–٨٨٣م) والملقب بـ (الداعي الكبير) وبهذا قامت الإمارة الزيدية في طبرستان، وحكم هذه الإمارة من بعدة إخوانه وابنائه إلى ان تقلد الحكم الحسن بن القاسم بن الحسن العلوي (٣٠٤–٣١٦هـ/٩١٦–٩٢٨م) وكان يعرف بـ (الداعي الصغير) الذي دخل في حروب مستمرة مع السامانيين اسفرت عن اندحاره ومقتله سنة (٣١٦هـ/٩٢٨م) وبمقتله سقطت الإمارة العلوية في طبرستان . للمزيد ، ينظر ، الطبري، أبو جعفر محمد جرير (ت ٣١٠ هـ/٩٢٢م): تاريخ الطبري، أو (تاريخ الرسل والملوك)، دار الكتب العلمية، ط٣، (بيروت، ٢٠٠٤م)، ج٥، ص٣٦٢؛ السلامي، أبو ==علي حسين بن أحمد(قرن ٣–٤هـ/٩–١٠ م): أخبار ولاة خراسان، تحقيق ومراجعة: محمد علي كاظم بك، مؤسسة ميراث مكتوب، ط١،(طهران، ١٣٩٠ ش– ق)، ص١٩٢؛ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٩٩٢م)، ج١٢، ص٣٤؛ جان موريس فييه: أحوال النصارى في خلافة بني العباس، ترجمة: حسني زينه، دار المشرق، ط١، (بيروت، ١٩٩٠م)، ص١٦٥؛ علي اصغر مصدق ، وعزت راد منش: مهاجرات ونهضت سادات علوي در ايران آز آغاز تا تأسيس حكومت علويان طبرستان انتشارات دانشكاه تهران، (تهران،١٣٨٢ش)، ص١٦٣.

النساء قوة وشجاعة، الأمر الذي أدى بهن إلى المطالبة بالسماح لهن بمحاربة الأعداء، فحينما هاجم مؤسس الإمارة الصفارية يعقوب بن الليث الصفار (٢٥٤ -٢٦٥ هـ / ٨٦٨ -٨٧٨ م) طبرستان وسيطر على أغلب مدنها، ولما رام الدخول خلف الداعي الحسن بن زيد العلوي (٢٥٠ – ٢٧٠هـ/٨٦٤–٨٨٣م) إلى الشرز من بلاد الديلم، طلبت النساء من الرجال السماح لهن بالتصدي، ليعقوب الصفار وجنده، وأشار إلى ذلك الطبري قائلا: ((إنَّ نساء أهل تلك الناحية قُلنَّ لرجالهن دعوهُ يَدخُل، فإنَّهُ إن دخل كفيْناكُم أمْرَهُ، وعَلَينا أخْذَهُ وأسْرَهُ لكُم)) [٣٧] .

كان للمرأة دورها البارز في المجتمع الطبرستاني، فضلا عن إدارتها لشؤون المنزل، وكانت تقف جنبا إلى جنب مع الرجل في المزرعة، وتربية دودة القز، وممارسة الفنون اليدوية، إذ كانت النساء في طبرستان يكسبن في اليوم خمسين درهما لحسن صنعتهن اليدوية[٣٨]، فضلا عن مشاركتهن للرجل في أعمال البناء[٣٩].

---

[٣٧] تاريخ الطبري، ج٥، ص٥٠٠.

[٣٨] مؤلف مجهول ،(كان حيا ٣٧٢هـ/٩٨٢م): حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ترجمه عن الفارسية وحققه : يوسف الهادي، دار الثقافة للنشر، (القاهرة، ٢٠٠٢م)، ص١٥٦–١٥٧؛ابن إسفنديار، بهاء الدين محمد بن حسن(توفي في القرن ٦هـ/١٢م): تاريخ طبرستان، ترجمة: أحمد محمد نادي، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، (القاهرة، ٢٠٠٢)، ص٩٣؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود(ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣) :آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، (بيروت، ١٩٦٠م)، ص٣٥٣–٣٥٤.

[٣٩] مصطفى مجد: ظهور وسقوط علويان طبرستان، تاريخ سياسي ــ اجتماعي علويان طبرستان (٢٥٠ــ ٣١٦هـ)، نشر رسانش، (تهران، ١٣٨٦ش)، ص٦٤.

وكانت المرأة في بعض أجزاء هذه الإمارة تتمتع بمقدار من الحرية الناجمة عن ضعف الالتزام الديني، فهي ترتدي أجمل ملابسها وتخرج إلى السوق لتشارك الرجل أفراحه ومسراته، وقد ذكر القزويني أن: ((نساء جيلان أحسن النساء صورة، لا يستترن عن الرجال، يخرجن مكشوفات الرأس والوجه))[٤٠] .

والمرأة في بلاد الديلم لا تخرج بالنهار إلا قليلا إنما تخرج في الليل في أكسية سوداء، ولا يحق لها أن تتزوج بعد موت زوجها، فإن فعلت ضرب الصبيان على بابها بالحجارة والخزف، ولا يحق لها أن تتزوج إلى غير الديالمة وإن فعلت استوجب قتلها[٤١]. ويبدو أنّ هذه العادات ناجمة أو مستوحات من بعض العادات والتقاليد الفارسية التي كانت سائدة في هذا الإقليم قبل الإسلام.

وتميَّزت نساء طبرستان وبلاد الديلم بإكرام الضيف، وحسن استقباله واحترامه، وأشار الصابي إلى ذلك نقلا عن أحد شهود عيان فيقول: ((كنت ماشيا مع صديق ببلد الديلم في يومٍ شاقٍ فأرخت السماء غزاليها، فلما اشتد السيل وتجاوزت السماء مقدار احتمالنا قال لي: هلم بنا إلى منزل من الديلم بيني وبينه معرفة ضعيفة ... فملت معه إليه، فلم يكن في منزله فخرجت إلينا عرضه [زوجته]، فلما علمت أننا نريد النزول رحبت بنا، وأدخلتنا إلى

---

[٤٠] آثار البلاد، ص٣٥٣.

[٤١] المقدسي، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م): أحسن التقاسيم معرفة الأقاليم، علق عليه ووضع حواشيه: محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٣م)، ص٢٧٨.

الدار، وجاءتنا بالنار وخدمتنا ... وقدّمت إلينا الطعام واتبعته بالغسول، وجميع ذلك بطلاقة ونشاط، وأشرف ابتهاج)) [٤٢] .

المبحث الثالث/ مكانة المرأة ودورها في الإمارة الصفارية(٢٥٤–٢٩٨هـ/٨٦٧ – ٩١٠ م):

وحظيت المرأة في الإمارة الصفارية [٤٣]، بمكانة مرموقة لدى الأمراء الصفاريين، إذ كان يعقوب الصفّار مؤسس هذه الإمارة حريصا جدا على

---

[٤٢] التاجي، ص١٢٢.

[٤٣] الإمارة الصفارية: تنتسب إلى مؤسسها يعقوب بن الليث الصفار (٢٥٤ –٢٦٥ هـ / ٨٦٨ –٨٧٨ م) الذي كان في حداثته صانعا في عمل الصفر في سجستان ولذلك سميت الإمارة الصفارية ، بزغ نجم يعقوب الصفار بزعامته لفرق المتطوعة لحرب الخوارج في سجستان، وتمكن من القضاء عليهم والسيطرة على سجستان ومن ثم مدَّ نفوذه على الأقاليم المجاورة حتى تمكن من السيطرة على كل من إقاليم كرمان وفارس، وخراسان، وفتح بلاد كابل، وأراد السيطرة على بغداد والقضاء على الخلافة العباسية، ولكنه تعرض إلى هزيمة نكراء في معركة دير العاقول في العراق سنة (٢٦٢هـ/ ٨٧٥م) وبعد وفاة يعقوب الصفار سنة (٢٦٥هـ/ ٢٧٨م) بايع الجند أخاه عمرا بن الليث الصّفار (٢٦٥– ٢٨٧هـ/ ٨٧٨– ٩٠٠م) وقد اقرت الخلافة هذا الاختيار، وفي عام (٢٨٧هـ/ ٩٠٠م) انهزم عمرو الصّفار أَمام الجيش الساماني ووقع اسيرا في قبضة السامانيين، ثم ارسل إلى بغداد إذ بقي في سجنه حتى مات عام (٢٨٨هـ/ ٩٠١م)، وبعدها آل حكم الصفاريين إلى الأَمراء الضعاف من أبناء وأحفاده عمرو الصفار، وفي سنة(٢٩٨هـ/٩١٠م) قصد سجستان الأَمير أحمد بن إسماعيل الساماني(٢٩٥–٣٠١هـ/٩٠٧–٩١٣م) وتمكن من القبض على آخر أُمراء البيت الصفاري محمد بن علي بن الليث الصفار(٢٩٦– ٢٩٨ هـ / ٩٠٨–٩١٠ م)، وبذلك سقطت الإمارة الصفارية. للمزيد. ينظر، حمزة الأصفهاني بن الحسن (ت ٣٦٠هـ/

الحفاظ على كرامة النساء وعفتهنَّ في أرجاء إمارته، وكان شديدا قاسيا في المحافظة على الناموس وعورات النساء، ولم يسمح لنفسه ولا لجنده أن يتعدوا على أحد من النساء، أو ينظروا إليهن بعين الفسق والفجور، ويقال إنَّه كان يجلس يوما في حديقة قصره فرأى شخصا جالسا أمام قصره، وقد أسند رأسهُ إلى ركبتيه ففكر في أمره، فأرسل حارسا أحضر ذلك الرجل، فلمَّا حضر، قال: ((أيها الأَمير إنَّ قائدا من قُوَّادك يهبط من السقف كل ليلة على ابنتي من دون رغبةٍ مني ، ومن البنت ويرتكب الفاحشة ولا طاقة لي على دفعه، قال يعقوب: اذهب إلى منزلك وحينما يأتي تعال إلى هنا، وستجد عند حديقة القصر رجلا بدرعه وسيفه سيذهب معك ويقضي لك أمرك، وذهب الرجل ولم يأتِ القائد تلك الليلة، فلمَّا كانت الليلة التالية جاء، فذهب والد الفتاة إلى قصر يعقوب، فإذا برجلٍ ينتظره، وقد لبس درعه وسيفه فذهب معه إلى منزله، وكان هذا القائد موجودا في البيت، فرفع سيفه وهوى به على مفرقه فشطر رأسهُ شطرين، ثم قال: أشعل المصباح، فلما أضاء النور، نظر والد الفتاة إلى الرجل فإذا هو يعقوب نفسه، جاء للانتقام، قال الرجل وماذا أفعل بهذه الجثة، قال يعقوب احمله وألقه على حافة خندق المدينة، فحمل الرجل الجثة وألقاها هناك، فلمَّا كان الصباح أمر يعقوب بالمنادي يسير في المدينة ويقول: من أرادَ أن يرى جزاء المنتهكين للحرمات، فليذهب إلى حافة الخندق

٩٧٠م): تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، (عليهم الصلاة والسلام)، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت، ١٩٦١م) ، ص ١٦٩- ١٧٠؛ ميرخوند، مير محمد بن سيد برهان الدين خواوند شاه (ت ٩٠٣هـ/١٤٩٧م) : تاريخ روضة الصفا، انتشارات بيروز، (تهران، ١٣٣٩ش) ، ص٥٧-٧٢..

ويرى جثة ذلك القائد))[٤٤]، ومن خلال استقراء الرواية السابقة نلحظ بأنَّ الرواية مبالغ فيه والدافع من ورائها هو تلميع صورة الأَمير يعقوب الصفار في أنظار الناس؛ لأنَّ مؤلف تاريخ سجستان يعدّ شخصا متعصبا للسجستانيين، وهو بمثابة أداة دعاية وتلميع للسجستانيين بعامة وللصفاريين بخاصة.

وعرف عن السجستانيين أنَّهم كانوا أشداء في تعاملهم مع النساء، فلم تكن تخرج لهم امرأة من المنزل وحدها، إمَّا أنْ تكون برفقة محرم لها، أو برفقة نساء أُخريات[٤٥]، وأن عملها اقتصر على التدبير المنزلي وتربية الأطفال[٤٦] .

وكان زواج النساء في سجستان مبكرا جدا، إذ كانت تزوّج وهي في سن العاشرة أو الحادية عشرة من عمرها[٤٧]، كما أن نساءهم تميّزن بالعفة والأخلاق العالية، ومن شذّت عن ذلك فيقال: إنَّها ليست سجستانية أصيلة، وربما لم تكن من سجستان[٤٨].

---

[٤٤] مؤلف مجهول :تاريخ سجستان، ترجمة. محمود عبد الكريم علي، المجلس الأعلى للثقافة، (القاهرة، ٢٠٠٦م)، ص٢١٦-٢١٧.

[٤٥] القزويني: آثار البلاد، ص٢٠٢.

[٤٦] جهيدة بُو جمعة: مجتمع سجستان في ظل الدولة الصفارية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، (القاهرة، ١٩٩١م)، ص١٤٢.

[٤٧] جهيدة بو جمعة: مجتمع سجستان، ص١٤٢.

[٤٨] مؤلف مجهول: تاريخ سجستان، ص٢٥.

وعرف عن النساء السجستانيات أيضا اعتقادهن بالخرافات وأقوال المنجمين والمتنَبئين، فكانت المرأة تزور المنجمين للعلاج من الحسد والعين بالطلاسم والبخور والدعاء، وكذلك للكسب قلب زوجها ومنعه من التفكير بالزواج عليها، أَو النظر إِلى غيرها بحسب اعتقادهن(٤٩) .

وتحيا المرأة في بعض أرجاء الإمارة الصفارية حياة مُتَدينة، إذ إنَّ نساء شيراز أهل صلاح ودينٍ وعفاف، وهن يلبسن الخفاف ويخرجنَ متلحفات متبرقعات، فلا يظهر منهن شيء، ولهن الصدقات والإيثار، ويجتمعن لسماع الواعظ في كل يوم اثنين وخميس وجمعة بالجامع الكبير في المدينة، وقد يصل عددهن إلى الألف والألفين بأيديهن المراوح يروحن بها عن أنفسهن من شدة الحّر، ولا يوجد اجتماع للنساء في مثل عددهّن في أية مدينة أُخرى من مدن المشرق الإسلامي(٥٠) .

المبحث الرابع/ مكانة المرأة ودورها في الإمارة السامانية (٢٦١– ٣٨٩هـ/ ٨٧٤ – ٩٩٩ م):

وفي الإمارة السامانية(٥١)، شاركت المرأة بما سمح لها الإسلام في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والتربوية كأخواتها من

---

(٤٩) جهيدة بو جمعة: مجتمع سجستان، ص١٤٤.

(٥٠) ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي (ت ٧٧٩ هـ/١٣٧٧م): رحله ابن بطوطة المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار)، تحقيق: علي المنتصر الكناني، مؤسسة الرسالة، ط٤، (بيروت، ١٤٠٥هـ)، مج١، ص٢٢٣.

(٥١) الإمارة السامانية: ينتسب السامانيون إلى جدهم الاعلى سامان بن خداه بن حسمان بن طغاث؛ ولذلك يسمون بالسامانيين، الذين استطاعوا من تأسيس الإمارة السامانية

الأُمم والنِحل الأُخرى، ووضعن لبنات في بناء هذه الحضارة، لَبِنات تتلألأ في التاريخ، كلَّما ذكرت المرأة السامانية، وقد برز هذا الموقف المُشرف للمرأة في خراسان وبلاد ما وراء النهر[٥٢] .

ففي المجال السياسي شاركت المرأة السامانية بفعالية واضحة في النواحي السياسية، فتتحدث المصادر عن عهد الأَمير نوح بن منصور، فبرز الدور الفعال الذي أدّته أمه في توجيه أمور الإمارة السامانية آنذاك، فقد كان لهذه السيدة التي تغلبت بنفوذها على ابنها دورها في تعيين الوزراء وعزل القادة والعمال ممَّا جعل تسلطها هي وسائر نساء قصر الأَمير نوح بن منصور من السمات الواضحة لفترة حكمه[٥٣]، ولم يقف الأمر عند هذا الحد،

(٢٦١- ٣٨٩هـ/ ٨٧٤- ٩٩٩م) في بلاد ما وراء النهر، واتخذوا مدينة بُخارى حاضرة لهم وتمكنوا ان يمدو نفوذهم إلى جميع خراسان وطبرستان وسجستان، وانهارت الإمارة السامانية على يد الاتراك بقيادة ملك الترك ايلك خان ابو نصر احمد بن علي شمس الدولة (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م). للمزيد، ينظر، النرشخي: تاريخ بخارى، ص١٠٥- ١٠٦؛ البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٧٠٩؛ الجوزجاني، أبو عمرو منهاج الدين منهاج السراج عثمان بن محمد(توفي في القرن ٧هـ/١٣م): طبقات ناصري، ترجمة وتقديم: عفاف السيد زيدان، المركز القومي للترجمة (القاهرة،٢٠١٣)،ج١، ص٣٣٦.

[٥٢] أحمد عبد العزيز محمود مصطفى: الدولة السامانية تاريخها وحضارتها(٢٦١-٣٨٩هـ/٨٧٤-٩٩٩م)، مكتبة التفسير، (اربيل،٢٠١٢م) ، ص٢١٣.

[٥٣] العتبي: شرح اليميني، ج١، ص١٣٦؛ خواندمير، غياث الدين بن همام الدين الحسيني(٩٤٢هـ/١٥٣٥م) : حبيب السير في أخبار أفراد البشر، كتابفروش خيام، جاب ٢، (تهران، ١٣٥٣ش)، ج٢، ص٣٦٦؛ فتحي أبو سيف: المصاهرات السياسية، ص٢٦.

بل إنّ التاريخ الساماني زاخر بأسماء نساء لامعات في النواحي السياسية أمثال: زوجة داود بن علي أمير بلخ من قبل دار الخلافة العباسية، التي تبرعت بثوب لها مرصع بالجواهر، بدلا من خراج المدينة حين فرض عليهم دار الخلافة العباسية خراج مضاعف، ولم تكتفِ عند هذا الحدِّ، بل خصصت ذهبها ومجوهراتها في بناء المسجد الكبير في بلخ[٥٤].

وكانت قرية نرشخ من قرى بُخارى تحكم من سيدة تسمَّى (سيدة نرشخ)، وذلك في حدود سنة (١٥٩هـ/٧٧٦م)[٥٥].

كما كان للمرأة دورٌ مميّز في إرساء الصلح ما بين الخصوم، فكانت المصاهرة تجعل من العداء صداقة وقرابة، وصار هذا النوع من الزواج ـ المصاهرة السياسية ـ سببا في إحلال السلام بعد القتال، كما حدث في زواج الأَمير منصور ابن الأَمير نصر بن أحمد الساماني (٣٠١-٣٣١هـ/٩١٣-٩٤٢م) وابنة عضد الدولة البويهي(٣٥٢-٣٧٣هـ/ ٩٣٦-٩٨٣م) سنة (٣٦١هـ/٩٧٢م)[٥٦]، ومن أَنموذجات هكذا زواج أيضا، زواج الأَمير نوح بن نصر من ابنة إمبراطور الصين[٥٧].

---

[٥٤] ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، مج١، ص٤٢٣؛ أحمد عبد العزيز محمود مصطفى: الدولة السامانية، ص٢١٤؛ لم نعثر على سنة وفاة أمير بلخ داود بن علي، ولا على اسم الخليفة العباسي الذي فرض الخراج على المدينة.

[٥٥] النرشخي: تاريخ بُخارى، ص٩٩.

[٥٦] مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م) : تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: سيد كسروي حسين، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٣هـ)، مج٥، ص٣٩٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٣٠٨.

[٥٧] بدر الدين حي الصيني: العلاقات بين العرب والصين، ص١٩٨.

وكانت هناك عادة شائعة في الإمارة السامانية، وهي مصاهرة الأمراء لقادتهم لتأليف قلوبهم، وضمان ولائهم، فتزوَّج الأَمير عبدالملك بن نوح (٣٤٣-٣٥٠هـ/٩٥٤-٩٦١م) ابنة قائده أحمد بن محمد عراق، وتزوج الأَمير نوح بن منصور ابنة قائده محمد بن إبراهيم بن سيمجور (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م)[٥٨].

ولأنَّ المرأة السامانية كانت معتزة بنفسها ودينها كثيرا، فقد كانت ترفض الزواج ممَّن لا يناسبها، فقد رفضت ابنة الأَمير نصر بن أحمد خطبة ملك الصين؛ لأنَّه لم يكن مسلما[٥٩] .

ومن شدة حرص الأمراء السامانيين على حريمهم، أنَّهم كانوا يجعلون الحريم في دور خاصة بجوار دار الإمارة[٦٠]، وجرت العادة أن نساء الأمراء السامانيين كن يصحبنَ أزواجهنَّ في رحلاتهم إذ كنّ يستقرون في خيم

---

[٥٨] الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م) :آداب الملوك، تحقيق: جليل العطية، دار الغرب الإسلامي، ط١، (بيروت، ١٩٩٠م) ، ص١١٢؛ ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٦٩.

[٥٩] بدر الدين حي الصيني: العلاقات بين العرب والصين، ص١٩٩.

[٦٠] الكرديزي: زين الأخبار ص٤٠؛ النظامي العروضي السمرقندي، أحمد بن عمر بن علي (توفي في القرن ٦هـ/١٢م): جهار مقالة (المقالات الأربع) في الكتابة والشعر والنجوم والطب، وضع حواشيه: محمد بن عبد الوهاب القزويني، ترجمة: عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١ (القاهرة، ١٩٤٩م)، ص٧٨.

خاصة [٦١]، ومن أَجل تمييز نساء الأُمراء والأشراف في هذه الإمارة عن سائر النساء كان يتم حملهن بالهوادج[٦٢].

وخاف السامانيون كغيرهم من المسلمين على شرفهم، بل حرصوا عليه أشد الحرص حتى أن بخاريا لحق شابا عبث بشرفه إلى مصر وقتله[٦٣] .

وقامت المرأة السامانية بمهامٍ دلّت على جرأتها وامتلاكها المبادرة، إذ قامت إحدى سيدات بُخارى بمهمة كبيرة، وذلك سنة (٣٩٠هـ/٩٩٩م)، حينما تمكن الأَمير إسماعيل بن نوح من الهرب من سجنه بمساعدة إحدى الجواري، وأخذ يطالب بعرش أجداده بعد أن سقطت إمارتهم على يد أَيلك خان، فتعقبه جنود ايلك خان، عندها التجأ إلى دار إحدى السيدات، فخبأت هذه السيدة العجوز الأَمير في بيتها إلى أن سكن الطّلبُ عليه، فهرب من بُخارى إلى خوارزم[٦٤] .

---

[٦١] القرماني، أحمد بن يوسف، (ت ١٠١٩هـ/١٦١٠م) : أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق: أحمد حطيط وفهمي سعيد، عالم الكتب، ط١، (بيروت، ١٩٩٢م)، ج٤، ص٤٢١.

[62] C.E. Boswarth: The Chaznavids , their Empire in Afganistan and Eastern Iran,, 994 – 1040,,libraire Duliban (Beirut , 1973), p. 138.

[٦٣] إحسان ذنون الثامري: مدينة بُخارى، ص٥٢.

[٦٤] ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٤٨٨.

وظهر نبوغ المرأة السامانية في المجال الثقافي والعلمي أيضا، فكانت السيدة سكينة بنت القاضي أبي ذر محمد بن محمد بن يوسف البخاري(ت٣١٤هـ/٩٢٦م) تُحدّث وتروي الحديث عن جدها رفيق الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ/٨٦٩م) صاحب الصحيح، وروى عنها كثير من البخاريين[٦٥]، كما كانت بعض النساء يحضرن مجالس الشعر والأدب [٦٦]

ولم تبخل المرأة السامانية في مشاركة الرجل الحياة العامة، إذ كانت تمثل ربة البيت والزوجة الراعية لمصالح زوجها، فضلا عن مساعدة زوجها في العديد من الأعمال مثل: الزراعة وصناعة السكاكين والمقصات، كما كنَّ يشتهرن بالخياطة والتطريز والأعمال الدقيقة التي تصنع بالإبرة [٦٧] .

لقد فتح الأمراء السامانيون للمرأة وبالاستناد إلى أحكام الدين الإسلامي، كل ساحات الخير والإسهام النافع في بناء المجتمع ورفعة الحياة الفاضلة، في إطار الأخلاق الصالحة، والاستقامة الواضحة، وعلى الرغم من هذه المنزلة العالية، إلَّا أنَّه كان هناك أقوام في كيش ونخشب، وبعض قرى الصغد وبُخارى، من أتباع الديانة المقنعية[٦٨]، يبيعون نساءهم لبعضهم

---

[٦٥] ابن ماكولا: الإكمال، ج٤، ص٣١٦.

[٦٦] الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م): يتيمة الدهر، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٨٣م)، ج٤، ص١٢٦.

[٦٧] القزويني: آثار البلاد، ص٥٢٠.

[٦٨] المقنعية: نسبة إلى هاشم بن حكيم المعروف بـ (المقنع الخراساني) من قرية (كازه) من مرو، الذي ظهر في خلافة أبي جعفر المنصور(١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٣-٧٧٤م)،

بعضـا، ويقولـون:((بـأن المـرأة كـالورد لا يـنقص منهـا شـيء قط إذا شـمت, وحين يدخل رجل إلـى امرأة للخلوة يترك علامـة علـى بـاب البيت حتـى إذا وصل زوج هذه المرأة، يعلم أنها مع رجل في البيت فيعود وحين يفرغ الرجل يدخل الزوج بيته))(٦٩) .

المبحث الخـامس/ مكانـة المـرأة ودورهـا فـي الإمـارة الغزنويـة (٣٥٠هـ – ٥٨٢ هـ/ ٩٦١م – ١١٨٦م)

حظيت المرأة في الإمـارة الغزنويـة (٧٠) بحظ وافر من الحريـة فذكر التاريخ أَسماء نساء تمتعن بشيء من النفوذ وظهرن على المسرح السياسي

الذي ادعى النبوة مرة، والحلولية والألوهية مرة أخرى، وقال: إنَّ روح الإله قد حلّ فيه، ثم اسقط عن أتباعه التكاليف الخاصة بالعبادات من صلاة وزكاة وصيام وغيرها، وتقنع بقناع أخضر وقيل قناع من الذهب، وقام أتباعه بالاعتداء على المساجد، وقتل المسلمين، وقد سحق العباسيون هذه الحركة سنة (١٦١هـ/٧٧٧م) ، ومع ذلك ظل أتباع المقنع يتواجدون في بلاد ما وراء النهر، إلى أواخر القرن الرابع للهجرة، اذ كانوا يتواجدون في ناحية كيش ونحشب وقرى الصغد، وفي قرى وجبال آيلاق. للمزيد، ينظر، ينظر، النرشخي: تاريخ بخارى، ص٩٨–١١٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٢٢٣؛ خواندمير: حبيب السير،ج٢، ص٢٢٠؛ صلاح أبو السعود: الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، منذ سقيفة بني ساعدة إلى اليوم، مكتبة النافذة، ط١، (القاهرة، ٢٠٠٥)، ص٢٦.

(٦٩) النرشخي: تاريخ بُخارى، ص١١٠.

(٧٠) الإمارة الغزنوية: يرجع ظهور هذه الإمارة إلى دور أَحد القادة يدعى سبكتكين، فقد تولّى مدينة غزنة من قبل السامانيين، ثم نما نفوذه وسلطانه في الشرق؛ وانصرف سيكتكين وولده السلطان محمود (٣٨٩–٤٢١هـ/ ٩٩٨–١٠٣٠م) في توسيع حدود

وقمن بأدوار سياسية ومن اشهرهن الأَميرة الحرة الختلية اخت السلطان محمود الغزنوي[٧١]، اذ كانت اديبة وذات شهرة في الحكمة وبعد النظر فحينما توفي السلطان محمود بعثت إلى ابنه مسعود الذي كان في هراة ملطفة[٧٢] بخط يدها تعلمه بخبر وفاة السلطان محمود وكيف تسير الأُمور في العاصمة غزنة وإرسال الرسل إلى جوزجان لاستدعاء الأَمير محمد ابن السلطان محمود الغزنوي لإجلاسه على عرش غزنة وتطلب منه الحضور

إمارتهم على حساب الإمارات الأَخرى، اذ تمكن سلطان محمود الغزنوي من توسيع حدود إمارته حتى صارت حدودها تمتد من الشمال الهند في الشرق إلى العراق في الغرب، ومن خراسان وطخارستان وجزء من بلاد ما وراء النهر في الشمال إلى سجستان في الجنوب، وبعد وفاته سنة(٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) آل الحكم إلى ولده الأَمير محمد بعهد منه لمدة قصيرة ومن ثم تولى حكم الإمارة الغزنوية السلطان مسعود (٤٢٢-٤٣٢هـ/١٠٣٠-١٠٤٠م)، وهو آخر السلاطين الأقوياء، فقد اقتصر نفوذ الإمارة بعد وفاته على بلاد الهند بعد أن خسر إقليمي خراسان وبلاد ماوراء النهر على اثر معركة دندانقان مع السلاجقة في سنة(٤٣١هـ/١٠٣٩م). وبعد وفاة السلطان مسعود استقر أمر السلطنة إلى السلطان مودود(٤٣٢-٤٤١هـ/١٠٤٠-١٠٤٩م) الذي سلك سيرة جده السلطان محمود الغزنوي ، بعد ذلك تعاقب على حكم هذه الإمارة عدد من السلاطين الضعاف، وفي سنة (٥٨٢هـ/ ١١٨٦م) وعلى عهد السلطان اخر سلاطين الإمارة الغزنوية تاج الدولة خسرو ملك بن خسرو شاه (٥٥٥-٥٨٢هـ/١١١٦-١١٨٦م) سقطت هذه الإمارة على يد الإمارة الغورية (٥٤٣-٦١٢هـ/١١٤٨-١٢٩٥م). للمزيد، ينظر، الكرديزي، زين الاخبار، ج٢ ، ص١٠٤، البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٢، ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٥٨.

[٧١] البيهقي، تاريخ البيهقي، ص١٢.

[٧٢] البيهقي، تاريخ البيهقي، ص١٢

إلى العاصمة غزنة؛ لأَنَّها الأَصل وان خراسان وبقية البلاد ليست إلَّا فروعا لها. ممَّا يدل على حكمتها في تقدير الأُمور، فضلاً عن أَنَّها كانت متحمسة لمصالح الأَمير مسعود حتى أَنَّها كانت بمثابة عين له على أَبيه(٧٣).

وحينما وصل مسعود إلى غزنة عمدت إلى إعداد أَنواع متعددة من المأكل اللذيذة وأَرسلتها إليه على جاري عادتها أَيام السلطان محمود(٧٤).

ومن بين النساء اللواتي كان لهن دور في السياسة ستي زرين التي قربها السلطان مسعود وأَسند لها منصب الحجابة (٧٥).

ومن الأَميرات اللواتي كان لهن دورهن المؤثر الحرة الجليلة ابنة السلطان مسعود التي تزوجها الحاجب طغرل نزان قسرا وكرها بعد أَن قتل الأَخير السلطان الغزنوي عبد الرشيد بن محمود(٤٤١-٤٤٤هـ/١٠٤٩-١٠٥٢م) في سنة(٤٤٤هـ/١٠٥٢م) وتحالف مع السلاجقة ضد الغزنويين وجلس على عرش غزنة أَربعين يوما إلى أَن تم القضاء عليه(٧٦)، وأَسهمت الأَميرة في استعادة أُسرتها للحكم بعد أَن اتفقت مع كبار القادة والأَشخاص الموالين لحكم أُسرتها، فقدّمت كل المساعدات الممكنة من أَجل قتل الخائن

---

(٧٣) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٢٨٠

(٧٤) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٤٢٠.

(٧٥) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٤١٨.

(٧٦) الحسني، صدر الدين ابي الحسن بن السيد الامام ابي الفوارس ناصر بن علي، (ت ٦٢٢ه/ ١٢٢٥م): اخبار الدولة السلجوقية، أعتنى بتصحيحه، محمد اقبال ط١، (دار الآفاق الجديد، بيروت- ١٩٨٤) ، ص١٤؛ ابن الاثير: الكامل، ج٨، ص٣٠٥-٣٠٦؛ الجوزجاني: طبقات ناصري،ج١،ص٢٣٥.

طغرل نزان وإجلاس فرخزاد بن السلطان مسعود (٤٤٤-٤٥١هـ/١٠٥٢-١٠٥٩م)على عرش غزنة[٧٧] ، الأَمر الذي يوضح مدى ما تمتعت به هذه الأَميرة الغزنوية من إدراك وسعة أُفق في تقديرها للموقف المتدهور الذي كاد أَن يؤدي إلى كارثة لأُسرتها، وبذلك انتقمت لأَخيها واستعادت أُسرتها حكم غزنة[٧٨].

وعرفت هذه الإمارة نساء كنَّ على قدر كبير من العلم والمعرفة من بينهن جدة عبد الغفار الكاتب متولي رئاسة ديوان الرسائل السلطان محمود الغزنوي، التي كانت ذات ورع وتقوى تستطيع القراءة والكتابة وتحفظ القرآن الكريم وتحيط علما بالتفاسير والتعبير وأَخبار سيرة النبي محمد (ρ) إلى جانب مهاتها في إعداد الأَطعمة ورائق الأَشربة وإِعداد الحلوى فضلا عن أنَّها أسهمت إلى جانب زوجها بتعليم وتربية أَولاد السلطان محمود الغزنوي محمد ومسعود وأَخيه الأَمير يوسف؛ إذ كان هؤلاء الأُمراء يجتمعون عندها لكي تقص عليهم السير والأَخبار والحكايات [٧٩].

ومن النساء اللواتي اشتهرن برجاحة العقل والحكمة والدة أبي نصر مشكان وهو أَيضا ممَّن تولى رئاسة ديوان الرسائل في عهد السلطان محمود الغزنوي ومن حكمها: إنَّها قالت لابنها:((إنَّ السلطان إذا ما استوزر أَحدا

---

[٧٧] الحسني، اخبار الدولة السلجوقية ، ص١٤-١٥، الجوزجاني: طبقات ناصري،ج١، ص٢٣٦؛ ميرخواند ، تاريخ روضة الصفا، ج٧، ص١٤٢ .

[٧٨] محمد حسن عبد الكريم العمادي : خراسان في العصر الغزنوي ، تقديم ، نعمان جبران، (مؤسسة حمادة للخدمات اربد- ١٩٩٧)، ص٢٠١- ٢٣٧ .

[٧٩] البيهقي، تاريخ البيهقي، ص١١٥.

فإنَّه يعاديه بعد أُسبوع بالرغم من حبه إيّاه؛ إِذ يتصوره شريكا له في الملك، والملك لا يتم بالشريك))[٨٠].

وجدت في الإمارة نساء ثابتات الجنان منهن أُم الوزير أَحمد حسين بن ميكال المعروف بـ(حسنك)، التي لم تتزعزع حينما سمعت خبر شنق ابنها، بل أَخذت تبكي بحرقة وأَلم حتى بكى من حولها من الحضور، ثم سكتت وقالت ((يالولدي من رجل عظيم، يمنحه ملك كالسلطان محمود عالم الدنيا فيمنحه ملك آخر كالسلطان مسعود عالم الآخرة)) ولاقت هذه الكلمات إعجاب كل من سمعها وأَقامت له مأتما عظيما في نيسابور[٨١].

وشاركت المرأة الغزنوية سائر أَفراد المجتمع احتفالاتهم وأَفراحهم في نواحي الإمارة كافة فحينما قدم السلطان مسعود إِلى غزنة سنة (٤٢٢هـ/١٠٣٠م) خرج أَهل المدينة رجالا ونساء وأَطفالا لاستقباله في حماس وسرور[٨٢].

وإِنَّها قامت بدور مهم في الحياة الأُسرية من قيامها ببعض الأَعمال لمساعدة أُسرتها في المعيشة؛ إِذ كانت تقوم بأعداد الأَطعمة التي كانت تقدم من التجار أو الأَعيان إِلى السلطان في بعض المناسبات، وكذلك كانت المرأة الغزنوية تعمل في حياكة الأَقمشة القطنية، فضلا عن قيامها بمهامها الرئيسة المتمثلة بتربية الأَولاد والقيام بالأعمال المنزلية[٨٣].

---

(٨٠) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٣٦٠.
(٨١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٢٠٢.
(٨٢) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٢٧٩.
(٨٣) البيهقي: تاريخ البيهقي ، ص١٣٥.

وحازت المرأة في الإمارة على اهتمام السلاطين ورعايتها ، فيذكر أنَّ السلطان محمود كان يسير مع أَبي العباس الطوسي رسول الخليفة القادر بالله (٣٨١-٤٢٢هـ/٩٩١-١٠٣٠م) في غزنة فحدث أَن اعترضت طريقه امرأة مستغيثة بأَحد رجال إمارته المتمتعين بنفوذ كبير وبعد أَن تأكد من صحة ما ذكرته المرأة أَمر برجم هذا الرجل، ومن ثم إحراقه، وبيع ما يملكه وتسليمه إلى المرأة بحق ما ارتكبه بحقها[٨٤]. وكانت محصلة كل ذلك ان تمتعت المرأة في المجتمع الغزنوي بنوع من الحصانة والحرية واحترام حقوقها.

ومن مظاهر السيادة للمرأة الغزنوية في الحياة العامة والإداريَّة استعانتها بموظف خاص بها لإدارة أُمورها الخاصة وسُمِّي هذا الموظف (بالمستوفي) وهو موظف خاص في الإمارة يهتم بالأمور المالية، وهذا دليل على حجم سعة سلطة المرأة في هذه الإمارة[٨٥].

وبالنظر لمكانة المرأة عند السلاطين الغزنويين كان الحرم السلطاني يرافقون السلطان والجيش في تجوالهم؛ إذ كانوا يستقرن في خيام خاصة[٨٦].

---

[٨٤] ابن الزبير، أبو الحسن أحمد بن القاضي الرشيد (توفي في القرن ٥هـ/١١م): الذخائر والتحف، تحقيق: محمد حميد الله، مراجعة: صلاح الدين منجد، سلسلة التراث العربي، (الكويت، ١٩٥٩م) ، ص١٥١-١٥٣.

[٨٥] فتحي ابو سيف، المصاهرات السياسية،ص٥١،٥٢ ؛ نعمة علي مرسي: المرأة المسلمة في اسيا الوسطى، ص٦٤.

[٨٦] البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٧٢٧، Bosworth, The chaznavids, p138.

ومن أَجل تميز نساء السلاطين والأُمراء والأَشراف في الإمارة عن سائر النساء يتم حملهن بالهوادج[٨٧].

وتمتعت حرائر السلاطين بحرية واسعة في عهود السلاطين الأَوائل، لكن هذه الحرية لم تبق على حالها في أَواخر العهد الغزنوي فبعيدا عن حرية النساء في الحياة التركية فإنَّ الغزنويين حاصروا نساءهم تحت قيود النظام الحربي جنبا إلى جنب مع الجواري، وهذا النظام صار محاكا بصورة صارمة حتى قيل إن السلطان بهرام شاه (٥١٢-٥٤٧هـ/١١١٨-١١٥٢م) كان مترددا بالسماح لأَي طبيب لمعالجة نساء الحرم[٨٨].

خاتمة البحث ونتائجه :

بعد الانتهاء من هذا البحث الذي كُرِّس لدراسة**(مكانة المرأة في مجتمع المشرق الإسلامي ودورها في عهود الإمارات شبه المستقلة "في القرنين الثالث والرابع للهجرة/ التاسع والعاشر للميلاد)** يمكننا أن نوجز أَهم النتائج التي توصّلنا إليها وظهرت جلية واضحة من خلال البحث وهي على النحو الآتي :

١ - كانت المرأة في ظل الإمارتين العلوية والسامانية حاضرة في الميدان الاقتصادي، إذ كانت تعمل مع زوجها أو تكدُّ وحدها لتعيل أسرتها وتقضي حاجاتها وتفعّل الخير من جهدها وكدّ يمينها، وقد جاء ذلك في نصوص تأريخية كثيرة يظهر فيها تنوع نشاط المرأة الاقتصادي وتعدده،

---

(٨٧) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٧٣.

(٨٨) Bosworth, The chaznavids, p139.

وسعة ساحته وحدوده، وبالمقابل نجد أنَّ المرأة في الإمارة الصفارية قد اقتصر عملها على المهام الأسرية والبيتية.

٢- عرفت المرأة في المشرق الإسلامي ظروفا قاسية ومحطات صعبة مظلمة طوحت بها بعيدا عن إنسانيتها ومزّقت كرامتها وهوّنت من شأنها، وكان هذا قبل الإسلام و بعده، ولكنَّها لم ترقَ إلى ذروة الإنسانية الحق إلا حينما عمّت شريعة الإسلام في هذه البلاد، فعندئذ أخذ وجود المرأة وجهة صحيحة، فانطلقت مع الرجل إلى مرحلة الحضور القوي في ميدان الحياة وبناء المجتمع، فكان لها أبلغ الأثر في بناء الحضارة الإسلامية في القرنين الثالث والرابع للهجرة، ولكن كل هذا لم يمنع من بقاء بعض العادات البالية التي تقلل من شأنها في بناء المجتمع ويظهر هذا جليا في بعض مناطق الإمارة السامانية من أتباع الديانات الوثنية الذين استمروا في احتقار المرأة والنظر إليها على أنها وعاء لاحتواء نطفة الرجل وإنمائها، في حين يقول الله تعالى في قرآنه الكريم: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّـهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّـهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)**[٨٩]، فيساوي في الخطاب والمنزلة بين المرأة والرجل، وهذا ما دلل عليه في كافة خطاباته للمرأة والرجل في الموضوعات كافة.

٣- أثرت البيئة شبه الصحراوية الحارة بشكل فْعال في البُنية الجسمانية للمرأة السجستانية، ممَّا ساعدها على سرعة البلوغ والزواج المبكر، وهذه الحالة ليست بغريبة على هكذا بيئات جغرافية، فالنساء في الجزيرة

---

[٨٩] سورة الحجرات: الآية ١٣.

العربية مثلا، وبسبب البيئة الصحراوية كانت سنَّ البلوغ عندهن قبل غيرهنَّ من النساء اللاتي كُنَّ يَعِشْنَ في بيئات أخرى، والشواهد التاريخية كثيرة على ذلك، هذا فضلا عن حالة الحرب شبه المستمرة التي عاشها الصفاريون، التي دعتهم إلى زيادة إنجاب الأطفال وزيادة النسل، علاوة عن انعزالهم وعدم احتكاكهم بالمراكز الحضارية المجاورة، كل هذا أثّر في انتشار عادات وظواهر لم تألفها الإمارات الأخرى، مثل: انتشار حالات الزواج المبكر، وكثرة ظاهرة الإيمان بالعرافة والمنجمين.

٤- تمتعت المرأة في الإمارة الطاهرية والعلوية والسامانية بحرية واسعة في عهود أمراء ودعاة هذه الإمارات وبما يتلاءم مع الشريعة الإسلامية، إلا أن هذه الحرية لم تبقَ على حالها، إذ تباينت بين إمارة وأخرى من هذه الإمارات، لا بل بين مدينة، وأخرى في الإمارة الواحدة، وبالمقابل نجد بأنَّ الصفاريين قد حاصروا نساءهم، ربما يكون تحت قيود النظام الحربي الذي عرفتها هذه الإمارة، إلا أن هذه الصرامة أيضا اختلفت من مدينة إلى أخرى.

٥- وبدأت حياة المرأة في ظلال السامانيين، ولاسيَّما في بلاد ما وراء النهر، على غير ما كانت عليها من قبل، وتحولّ ما عانته من مهانة ونقصان إلى حياة العطاء والبناء حتى علا شأنها في المجتمع، وشاركت مع الرجل في معظم مناحي الحياة وغدت مثالا يحتذى بها في المجتمعات الإسلامية الأُخرى.

٦- لم تغب المرأة عن مجالس العلم والتعليم وساحاته بأنواع التعليم تأسيسا وتأصيلا، فقد كانت حاضرة في المجالس الأدبية والدروس والمواعظ

لتسمعها وتحوّلها إلى عمل وانطلاق، وتنقلها إلى من لم يحضر ولاسيَّما أسرتها وأولادها والأجيال بعدها، ولكن المرأة السامانية لم تكتف بهذا، بل دخلت مجال العلوم كالعلوم الدينية، وأخذت تتكلم في شؤونها، لا بل كانت تذهب باحثة سائلة طالبة للعلم من مظانّه، وتحاور، وتناقش حتى تصل إلى الجواب الصحيح.

٧- كان للمرأة الغزنوية التي حظيت بحرية واسعة دور فاعل ومهم ومميز في المجتمع على مختلف الأَصعدة سواء أكانت السياسة منها ام الثقافية وحتى الاقتصادية، ولاسيَّما على الصعيد السياسي؛ إذ ظهرن على المسرح السياسي وقمن بأدوار سياسية وبالنظر لمكانة المرأة عند السلاطين الغزنويين كان الحرم السلطاني يرافقون السلطان والجيش في تجوالهم، وكانوا يستقرن في خيام خاصة .

٨- وأخيرا لا بد من التأكيد على نقطة مميزة، هي: إنّه كان هناك فرق شاسع بين حياة الترف التي تعيشها نساء الأمراء والوزراء وأبناء الأسر الحاكمة، وبين حياة الفقر والبؤس التي تعيشها أغلب نساء الطبقة العامة اللواتي يشكلن الغالبية العظمى من نساء المجتمع في هذه الإمارات.

٩- وفي الختام يمكن القول إنَّ البحث خلص إلى أن المرأة عملت إلى جانب الرجل في الأَعمال المهنية وغيرها من أجل الدعم المادي والمعنوي ولم تتخلَ المرأة عن دورها الأَساسي في إنجاب وتربية وتنشئة الأَطفال ليصبحوا رجال المستقبل.


خارطة الامارات شبه المستقلة في المشرق الاسلامي في القرنين الثالث و الرابع للهجره
الخارطة من اعداد و تعريب الباحث بالاشتراك مع مؤسسة
السحاب للخرائط و الرسوم الجغرافية
، ايران، طهران، خيابان سميه ، (بهارستان)
اقاليم
عواصم
مدن
جبال
سهول
صحاري
انهار
فروع الانهار
بحار و بحيرات
حدود الامارة الصفارية
حدود الامارة الطاهرية
حدود الامارة العلوية
حدود الامارة السامانية
Km
0 55 110 220 330 440
جورجيا
اذربيجان
بلاد الخزر
خوزستان
صحرا الغز
قراقوم
بلاد
ماوراء النهر
صحراء
قزل قوم
الاتراك الغزية
قيرقيزستان
تركستان
التبت
كاشغرد
بلاساغون
جوزجان
نيسابور
خراسان
غروستان
زاوبلستان
سجستان
بلوجستان
مكران
توران
سند
صحراء
راجبوتانا
دهلي
بحر العرب
بخارى
مرو
سهل زرفشان
سهل
كوير
سهل اويت يورت
5°0'0"E
50°0'0"E
55°0'0"E
60°0'0"E
65°0'0"E
70°0'0"E
75°0'0"E
25°0'0"N
30°0'0"N
35°0'0"N
40°0'0"N
45°0'0"N

فن الزينة ومستحضرات التجميل في الحضارات القديمة (العراق واليمن القديم انموذجا)

الأستاذة المساعدة الدكتورة
رويدة فيصل موسى
قسم التاريخ – كلية الآداب/ جامعة بغداد

الملخص :

يسلط هذا البحث الضوء على تلك التباينات في استخدام الحلي والزينة والعطور فضلا عن فن التجميل في حضارتين مهمتين، هي حضارة وادي الرافدين بوصفها الحضارة الأسبق، وحضارة بلاد اليمن التي تمثل حضارة العرب الأولى. من خلال ما تقدم يتضمن بحثنا هذا مبحثين، تضمن المبحث الأول تاريخ استعمال الزينة والحلي والعطور في حضارة وادي الرافدين، بينما تضمن المبحث الثاني دراسة الحلي والزينة وفن التجميل في حضارة اليمن القديمة. ومن ثم خرج البحث بعدد من الاستنتاجات التي تراها الباحثة مهمة جدا لإبراز الفوارق والأساليب الشكلية لاستعمال الزينة والحلي وفن التجميل ما بين الحضارتين.

المقدمة :

منذ أن عرفت العطور والزينة على وجه البسيطة، ارتبطت بالمرأة بشكل رئيس بوصفها رمزا للجمال وسيدة للأسرة وزوجة وملكة وأميرة، فالزينة والعطور ومستحضرات التجميل من أولويات تألق المرأة في الحضارات

القديمة. فقد كانت للمرأة زينة وعطور كما للرجل كذلك، وهذا ما ذكرته الكثير من المصادر التاريخية القديمة في حضارات وادي الرافدين على تعاقب حضارتها من جهة، وحضارات العرب القديمة، في جنوب شبه الجزيرة العربية حيث بلاد اليمن وعمان من جهة أخرى، فضلا عن حضارات مناطق الشمال حيث بلاد الشام مرورا بوسط شبه الجزيرة العربية حيث مكة وكندة وغيرها. لقد أثرت البيئة الحضارية بشكل واسع النطاق في استخدام الحلي والزينة وفن التجميل.

يسلط هذا البحث الضوء على تلك التباينات في استخدام الحلي والزينة والعطور فضلا عن فن التجميل في حضارتين مهمتين، هي حضارة وادي الرافدين بوصفها الحضارة الأسبق، وحضارة بلاد اليمن التي تمثل حضارة العرب الأولى . من خلال ما تقدم يتضمن بحثنا هذا مبحثين، تضمن المبحث الأول تاريخ استعمال الزينة والحلي والعطور في حضارة وادي الرافدين، وتضمن المبحث الثاني دراسة الحلي والزينة وفن التجميل في حضارة اليمن القديمة. ومن ثم خرج البحث بعدد من الاستنتاجات التي تراها الباحثة مهمة جدا؛ لإبراز الفوارق والأساليب الشكلية لاستعمال الزينة والحلي وفن التجميل ما بين الحضارتين في أعلاه، وفي نهاية البحث أدرجت ثبتا بالمصادر والمراجع التي اعتمدت الباحثة التي تميزت بغنى معلوماتها عن حضارة وادي الرافدين، وقلّتها عن حضارة اليمن القديمة، والله الموفق .

المبحث الأول: مستحضرات التجميل والزينة في بلاد الرافدين

تشكل الزينة وبمختلف أشكالها وأساليب استعمالاتها الاهتمام الكبير في حضارة بلاد وادي الرافدين بمختلف مراحلها الحضارية، وقد نسب العديد من المؤرخين والباحثين إلى أن ذلك الاهتمام لم يعبر إلا عن مديات التطور الفكري والاجتماعي عند الإنسان العراقي القديم، إذ ارتبطت الزينة والحلي بشكل واسع النطاق بمراسيم القدسية والتعبد منذ عصر فجر السلالات، إذ كانت المرأة تمثل القدسية بوصفها الأم وواهبة الحياة التي ترمز إلى الخصب والنماء في الفكر العراقي القديم ؛ لذلك فان غلاء ثمن القلائد والأساور جعلها بلا شك، من المواد الضرورية في حياة الإنسان، وهذه الحقيقة وضعتها مع الأشياء الجميلة، كما منحها ارتباطها بالمرأة جمالا أكبر، فظهر نتيجة ذلك عدد من الناس الذين اخذوا يتفننون بعمل تلك القلائد والأساور، فظهرت مهنة الصياغة، فظهر الخبراء بعمل الحلي، فضلا عن الصياغة، فأصبحت القلائد والأساور، وما يتعلق بها تحمل في آنٍ واحد قيمتين، الأولى مادية والثانية فنية، أي صفة تطورية؛ لان استخراج الأحجار الكريمة وأسلوب صياغتها يحتاجان، بلا شك، إلى براعة فائقة لابد لها أن تظهر لنا صفة تطورية، ولهذا السبب أصبحت الحلي في الوقت الحاضر مالا وفنا، وكلاهما من الأشياء التي تحسب من عالم الجمال(١).

---

(١) رشيد، فوزي : ظواهر حضارية وجمالية من التاريخ القديم، (دمشق :٢٠١١م صفحات للدراسات والنشر)، ص٢٠٢.

ويشير (غوستاف لوبون) إلى أن الحلي كانت كثيرة الاستعمال في أرض بلاد الرافدين، وكان الرجال كالنساء يشنفون آذانهم بالأقراط، ويتقلدون القلائد في أعناقهم، ويزينون معاصمهم بالأساور، وأصابعهم بالخواتم، يصيغون حليهم من الحديد، عندما كان عزيز الوجود يتنافسون باقتنائه، ثم استبدلوا به البرونز، أما الحلي المصنوعة من الذهب والفضة فكانت نادرة جدا، ولكن المصنوع منها كان بالغا حدّ الإتقان والحسن[٢]. وقد كان من الحلي النسائية التي استخدمت في العراق القديم حلي مصنوعة من الطين أو الفخار، إذ عثر على قلائد من خرز حجرية وطينية أو من المحار وأساور وخواتم في الكثير من المواقع الأثرية في عصور ما قبل التدوين ولاسيما في قرية جرمو[٣] التي تُعدُّ من أولى القرى الحضارية في بلاد الرافدين[٤]. وتحتفظ النساء آنذاك بحلي الزينة في جرار مصنوعة من الطين المفخور وكانت مثل

---

[٢] حضارة بابل وآشور، ترجمة محمود خيرت المحامي، (بيروت: دار الرافدين، ب.ت)، ص١٥١.

[٣] مدينة في بلاد الرافدين تعد من اقدم التجمعات السكنية المعروفة، فان المعدات الزراعية وادوات العمل والآنية الفخارية التي وجدت في اثناء الحفريات تعود في الواقع الى الالف الخامس قبل الميلاد . ينظر: عبودي، س. هنري: معجم الحضارات السامية، (طرابلس : جروس برس، ١٩٩١م)، ص٣١٥.

[٤] الدباغ، تقي: الوطن العربي في العصور الحجرية، (بغداد : دار الشؤون الثقافية ١٩٨٨م)، ص١١٥.

هذه الجرار ذات أبدان طويلة، عثر على شكل آخر لصندوق الحلي ذي أربع أرجل مصنوع من الفخار النقي ولم يعثر على أغطية لهذه الصناديق[٥].

ارتبطت الزينة والحلي بشكل واسع النطاق بمراسيم القدسية والتعبد منذ عصر فجر السلالات (٢٨٠٠- ٢٣٧١ق.م)، إذ كانت المرأة تمثل القدسية بوصفها الأم وواهبة الحياة التي ترمز إلى الخصب والنماء في الفكر العراقي القديم، ومع أن الأشخاص الذين أظهرتهم أعمال الحفر والتنقيب عن الآثار، وهم يتزينون بالقلائد والأساور أكثرهم من النساء، ولكن أعدادا ليست قليلة منهم كانوا من الرجال؛ لان ارتداء القلائد والأساور والخواتم في بداية أمرها كانت من أجل حفظ ما تحتويه من معادن ثمينة وأحجار كريمة على أعضاء الجسم البارزة من اجل الحفاظ عليها من الضياع والسرقة، فضلا على أنها تعد في الوقت نفسه نوعا من أنواع الدعاية والإعلام عمّا يمتلكه أصحابها[٦]. لقد أُعطي تزيين الجسم بالمواد الثمينة مثل: الحلي والمجوهرات والأحجار الكريمة اهتماما كبيرا للحياة الإنسانية حيث عُدّت زينة المرأة من الأمور الأساسية في حياتها اليومية وكذلك الحال عند مماتها، فقد زينت المرأة جسدها بالجواهر والحلي للإغراء الجنسي، وقد وصفت النصوص المسمارية المرأة وهي تهيئ نفسها ليوم الزفاف بوساطة طقوس الاستحمام وتزين جسمها بالجواهر التي عُدّت جزءا من سحر الإغراء :

---

[٥] الأغا، وسناء حسون يونس حسن: الطين في حضارة بلاد الرافدين، (رسالة ماجستير غير منشورة) قسم الآثار، (الموصل: كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٤م)، ص١٠٩.

[٦] رشيد: ظواهر حضارية وجمالية، ص٢٠١.

تشميتو وضعت زينة الذهب على ثوب نابو....

سيدي، ضع قرطا في أذني....

أنا سوف أعطيك المتعة في الحديقة...

نابو، حبيبي ضع قرطا علي...

أنا سوف اجعله سعيدا[٧]...

نستطيع من النص في أعلاه أن ندرك الأهمية الكبيرة للحلي والزينة في إثارة الغرائز وإغراء الرجال، وهي من الأمور الظاهرة والمهمة في تعامل المرأة والرجل مع الزينة والحلي ولاسيما في مراسيم طقوس الزواج المقدّس .

كما كانت النساء تضع خواتم من الفضة في أصابع أيديهن وأرجلهن وأقراط ذهبية في آذانهم، وكذلك الأكاليل مع حلية متدلية في المقدمة، ونقشت على الأختام مشاهد لملكات يلبسن تيجان كما شوهدت الآلهة عشتار وهي تحمل سبحة من الخرز، ففي الأسطورة السومرية (انانا ودوموزي) تتهيأ انانا آلهة الحب للوصول إلى عريسها بوساطة الاستحمام وتعطير جسدها وتمشيط شعرها وترتيب لبسها وأخيرا تتزين بالجواهر والحلي على وفق ما جاء بالنص الأتي :

خواتم من ذهب...

وضعت في يدي...

---

[٧] الأسود، حكمت بشير: أدب الغزل ومشاهد الإثارة في الحضارة العراقية القديمة، (دمشق: دار المدى، ٢٠٠٨م)، ص٨٠، ٨٢.

خرز صغيرة من الحجر...

علقت حول عنقي...

عدلت توازنهما...

على مؤخرة عنقي..

وأعطيت الجواهر كهدايا من المحبين أو خلال إحياء ذكرى مناسبات خاصة، فعندما ولدت (كوباتم) طفلا أعطاها زوجها (شوسين) هدايا بهذه المناسبة (دبوس من الذهب وختم اسطواني من اللازورد، حلقة من ذهب وحلقة من الفضة مزخرفة)[٨]. وهذا ما يعطينا تصورا كبيرا لما شهده عصر سلالة أور الثالثة (٢١٣٢- ٢٠٢٤ق.م) أو ما يمكن الاصطلاح عليه بعصر الانبعاث السومري- الاكدي، إلى تطور استخدام الحلي والمجوهرات وتداولها في الحياة الدنيوية والدينية . فقد تم الكشف في مقبرة أور الملكية التي تضم أكثر من ألفي قبر والتي حوت اعدادا كبيرة من القلائد وأدوات الزينة والحلي، وكان بعضها من الذهب الخالص المطعم بالأحجار الكريمة وقد نهب الكثير منها عبر التاريخ . وتشير المصادر التاريخية إلى براعة العراقيين القدماء ولاسيما في هذا العصر براعة تامة ومتقنة في صناعة الحلي والمجوهرات وزخرفتها بالحفر والنقش، بل لونوا البعض منها بالمينا[٩]. كما عثر السير (وولي) على عدد من المقتنيات المهمة في هذه القبور ومنها

---

(٨) المصدر نفسه، ص٨٠-٨١.

(٩) الشيخلي، عبد القادر عبد الجبار: الوجيز في تاريخ العراق القديم، (بغداد : دار عدنان ٢٠١٤م)، ص٢٦٠.

خنجر ذهبي له غمد من الذهب، وأدوات تجميل ذهبية وحلي وأقراط مما يدلّ على الترف والرخاء الذي كان يعيش في ظله سكان مدينة أور. كما وجد السير (وولي) في قبور ملوك سلالة أور الثالثة على زوجين من الأطباق المحارية الشكل مصنوعة من الذهب الخالص والفضة[١٠]. ولعلّ من النفائس المعدنية التي وصلت إلينا وعثر عليها في مدينة أور، بحدود النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد، تمثال لماعز يقف على رجليه بين غصنين من الذهب الخالص، ومطعم بالفضة والأحجار الكريمة كاللازورد فضلا عن التطعيم بالأصداف أيضا، وربما استخدم هذا الماعز كدعامة لمبخرة يحظى بأهمية أكثر من مجرد الزينة، فقد كان الماعز بالنسبة للسومريين تجسيدا للرجولة ولابد أن هذا الشكل بما فيه من رموز النباتات التي اشتبكت فيها قرونه يرمز إلى مظهر مزدوج من مظاهر الخصب الحيواني والنباتي[١١]. وهذا التمثال محفوظ حاليا في المتحف البريطاني . وذكر (مالوان)، أن انتشار التعدين في هذه المرحلة كان بشكل رائع وكبير، وقد ثبت كثير منه تحت الأرض احتراما للمفاهيم المتطرفة، وذلك أكثر انسجاما مع عقل أهل

---

[١٠] فريدمان، استيله: التنقيب عن الماضي، ترجمة احمد محمد عيسى، (القاهرة : مؤسسة فرانكلين للنشر،١٩٦٠م)، ص١١٠، ١١٨

[١١] لويد، سيتون: فن الشرق الأدنى والقديم، ترجمة محمد درويش، (بغداد : دار المأمون للترجمة ١٩٨٨م)، ص١٠٠. وينظر:

Editors of LIFE: The Epic Of Man. Life, (New York:Life Magazine,1961), p.78.

مصر من أهل العراق، الذي يتطلب تقديم كل أنواع الهبات للملك المتوفى[١٢]. الأشكال (١)، (٢)، (٣).



الشكل (١) **الشكل (٢)** **الشكل (٣)**

ويبدو أن التزيين بالجواهر لم يقتصر على الملكات والنساء المحترمات في المجتمع اللواتي اللاتي كن يستسلمن جواهرهن من المحبين، وإنما شمل الأمر اللواتي يعملن في البغاء كما جاء وصف البغي لانكيدو في خطاب بليغ ورد في ملحمة كلكامش:

سيحبك الملوك والأمراء العظام...

ولن يضرب أحدا فخذه مستعيبا بك....

---

[١٢] مالوان، ماكس: حضارة عصر فجر السلالات في العراق، ترجمة كاظم سعد الدين، (بغداد: دار الشؤون الثقافية،٢٠٠١م)، ص٨٧.

ومن أجلك سيهز الشيخ لحيته...

وسيحل الشباب أحزمتهم من أجلك...

وسيقدمون لك اللازورد والذهب والعقيق..

وفي أغنية حب موجهة إلى الملك (شوسين) (٢٠٣٦-٢٠٢٨ق.م) نجد الملكة تشبه الملك وتقارنه بالجواهر حيث جاء فيها :

أنت دبوس عمامتي (أدبيا الذي يسترني)...

ذهبي الذي ألبسه...

حليتي الصغيرة طُرزت من قبل....

محترف ماهر[١٣]...

وقد وُجدت الكثير من الزينة والمجوهرات في عصر سلالة أور الثالثة منها قلائد تمثل من أقدم الأمثلة على المخرمات، وان تقنية المخرمات قد عرفت في مواقع آثارية كثيرة تعود إلى عصر فجر السلالات، وهي تعد من أحسن التقنيات في تصنيع الذهب وصياغته، ومثل هذه التقنية ابتكرت وتطورت في بلاد الرافدين[١٤]. كما أن الأدلة على الطلاء بالذهب والنقش والترصيع بالجواهر والسبك أو الصب والتخريم واللحام الصلب والتحبيب

---

[١٣] الأسود، أدب الغزل ومشاهد الإثارة، ص٨٠- ٨١ .

[١٤] مجموعة باحثين: حضارة وادي الرافدين (سومر، آشور، بابل) سبعة آلاف سنة من الفن والحضارة، ترجمة قاسم مطر التميمي، (بغداد : بيت الحكمة، ٢٠١٠م)، ص٢٧٥.

تثبت على المستوى الخارق والرفيع للكفاية بين صاغه أور في عصر فجر السلالات، كما وجدت نصوص أخرى تبين امتداد وتطور تلك الصناعة المهمة التي تعود إلى عصر سلالة أور الثالثة[١٥]. وقد كانت معظم تلك القلائد والمجوهرات تتألف من خرز من الذهب والعقيق واللازورد وجدت في المقبرة الملكية في أور ويقدر زمنها نحو ٢٤٥٠ق.م[١٦]. الشكلين (٤)، (٥).

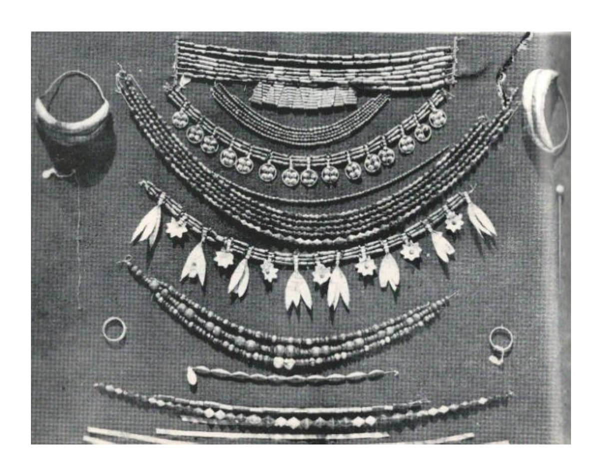


الشكل (٤)

---

(١٥) بوتس، دانيال تي: حضارة وادي الرافدين الأسس المادية، ترجمة كاظم سعد الدين، (بغداد: الهيئة العامة للآثار،٢٠٠٦م)، ص٢٦٢.

(١٦) بصمه جي، فرج: كنوز المتحف العراقي، (بغداد: وزارة الإعلام،١٩٧٢م)، ص٤٧٠.



الشكل (٥)

لقد كانت المرأة كثيرة الشغف بالحلي والتجميل ولاسيما إبان مجد بابل ونينوى، وكانت كثيرة الاهتمام بكل ما يزيد محاسنها مستعينة بالأقمشة والحلي والعطور، وكل ما يشفي غليل ولعها بالدلال والغنج، فالمرأة في نينوى القوية، أو بابل الجميلة، كان ولابد متوفر لها كل أمور الحياة؛ لأنها لم تكن لتذعن لفتيات الأمم الأخرى . على أن استعمال الحلي والعطور لم يكن مقصورا على النساء، فقد ذكر المؤرخ (هيرودت) اليوناني ((أن أهل بابل جميعا إناثا وذكورا، كانوا يتدلكون بالطيوب)).

أما الآشوريون فقد رأينا من الرسوم المنقوشة أنهم كانوا يتحلون بالأساور والعقود والأقراط، فهم بلا شك قد أخذوا عن الساميين هذا الشغف

بالتحلي بهذه الحلي الغالية(١٧). كما اشتهرت ملابس الآشوريون بأنها مزينة بقطع من الذهب على شكل وردات ودوائر وقطع متعددة متنوعة تبدو أشكالها على المنحوتات، وقسم منها تم العثور عليه في التنقيبات وتفاصيل صناعة معظم مثل هذه الحلي يرد وصفه وصناعته في الكتابات المسمارية، كذلك استخدمت الخيوط المعدنية سداة ولحمة النسيج، وتعمل أحيانا هدب الملابس من الذهب أو تعمل نهاياتها على أشكال تزينية مختلفة من المعادن الثمينة وبالذات من الذهب. ولقد انتشرت صناعة هذه الحلي والملابس الذهبية أو المذهبة في العصور اللاحقة وعرفت فيما بعد بين أهل الحضر أيضا(١٨). وفي نص من رسالة تعود إلى عصر الملك الآشوري (اسرحدون) (٦٨٠-٦٦٩ق.م) نجد أن ستة كيلوغرامات من نوع معين من الذهب خصصت لصياغة أوراد لملابس الآلهة (صربنيتو) ولصياغة الحلي المسمّاة (tenshu). وخصصت كمية تقرب من أربعة كيلوغرامات من الذهب المائل إلى اللون الأحمر؛ وذلك لتزيين قطعتين من الملابس الاحتفالية للإله مردوخ وصربيتم(١٩). كما كان كل من الرجال والنساء في بلاد آشور يلبسون الحلي، ولم تكن ذات أشكال متشابهة، كما أن النساء كُنَّ يلبسن الحجول، وهي عادة استمرت بين النساء الريفيات في العراق حتى الوقت الحاضر، وفي بعض

---

(١٧) قاشا، سهيل: المرأة في شريعة حمورابي، (الموصل: مكتبة بسام،١٩٨٥م)، ص١٢٣.

(١٨) الجادر، وليد: الصناعة، موسوعة الموصل الحضارية، ج١، (الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٩١م)، ص٢٢٧.

(١٩) الجادر، وليد: الحرف والصناعات اليدوية في العصر الآشوري المتأخر، (بغداد: مطبعة الأديب البغدادية، ١٩٧٢م)، ص٢١٨.

المراحل في بلاد الرافدين كانت النساء من أعلى الطبقات يلبسن لوحة الصدر من المعادن والمجوهرات الثمينة، ولكن يبدو انه لا يوجد هناك أدلة على ذلك بالنسبة للحقبة المتأخرة في بلاد آشور، وقد وجدت بعض حلي النساء الآشوريات في القبور، وقد ضمّت قلائد من العقيق وسلسلة من الذهب، وقد يلبس الرجال أيضا مثل هذه القلائد، وكما نفهم من تميمة تحمل النص (حجر قلادة تعود إلى توكلتي- ننورتا)، كما كان الرجال من ذوي المراتب يلبسون الأساور على الرسغ، وكانت هذه الأساور غالبا تحمل حجرا دائرية، تجعلها وكأنها ساعة يدوية[٢٠]. الشكل (٦).



الشكل (٦)

أما فن التجميل أو ما يُسمّى اليوم بفن الماكياج (**The Art of Makeup**)، فلم يكن له نوع من التصنيف بوصفهِ فنا مستقلا بوظائفه

---

[٢٠] ساكز، هاري: قوة آشور، ترجمة الدكتور عامر سليمان، (بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٩٩م)، ص٢١٩.

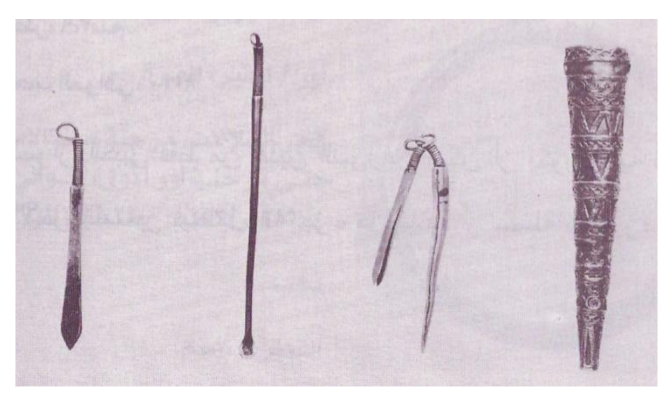
واستخداماته بل كان فن التجميل في ضمن الأمور الرئيسة للتجميل والزينة ولاسيما عند النساء في العراق القديم وبمختلف العصور التاريخية . إذ احتوت الكثير من القصور وبعض الدور على الحمامات التي كانت حكرا على الميسورين، أما عامة الناس فكانوا يستحمون بالأنهار أو القنوات، وغالبا ما كانوا يمسحون أجسامهم بالزيت لتنعيم البشرة، كما اعتاد العراقيون قصّ شعرهم وحلاقة ذقنهم، وتصفيف الشعر وتقليم الأظافر وارتداء الملابس المتنوعة وتعصيب الرأس، كما تفننت النساء بعمل أزيائهن وتصفيف شعرهن وتعطير أجسامهن، ولبس الأساور والقلائد والحلقات، ودبابيس الشعر، وما إلى ذلك من مواد الزينة المختلفة والمتعددة[٢١]. ويشار إلى أن سكان وادي الرافدين كانوا يعيشون بترفٍ ورقي من خلال استخدامهم لمواد التجميل والزينة. فقد وجدت فيها مرائي نحاسية ومجموعات زينة نحاسية وذهبية، وملاقط شعر ومسواك ومنظفة أذن معلقة في حلقة ومحمولة في محفظة مخروطية صغيرة، ودبابيس من نحاس وفضة ذات رؤوس مستديرة[٢٢]. وقد وجدت أدوات للزينة في مدينة أور نحو (٢٦٨٠- ٢٤٠٠ق.م) في قبور الرجال كما وجدت في قبور النساء أيضا، وهي تتكون من وعاء مخروطي الشكل مع ملاوق مختلفة للدهان والزواق وأقراط وملقط، والأواني البسيطة مصنوعة من النحاس تغلفها طبقة جلدية، والمشاهدات في القبور تظهر أن

---

[٢١] الراوي، فاروق ناصر: جوانب من الحياة اليومية، موسوعة حضارة العراق، ج٢، (بغداد: دار الحرية للطباعة،١٩٨٥م)، ص٣٧٥.

[٢٢] فرانكفورت، هنري: فجر الحضارة في الشرق الأدنى، ترجمة ميخائيل خوري، (القاهرة: مكتبة الحياة ، ١٩٥٩م)، ص٨٣.

أدوات التجميل تحمل في الحزام شأنها في ذلك شأن الختم الاسطواني والخنجر[٢٣]. الشكل (٧).



الشكل (٧) أدوات التجميل والماكياج- أور

وتجدر الإشارة إلى أن استعمال المواد العطرية أو صناعة العطور بصفتها جزءا من فن التجميل كان العراقيون القدماء سّباقين في صناعتها . إذ استخدمت صناعة العطور في الطب وصناعة الصابون، وفي إقامة الطقوس الدينية، ومواد السحر، وكانت الزيوت العطرية وماء الورد تستخدم بوصفها جزءا مهما من العطور والروائح والتجميل في الاحتفالات والطقوس الدينية بشكل كبير[٢٤]. وتذكر النصوص القديمة ولاسيما الطقوس الدينية في العراق القديم، فلنستمع إلى دموزي وهو يخاطب اينانا فيقول :

---

(٢٣) مجموعة باحثين: حضارة وادي الرافدين، ص٢٨٢.

(٢٤) كجه جي، صباح: الصناعة في تاريخ وادي الرافدين، (بغداد: مطبعة الأديب البغدادية، ٢٠٠٢م)، ص١٠١.

أختاه لم أغلقت عليك الباب...

يا صغيرتي لما أغلقت عليك الباب ...(فتجيبه اينانا قائلةً):

كنت استحم.. كنت اغتسل بالصابون..

اغتسل بالإبريق المقدس...

اغتسل بالصابون في الطست الأبيض..

كنت ارتدي ثياب الملوكية ... ملوكية السماء ولهذا أغلقت على نفسي الباب[٢٥]...

وتسبق مراسيم الزواج الصلوات الموجهة للآلهة التي تمثل الزواج المقّدس مع بعض التراتيل، ويخصص لها الثياب الزاهية والعطور والزيوت التي تضفي طابعا روحيا على ممارسة الزواج، وعلى ممثلي هذا الزواج أن يستحموا في ماء وصابون، خاص مع بعض الشعائر، وبعد التذوق من مائدة الآلهة وشرابها تستقبل الكاهنة زوجها الملك أو الكاهن الأعظم وهي بأجمل ثيابها وأبهى زينتها وأحلى حُليها، وتصف لنا النصوص السومرية ذات العلاقة بالموضوع كيف كانت تُطَيِّب جسمها بالدهان والعطور وفمها بالعنبر وتزين عينها بالكحل ثم ترتدي الثياب النفيسة وتلبس الأساور والخواتم والقلائد

---

(٢٥) علي، فاضل عبد الواحد: أناشيد الزواج المقدس لتموز ونشيد الإنشاد لسليمان، مجلة سومر، ج (١-٢)، م(٣٤)، (بغداد : المؤسسة العامة للآثار والتراث، ١٩٧٨م)، ص٢٠.

المصنوعة من الذهب والفضة والأحجار الكريمة[٢٦]. وكانت النساء في بلاد الرافدين قد استعملن مواد التجميل المختلفة، لإظهار أنفسهن بالمظهر اللائق، واستخدمن المساحيق لإظهار الجاذبية عليهن، فكانت النساء تعملن على تجميل العينين والبشرة بوساطة أصباغ ذات لون ابيض وأحمر وأصفر وأزرق وأخضر وأسود، وقد وجدت بقايا أعشاب على أصداف في القبور الملكية في أور[٢٧].

أما تصفيف الشعر فقد اختلفت طرائق تصفيفه بالنسبة للمرأة والرجل . ففي عصر جمدة نصر نحو (٢٩٠٠ق.م)، كان لكلا الجنسين شعر طويل يتدلى بحزمة خلف الرقبة ولعلّه كان يربط الشعر بشكل معين من الوجه ولو انه يبدو وكأنه يغطي الأذن . وفي عصور فجر السلالات نحو (٢٨٠٠– ٢٤٠٠ق.م) كانت التسريحة الرئيسة هي الشعر الطويل المدفوع إلى الوراء من الوجه والمعمول على شكل جذيلة ملفوفة حول الرأس على شكل العمامة[٢٨]. ويشير (كريمر) إلى أن بعض الرجال كان حليقا، وبعضهم الآخر ملتحيا بلحية طويلة، ذي شعرٍ طويلٍ، مفروق من الوسط، أما النساء فكن يفرقن شعورهن من الوسط ويضفرنه جدائل يكورنها على رؤوسهن،

---

(٢٦) حسين، ثائر عبد السادة: المواكب الدينية في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، (بغداد: كلية الاداب، جامعة بغداد، ٢٠١٤م)، ص١٢١-١٢٢.

(٢٧) الأسود، أدب الغزل ومشاهد الإثارة، ص٦١.

(٢٨) ساكز، هاري: عظمة بابل موجز حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، ترجمة الدكتور عامر سليمان إبراهيم، (الموصل: دار الكتب، ١٩٧٩م)، ص٢٠٩.

وربما اعتمرن قبعات أنيقة مؤلفة من أشرطة من الشعر والخرز والقلائد ولاسيما في الطقوس الدينية[٢٩]. وقد ذكرت تلك المراسيم في النصوص الأدبية وعلى النحو الآتي:

عندما استحميت لأجل السيد...

لأجل دموزي...

غطيت وجهي بالبودرة ....

عندما جملت عيني بالكحل.[٣٠]..

من النص في أعلاه نستطيع أن ندرك الوعي الكبير لدى إنسان بلاد الرافدين ولاسيما استعمال وصناعة الكحل واستعمال البودرة في التجميل. كما كانت لمستحضرات التجميل والبخور بُعدا دينيا وسحريا.

أما في العصر الاكدي نحو (٢٣٧٠-٢٢٣٠ق.م)، فقد تطورت أساليب التجميل وتصفيف الشعر عمّا سبقته من عصور فجر السلالات. إذ تميز الشعر بأنه مجعد بطريقة اصطناعية، إلا إذا كان للساميين الذين كانوا الغالبية شعر طبيعي مجعد، إذ كان الشعر المموج أو المجعد هو الطراز الشائع، وكان الشعر يقسم من الوسط وتترك حافة منه في الأمام وعلى الصدغ، أما معظم شعر المرأة فكان يعمل غالبا على هيئة كعكة إلى الوراء تمتد من مؤخرة الرقبة حتى أعلى الرأس وقد وجد الطراز نفسه تقريبا في

---

[٢٩] كريمر، ص : اينانا ودموزي طقوس الجنس المقدس عند السومريين، ترجمة نهاد خياطة، ط٢، (دمشق: دار علاء الدين للنشر، ٢٠٠٧م)، ص٢٩.

[٣٠] الأسود: أدب الغزل ومشاهد الإثارة، ص٦٢.

المرحلة نحو (٢٢٠٠-٢٠٠٠ق.م)، حيث كان لكعكة الشعر، التي كانت آنذاك كبيرة جدا شبكة فوقها مثبتة بوساطة رباط شعر. فمن المؤكد أن الاكديين قد استخدموا دبابيس الشعر التي عثر على بعض منها مصنوعة من العظم والنحاس والفضة والذهب[٣١]. ويمكن أن نجد تلك الأوصاف في تمثال الملك سرجون الاكدي أو (نرام سين) في بعض الروايات، فالشعر يتميز بتلك المواصفات التي عرفها الساميون فضلا عن تصفيف اللحية بطريقة مرتبة ومنسجمة في إضافة نوع من الهيبة للملك. الشكل (٨).



الشكل (٨) سرجون الاكدي

أما المشط فقد جاء بالنصوص المسمارية بصيغة (mustu) و (mus)، ومرادفه السومري (GA.ZUM- ZU) وتم العثور على الكثير من الأمشاط التي كانت تصنع بأسلوب فني رفيع من الخشب أو العاج، كما عثر على الأمشاط الذهبية[٣٢]. وكان الرجال في عصر سلالة أور الثالثة

---

[٣١] ساكز : عظمة بابل، ص٢٠٩.

[٣٢] الأسود : أدب الغزل ومشاهد الإثارة، ص٦٢.

في النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد، بحلق شعورهم تماما، أو أن يكون له شعر وذقن مجعد بدقة وتظهر كثيرا في التماثيل بدون شعر أو ذقن. أو بوجود شعر مستعار[٣٣]. ويمكن مشاهدة رؤوس الرجال ولاسيما في هذا العصر في ضمن الكثير من التماثيل والأختام الاسطوانية وبعض المشاهد النحتية، التي يظهر الرجال فيها حليقي الرأس ولا يمكن أن نجد هناك رجالا مشعرين، وقد برزت تلك المشاهد ضمن ما يعرف براية أور، أو الحرب والسلام، إذ يظهر الرجال في زمني الحرب والاستعداد لها من جهة، والسلام وطبيعة الحياة اليومية لهم وآليات عملهم اليومي المعتاد، الشكل (٩).



الشكل (٩)

---

[٣٣] ساكز : عظمة بابل، ص٢٠٩.

لقد كان هدف الحياة وغايتها عند السومريين السعادة والرخاء، فسعوا إلى الثراء واجتهدوا كل الاجتهاد في تحسين معيشتهم والتمتع بحياتهم، فقد لبس الرجال المآزر أبسطها ولكن سرعان ما غطّوا القسم الأعلى من أجسامهم بأفخر الأقمشة الصوفية والكتانية ذات الوبر، وارتدت النساء فساتين ذات ثنيات تسدل من الأكتاف وتزين معاصمهم بالأساور ونحورهن القلائد وأصابعهن الخواتم وآذانهن الأقراط، وكن يخضبن أظافرهن ويعتنين بها[٣٤]. كما استعملت المرأة السومرية احمر الشفاه إذ ذكر في قائمة سومرية ترجمة إلى (معجون الذهب) والترجمة الاكدية المرادفة هي (الصبغ الأحمر للوجه)، وفي النصوص الأدبية ففي قصيدة للملك (شولكي) جاء فيها :

بعد أن أزين أعضائي..

بعد أن أدهن بالعنبر شفتي واضع الكحل على عيني[٣٥]...

ويمكن أن نلاحظ بأن نمط التجميل الخاص بالمرأة ولاسيما في عصر سلالة أور الثالثة قد انماز بقصة شعر اعتيادية، وكأنها تسريحة معاصرة اليوم . الشكلين (١٠) و (١١).

---

[٣٤] فريشاور، بول : الجنس في العالم القديم، ترجمة فائق دحدوح، (دمشق: دار نينوى، ١٩٩٩م)، ص٧٤.

[٣٥] الأسود، أدب الغزل ومشاهد الإثارة، ص٦٤.



الشكل (١٠)　　　　　　　　　　　　الشكل (١١)

ويبدو أن الكحل كان سائدا في التجميل عند النساء في العصور السومرية وما تلاها. إذ يعود استعمال الكحل إلى عصور قبل التاريخ، وقد أشارت بعض النصوص المسمارية إلى أن النساء قد استخدمن مواد التجميل لكل من العيون والبشرة في بلاد الرافدين، ولاشك أن تظليل العيون كان جذّابا في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد كما هو واضح في أسطورة نزول عشتار إلى العالم الأسفل، إذ يذكر النص السومري أنها وضعت كآخر مرحلة من إعداد نفسها على عينيها مرهما، ومن الواضح أن مستحضر التجميل هذا عُدَّ مستحضرا جنسيا، ولا نعرف ما إذا كانت العلاقة بين تجميل العيون والجاذبية الجنسية معروفة في بلاد الرافدين أم لا. ويبدو من خلال النصوص الأدبية الاكدية أن هناك علاقة بين الحب والغزل واستعمال الكحل كأحد عوامل الزينة والإغراء للمرأة من خلال بعض الأدبيات الشعرية التي وردت بصيغة :

أنا أضع الكحل في عيني...

و طليت عيني بالكحل[٣٦]**...**

حدث تطور هائل في استخدام وصناعة مواد التجميل والذي شهدته العصور البابلية فقد تم تصنيع مواد التجميل والعطور وتداولها بين لدى الشعوب المجاورة أيضا[٣٧]. وقد تطورت صناعة العطور ومواد التجميل وصولا إلى العصور الآشورية، إذ عثر على أعداد من القناني الفخارية الصغيرة في المدن الآشورية التي كانت تستخدم لحفظ العطور والزيوت والمراهم المستخدمة للزينة والتجميل[٣٨].

المبحث الثاني: مستحضرات التجميل والزينة في اليمن القديم:

وجدت الكثير من الأدلة التاريخية على استخدام العرب القدماء بعامة عامة وأهل اليمن بخاصة للحلي ومواد التجميل. وتذكر الآية القرآنية قوله تعالى: ((**وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا، وتستخرجوا منه حليةً تلبسونها، وترى الفلك مواخر فيها، ولتبتغوا من فضله، ولعلكم تشكرون**)) (سورة النحل- الآية ١٤) . وفي هذه الآية دلالة واضحة على تحلي العرب بالحلي المستخرجة من البحر واستفادتهم منها، ولعلّ هناك من كان يحترف حرفة صقل هذه الحلية وإعطائها الشكل المطلوب المرغوب

---

[٣٦] الأسود: أدب الغزل ومشاهد الإثارة، ص٦٣.

[٣٧] بيلافسكي، ف. آ: أسرار بابل، ترجمة الدكتور رؤوف موسى جعفر الكاظمي، (بغداد: دار المأمون للترجمة والنشر، ٢٠٠٨م)، ص١٥١.

[٣٨] الأغا: الطين في حضارة بلاد الرافدين، ص١٠٩.

فيه، وتهذيب الخرز والأصداف المستخرجة من البحر وثقبها لتكون صالحة للاستعمال، وكان الصاغة يسهمون في هذه الحرفة بإدخالها في الزينة المصنوعة من الذهب أو الفضة[٣٩]. وقد وصغت المرأة في بلاد العرب واليمن بخاصة بأنها كانت مضطهدة وأنها كانت تحتفظ بزينتها لنفسها وفي داخل بيتها. كما أشارت إلى أن العرب القدماء ولاسيما في اليمن كانوا يحرمون على المرأة الظهور بالزينة في الطرقات قبل الميلاد بمئتي سنة، ومن ذلك فقد وجدت قوانين تحرم على المرأة المغالاة في الزينة حتى في البيوت[٤٠]. وقد انتشرت صناعة الحلي والمجوهرات في كثير من أنحاء شبه الجزيرة العربية ونشطت مع ازدياد الطلب على شراء المصوغات من جانب نساء ووجهاء القبائل والتجار والأثرياء للتزيين بها وتقوم هذه الصناعة على تحويل المعادن المتوافرة من ذهب وفضة ونحاس وبرونز إلى قطع من الحلي منها ما يعلق على الرقبة أو يوضع على الرأس أو الزند، وأهمها القلائد والأساور والخلاخل والخواتم والتيجان والأقراط والسلاسل، وقد يضيف إليها الصائغ قطعا من الجواهر الثمينة كالعقيق والياقوت والزمرد واللؤلؤ وقد عثر على الكثير من قطع الحلي في مدن بلاد العرب الأخرى[٤١]. وتذهب المصادر اليونانية والرومانية إلى الاتجاه نفسه، فتتحدث عن امتلاك السبئيين

---

[٣٩] علي، جواد : تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١٨، (بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٦٠م)، ص١٠٩.

[٤٠] مهران، محمد بيومي: الحضارة العربية القديمة، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨م)، ص١٠٣.

[٤١] الفراجي، عدنان علي و احمد علي صكر : المقتضب من تاريخ العرب قبل الإسلام، (عمان: دار البداية للنشر، ٢٠١٣م)، ص١٩٤.

للذهب والفضة والأحجار الكريمة، إلى درجة تخرجها من عالم التاريخ إلى عالم الخيال والأساطير، إذ يذهب (سترابون) إلى أن لدى السبئيين كميات كبيرة من مصوغات الذهب والفضة التي استعملوها في مختلف المجالات الحياتية، كما أكد كل من (اجاثارخيدس) و (ارتميدوروس) وهم من الكتاب الكلاسيكيون والذين وصفوا السبيئيون بأنهم يعيشون حياة البذخ والرخاء[٤٢]. وقد أشارت التوراة إلى أن مصدر الذهب الذي أرسل إلى النبي سليمان (عليه السلام) كان من أرض اليمن. بل إنها كانت منجما للذهب آنذاك. أما الفضة فقد وجدت في مناجم شرقي القنفذة، وقد أشار الهمداني إلى أن استخراج الفضة من (الرضواض) وان فضته لا نظير لها[٤٣].

وقد اشتهرت اليمن قبل الإسلام بتصدير المعادن الثمينة والأحجار الكريمة فضلا عن أدوات الزينة[٤٤]. من كلِّ ما تقدم فقد تمتع أهل اليمن بالرخاء في تزين نسائهم بالذهب والفضة واستعمال العطور والبخور على وجه الخصوص لأنهم امتازوا بها ولاسيما في المناسبات والطقوس الدينية. وتعد البخور من المواد الثمينة ذات السعر العالي بالنسبة للتجارة في ذلك الوقت، ومن ثم فقد اكتسبت شجرة البخور أهمية خاصة في العهد القديم، إذ كان إحراق الطيوب يشكل قسما أساسيا من الطقوس والشعائر الدينية في العالم القديم كافة، ليس فقط على صعيد المناسبات الرسمية وإنما كذلك في

---

[٤٢] مهران: الحضارة العربية القديمة، ص٢٧٣، ٢٨٩.

[٤٣] مهران، محمد بيومي: تاريخ العرب القديم، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ب.ت)، ص١٠٨.

[٤٤] علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٨، ص١٣٦.

على صعيد الحياة اليومية، فقد كانوا يحرقون البخور في المباخر، ويبخرون الضيوف، ويطيبون ثيابهم، فقد كانت العطور والبخور من أهم المواد التي كان اليمنيون القدماء يصدرونها عبر القوافل التجارية إلى شمال الجزيرة العربية واليونان والرومان لأغراض الزينة فضلا عن اللبان والمر وسائر أنواع الطيوب لأنها تولد الروائح العطرية التي تستعمل في تعطير الجسم وتجميل النساء والرجال معا[٤٥]. كما استعملوا المسك والعنبر والعود في العطور وصناعتها، وتجدر الإشارة إلى أن اليمنيين والعمانيين اليوم ما يزالون يستعملون تلك العطور ولاسيما البخور واللبان وبشكل يومي. والمسك من أنواع الطيب التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، ويحفظ عادة في قوارير وهو من الطيب الثمين الذي يباع بأثمان عالية، ويذكر معه العنبر، وأجوده ما يجلب من شحر عمان، وهو من مواد التجارة النفيسة التي كانت مطلوبة في تجارة العطور. كما أشار (سترابون) إلى وجود ما يعرف (اللاريم) وهو من أزكى العطور رائحة، ولاسيما عند السبئيين[٤٦]. وذكر (ارطستنس) القوريني حول نقل وتجارة العطور من جنوبي جزيرة العرب، إذ يقول (تنتج قتبان المر وتنتج حضرموت اللبان، وتبيعان هذين النباتين العطريين، وغيرهما من النباتات العطرية إلى التجار[٤٧].

---

[٤٥] مهران: الحضارة العربية القديمة، ص٢٨٦.

[٤٦] علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٨، ص٩٢- ٩٣.

[٤٧] نقلا عن: هيلند، روبرت : تاريخ العرب في جزيرة العرب، ترجمة عدنان حسن، (دمشق: قدمس للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م)، ص١٣٦.

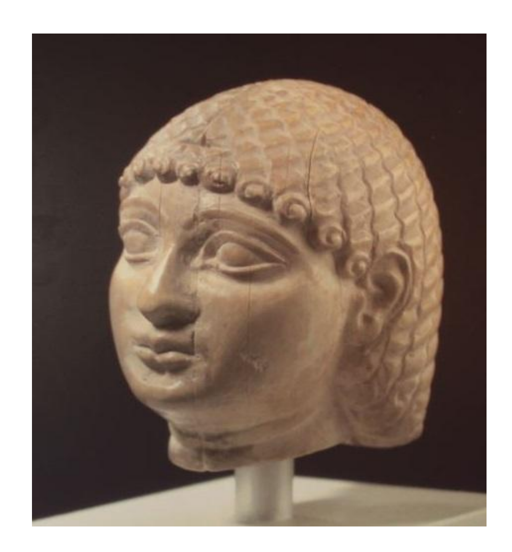
ويبدو أن الآلهة في اليمن القديمة كانت تبتهج بالروائح العطرة بحسب اعتقادهم، وقد عثر على آثار المحارق في المعابد مما يدلّ على أنهم كانوا يقومون بعملية الحرق فعلا، وكان التبخير شائعا عندهم، كما هي الحال عند العراقيين في عصر العبيد[٤٨]. من كلِّ ما تقدّم فقد اهتم أهل اليمن القدماء بشكل واسع النطاق بالعطور ولاسيما البخور واستعمالها في الطقوس الدينية فضلا عن الحياة اليومية للأسرة العربية، أما الزينة فقد تمثلت باستخدام المرأة للتزين بها من استعمال الأحجار الكريمة والعقيق فضلا عن الذهب والفضة كما مر ذكرها سابقا . ويبدو أن المرأة كانت تصفف شعرها بشكل شبيه بالأسلوب اليوناني والروماني في قصِّ الشعر، كما تشبه إلى حدٍّ ما طريقة قص الشعر في حضارة وادي الرافدين ولاسيما عصر سلالة أور الثالثة . كما يبدو الاهتمام الكبير في تصفيف الشعر بوصفه جزءا من المدنية والإحساس بالحضارة. وقد وجد رأس لامرأة مصنوع من البرونز في احد القبور السبئية في صنعاء، محفوظ في المتحف البريطاني في الوقت الحاضر، الشكل (١٢) وبالموازنة مع امرأة من وادي الرافدين في طريقة تصفيف الشعر، الشكل (١٣).

---

[٤٨] الموسوي، جواد مطر: الميثولوجيا والمعتقدات الدينية، (دمشق: دار رند للنشر، ٢٠١٠م)، ص٢٢٧.



الشكل (١٢) امرأة من سبأ



الشكل (١٣) امرأة من وادي الرافدين

أما طبيعة تصفيف شعر الرأس ففي معظم التماثيل وصور الملوك التي انتشرت على العملات نرى الشعر المتموج المنظم تنظيما جيدا، يشبه تنظيمه عند اللحيانيين واليونانيين . كما أن بعض اليمنيين يشعرون شعورهم على شكل جدائل مرسلة على ظهورهم أو على خدودهم، وهم يشبهون الآشوريون في ذلك، كما كان الرجال يحلقون لحاهم وشواربهم في الغالب، وهو شبيه بما موجود عند الفراعنة[٤٩].

الخاتمة

من خلال ما تقدم ولأجل بيان نقاط التشابه والاختلاف ما بين استعمال الزينة والتجميل في كل من حضارتي وادي الرافدين واليمن القديم نستطيع أن نخرج بعدد من النتائج وعلى النحو الآتي :

كانت الحلي والزينة كثيرة الاستعمال في أرض بلاد الرافدين، وكان الرجال كالنساء يشنفون آذانهم بالأقراط، ويتقلدون القلائد في أعناقهم، ويزينون معاصمهم بالأساور، وأصابعهم بالخواتم، وكانوا يصوغون حليهم من الحديد. أما اليمن القديمة فقد كان النساء يتزين بالحلي والزينة من الذهب والفضة والأحجار الكريمة.

---

[٤٩] الموسوي، جواد مطر: الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم، (أطروحة دكتوراه غير منشورة) (بغداد : كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٨م)، ص٢٩٢.

ارتبطت الزينة والحلي في بلاد الرافدين بشكل واسع النطاق بمراسيم القدسية والتعبد، إذ كانت المرأة تمثل القدسية بوصفها الأم وواهبة الحياة التي ترمز إلى الخصب والنماء في الفكر العراقي القديم، ولم يكن للحلي والزينة دور بارز ومؤكد في الطقوس الدينية في اليمن القديمة .

زينت المرأة في بلاد الرافدين جسدها بالجواهر والحلي للإغراء الجنسي، وقد ذكرت ضمن بعض النصوص الأدبية ولاسيما الزواج المقدّس، بيد أن الأمر مختلف الاختلاف كله في اليمن القديم فلم يكن للحلي والزينة دورها الكبير والواسع النطاق في الطقوس الدينية .

ظهر الرجال في حضارة بلاد الرافدين بأنهم يتخذون من الحلي والزينة أساسا للرقي المجتمعي، مع التنوع في حلاقة الشعر واللحى وطريقة تصفيفها، وهي قد تختلف بشكل كبير عن استعمال الرجال للحلي والزينة في اليمن القديمة، وقد ظهر الرجال حليقي الشعر في أغلب المنحوتات والآثار اليمنية القديمة وعلى اختلاف عصورها.

استعمل سكان بلاد الرافدين المواد العطرية أو صناعة العطور جزءا من فن التجميل وكان العراقيون القدماء سباقين في صناعتها . إذ استعملت صناعة العطور في الطب وصناعة الصابون أيضا، وفي إقامة الطقوس الدينية، وغيرها . أما اهل اليمن فقد استعملوا القديم البخور والعطور التي كانوا يستخرجونها من الطيوب والمر واللبان وغيرها في تعطير المكان فضلا عن استعمالها في الطقوس الدينية .

كانت المجوهرات والحلي ولاسيما التي تصنع من الذهب والفضة في بلاد الرافدين مستوردة من أماكن أخرى ولاسيما مناطق اليمن، بيد أن الأمر مختلف جدا إذ تميزت حضارة اليمن القديم بوجود المناجم الأساسية للذهب والفضة التي كانت من أهم صادراتها فضلا عن إنتاج اللبان والطيوب والعطور الأخرى أيضا وتصديرها إلى مناطق شمال الجزيرة العربية .

وجدت الكثير من أدوات التجميل والتزيين في حضارة وادي الرافدين، ولم يؤكد وجود أدوات مماثلة في حضارة اليمن القديم .

تشابهت طريقة تصفيف الشعر عند المرأة في حضارة بلاد الرافدين ولاسيما في عصري سلالة أور الثالثة والعصور الآشورية مع بعض طرائق تصفيف الشعر عن المرأة في اليمن القديم .

تمتعت المرأة بالحرية في الزينة والماكياج والتجميل في حضارة بلاد الرافدين مما يدل على التعامل المتحضر مع المرأة وحقوقها الإنسانية والحياتية ولاسيما بأنها تعد رمزا للخصب والعطاء والنماء . والأمر مختلف جدا في حضارة اليمن القديم التي لم تعط للمرأة وجودها الكبير بوصفه جزءا أساسيا من الحياة المدنية اليومية.

وجدت الكثير من النصوص الادبية التي وصلتنا من حضارة بلاد الرافدين بينت ووصفت المرأة وزينتها وجمال حسنها باستعمالها للحلي والزينة واستخدام الكحل واحمر الشفاه . وقد غاب ذكر المرأة وحسنها وزينتها في النصوص اليمنية القديمة .

المصادر :

١-الأسود، حكمت بشير: أدب الغزل ومشاهد الإثارة في الحضارة العراقية القديمة، (دمشق : دار المدى، ٢٠٠٨م).

٢- الأغا، وسناء حسون يونس حسن: الطين في حضارة بلاد الرافدين، قسم الآثار، (رسالة ماجستير غير منشورة) كلية الآداب، جامعة الموصل، (الموصل : ٢٠٠٤م).

٣- بصمه جي، فرج : كنوز المتحف العراقي، (بغداد : وزارة الإعلام، ١٩٧٢م).

٤- بوتس، دانيال تي : حضارة وادي الرافدين الأسس المادية، ترجمة كاظم سعد الدين، مراجعة الدكتور إسماعيل حسين حجارة، (بغداد : الهيئة العامة للآثار، ٢٠٠٦م).

٥- بيلافسكي، ف.آ: أسرار بابل، ترجمة الدكتور رؤوف موسى جعفر الكاظمي، (بغداد: دار المأمون للترجمة والنشر، ٢٠٠٨م).

٦- الجادر، وليد: الحرف والصناعات اليدوية في العصر الآشوري المتأخر، (بغداد: مطبعة الاديب البغدادية، ١٩٧٢م).

٧- الجادر، وليد: الصناعة، موسوعة الموصل الحضارية، ج١، (الموصل: دار الكتب،١٩٩١م).

٨- حسين، ثائر عبد السادة: المواكب الدينية في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، قسم التاريخ، (بغداد :٢٠١٤م).

٩- الدباغ، تقي: الوطن العربي في العصور الحجرية، دار الشؤون الثقافية، (بغداد: ١٩٨٨م).
١٠-الراوي، فاروق ناصر: جوانب من الحياة اليومية، موسوعة حضارة العراق، ج٢، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥م).
١١- رشيد، فوزي: ظواهر حضارية وجمالية من التاريخ القديم، (دمشق: صفحات للدراسات والنشر،٢٠١١م).
١٢- ساكز، هاري: عظمة بابل موجز حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، ترجمة الدكتور عامر سليمان إبراهيم، (الموصل: دار الكتب،١٩٧٩م).
١٣- ساكز، هاري: قوة آشور، ترجمة الدكتور عامر سليمان، (بغداد: المجمع العلمي العراقي،١٩٩٩م).
١٤- الشيخلي، عبد القادر عبد الجبار: الوجيز في تاريخ العراق القديم، (بغداد : دار عدنان، ٢٠١٤م).
١٥- عبودي، هنري، س: معجم الحضارات السامية، (طرابلس: جروس برس،١٩٩١م).
١٦- علي، جواد : تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١٨، ج٨، (بغداد: المجمع العلمي العراقي،١٩٦٠م).
١٧- علي، فاضل عبد الواحد: أناشيد الزواج المقدس لتموز ونشيد الإنشاد لسليمان، مجلة سومر، ج (١-٢)، م(٣٤)، المؤسسة العامة للآثار (بغداد: المؤسسة العامة للآثار والتراث، ١٩٧٨م).

١٨- الفراجي، عدنان علي و احمد علي صكر : المقتضب من تاريخ العرب قبل الإسلام، (عمان: دار البداية للنشر،٢٠١٣م).
١٩- فرانكفورت، هنري: فجر الحضارة في الشرق الأدنى، ترجمة ميخائيل خوري، (القاهرة: مكتبة الحياة، ١٩٥٩م).
٢٠- فريدمان، استيله: التنقيب عن الماضي، ترجمة احمد محمد عيسى، (القاهرة: مؤسسة فرانكلين للنشر،١٩٦٠م).
٢١- فريشاور، بول: الجنس في العالم القديم، ترجمة فائق دحدوح، (دمشق: دار نينوى،١٩٩٩م).
٢٢- قاشا، سهيل : المرأة في شريعة حمورابي، (الموصل: مكتبة بسام، ١٩٨٥م).
٢٣- كجه جي، صباح : الصناعة في تاريخ وادي الرافدين، (بغداد: مطبعة الأديب البغدادية،٢٠٠٢م).
٢٤- كريمر، ص: اينانا ودموزي طقوس الجنس المقدس عند السومريين، ترجمة نهاد خياطة، ط٢، (دمشق: دار علاء الدين للنشر ٢٠٠٧م).
٢٥- لوبون، غوستاف: حضارة بابل وآشور، ترجمة محمود خيرت المحامي، (بيروت: دار الرافدين، ب.ت).
٢٦- لويد، سيتون: فن الشرق الأدنى والقديم، ترجمة محمد درويش، (بغداد: دار المأمون للترجمة والنشر، ١٩٨٨م).
٢٧- مالوان، ماكس: حضارة عصر فجر السلالات في العراق، ترجمة كاظم سعد الدين، دار الشؤون الثقافية، (بغداد : ٢٠٠١م).

٢٨- مجموعة باحثين: حضارة وادي الرافدين (سومر، آشور، بابل) سبعة آلاف سنة من الفن والحضارة، ترجمة قاسم مطر التميمي، (بغداد: بيت الحكمة،٢٠١٠م).

٢٩- مهران، محمد بيومي : الحضارة العربية القديمة، (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨م).

٣٠- مهران، محمد بيومي: تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ب.ت).

٣١- الموسوي، جواد مطر: الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم، (أطروحة دكتوراه غير منشورة) (بغداد: كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٩٨م).

٣٢- الموسوي، جواد مطر: الميثولوجيا والمعتقدات الدينية، (دمشق: دار رند للنشر، ٢٠١٠م).

٣٣- هيلند، روبرت: تاريخ العرب في جزيرة العرب، ترجمة عدنان حسن، (دمشق: قدمس للنشر والتوزيع،٢٠١٠م).

34-Editors of LIFE: The Epic Of Man. Life (New York :Life magazine,1961).

الخصائص المنهجية والموضوعية لشروح ألفية ابن مالك
((شرح أبي حيان وابن عقيل والأشموني))

المدرس الدكتور علي سعد لطيف
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية
قسم اللغة العربية

الملخص :

واكب ظهور التأليف العلمي ظهور نوع من التأليف يهدف إلى تحقيق الغرض من دراسة النحو وتدريسه وهو التأليف التعليمي، وكان له أثره البارز في مناهج التأليف في علوم العربية منذ نشوئه، ومن هنا وقع الاختيار على ثلاثة من أهم شروح ألفية ابن مالك لأسباب من أهمها:

الأول: إنّ أبا حيان وضع شرحه الموسوعي وقد كان له أثر فيمن جاء بعده، وأخص ابن عقيل أحد تلامذته؛ فهو الذي كان يفخر به، ويقول: "ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل"، فلا بد من تأثر التلميذ بأستاذه في آرائه ومنهجه؛ فضلا عن أن ابن عقيل عكف على متابعة ابن مالك فشرح له كتاب التسهيل وسمّاه (المساعد) والألفية.

الثاني: إنّ الأشموني وضع شرحا موسوعيا باتفاق الجميع، وكان لمن سبقه أثر كبير في مادته ومنهجه العلمي.

المقدمة :

من مظاهر حفظ اللغة أن سخّر الله لها أناسا تهفو قلوبهم إلى دراسة العربية والانكباب على خدمتها والعناية بها، ولما سمع العرب اللكنة والخطأ في لسان الجماعات التي وفدت على الجزيرة العربية من الأمم الأخرى وحاولت تعلّم العربية لحاجتها إليها في معاملاتها معهم، راح علماء اللغة يضعون القواعد؛ صَوْنا للألسن وحفظا للغة القرآن من اللحن والخطأ، لذا وضع علماؤنا الأفاضل تراثا غنيا في علوم العربية فظهرت المصنّفات العلمية وتنوعت مناهج التأليف في النحو عبر العصور بدءا من الكتب المتقدمة، كالجامع والإكمال لعيسى بن عمر الثقفي (ت١٤٩هـ) اللذين فقدا، أمّا أول ما وصل إلينا منها فعلا فهو كتاب سيبويه (ت١٨٠هـ) وانتهاءً بكتب المتأخرين، ثم تتابع ظهور المؤلفات العلمية التي أُلِّفت للمنصرفين إلى دراسة النحو العربي مع التغيّر في مناهج تأليفها عبر العصور[١].

وقد واكب ظهور التأليف العلمي ظهور نوع من التأليف يهدف إلى تحقيق الغرض من دراسة النحو وتدريسه وهو التأليف التعليمي الذي تمثّل بمقدمة خلف الأحمر (ت١٨٠هـ)، والجمل للزجاجي (ت٣٣٧هـ)، والتفاحة لأبي جعفر النحّاس (ت٣٣٨هـ) واللمع لابن جني (ت٣٩٢هـ)[٢].

وكان للنظم التعليمي أثره البارز في مناهج التأليف في علوم العربية كاللغة والنحو والصرف منذ نشوئه، فقد "بدأت المحاولات الأولى لوضع النحو

---

[١] ينظر: مناهج التأليف النحوي: ٦٦.

[٢] ينظر: النحو العربي مذاهبه وتيسيره: ١١٣.

وقواعد العربية، وتطورت الدراسات النحوية ضمن مدرستي البصرة والكوفة حتى بلغت حد الوصول إلى الاعتقاد بأنَّ الوسيلة الفُضلى لدراسة النحو وتدريسه هي نظمه شعرا، لأن النظم أيسر حفظا ، وتتابعت الجهود المنظمة المنطلقة من أسس نفسية وفكرية لنظم قواعد العربية"[٣].

ومن هنا وقع الاختيار على ثلاثة من أهم شروح ألفية ابن مالك لأسباب من أهمها:

الأول: إنّ أبا حيان وضع شرحه الموسوعي ، وقد كان له أثر فيمن جاء بعده، وأخصُّ ابن عقيل أحد تلامذته؛ فهو الذي كان يفخر به، ويقول: "ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل"[٤]، فلا بد من تأثر التلميذ بأستاذه في آرائه ومنهجه؛ فضلا عن أن ابن عقيل عكف على متابعة ابن مالك فشرح له كتاب التسهيل وسمّاه (المساعد) والألفية.

الثاني: إنّ الأشموني وضع شرحا موسوعيا باتفاق الجميع، وكان لمن سبقه أثر كبير في مادته ومنهجه العلمي.

وقد جاء البحث في مبحثين يسبقهما تمهيد تحدثت فيه عن الألفية ونظمها، وجعلت المبحث الأول لدراسة مقدمة الألفية وخاتمتها ومناهج الشروح معها، وخصصت المبحث الثاني لطرائق الشُّراح الثلاثة في المتن، ثم ختمت البحث بأهم ما تمخض عنه البحث من نتائج.

---

[٣] دور الشعر التعليمي في تطور الفكر التربوي العربي: ١٩٠.

[٤] طبقات الشافعية: ٩٧/٣.

وأخيرا أرجو أن أكون قد أسديت بهذا البحث الذي بذلت في سبيله جهدا وصبرا غير قليل بعض النفع، وقد بذلتُ جهدا ما استطعت أن اقترب من الصواب في بحثي هذا، فإن وفقت فهذا غاية ما أرجو، وإن كان الصواب قد جانبني في شيءٍ منه فحسبي أني بذلت كل جهدي وطاقتي. والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، وهو ولي التوفيق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد :

يعدّ ابن مالك من أشهر النحاة الذين عرفهم تاريخ النحو العربي؛ لأنه قام بأكبر عملية تصفية تمت في تاريخ هذا النحو، وخطا به الخطوة الأخيرة التي استقرّ بعدها في صورته الثابتة إلى اليوم، وقد يخيَّل للباحث أن ظهور ابن مالك يُعدّ بداية مرحلة جديدة في تاريخ النحو العربي[٥]، ذلك أن ألفيته الموسومة بـ(الخُلاصَة) نالت منزلة عظيمة بين كتب النحو العربي، فقد شملت جميع أبواب النحو بلغة ميّسرة بعيدة عن الغموض والالتواء، فضلا عن خلوها من التعليلات والاحتجاجات، وهي خُلاصَة دقيقة لأهم قواعد النحو العربي.

ومن هنا كان اختيار الشُّرّاح لها مقصودا لشهرتها التي تداني شهرة كتاب سيبويه، فحظيت بالعناية والاهتمام، إذ انصرف عددٌ غير قليل من

[٥] ينظر: منهج ابن مالك في وضع الألفية: ١٩١-١٩٢.

العلماء بوضع الشروح والتعليقات عليها، حتى قيل: إن شروحها قد بلغت مئة وثلاثين شرحا ولم يظهر منها غير بضعة وعشرين شرحا غير الحواشي والتعليقات والإعرابات.

يقول الدماميني: "وأرجوزته المختصرة من الكبرى، وتعرف بالألفية، وجلّ اشتغال الطلبة المصريين في هذا الزمان بها"[٦].

إنَّ مثل هذه الشروح والحواشي تُظهر لنا مدى ازدهار هذه الوسيلة التعليمية وفاعليتها في هذه المرحلة وما تلاها، فقد كانت المنظومات التعليمية في ذلك العهد خُلاصات شديدة التركيز، مِمّا استدعى العلماء المتأخرين أن يثبتوا عليها شروحا وتعليقات تبسط ما ركّزته وتطيل فيما لخَّصته[٧]، ولو كان الأمر كما يزعم الباحث لَمَا انساق النحاة وراء هذه المنظومات التي لا طائل تحتها يشرحونها ويُعلِّقون عليها الحواشي والطُّرَر، ولاستعاضوا عنها بمتون نثرية تعليمية أعم فائدة وأكثر رُوَاء[٨]؛ فالجانب التعليمي والتيسيري كان سببا في وضع هذه المنظومات، ومن ثم شرحها وشرح لشروحها وهكذا[٩].

وقد يكون وراء هذه الشهرة الذائعة عامل آخر مهم، وهو المنهج الدقيق الذي اتبعه ابن مالك وسار عليه في وضعه لألفيته، وبذل قصارى

---

[٦] تعليق الفرائد: ١/٣٠.

[٧] ينظر: منهج ابن مالك في وضع الألفية: ١٩٨-١٩٩.

[٨] ينظر: النحو العربي مذاهبه وتيسيره: ٦٦-٦٧.

[٩] ينظر: في حركة تيسير النحو وتجديده في العصر الحديث: ٤٥.

جهده في سبيل بثِّ معالمه في جميع الأبواب والفصول على نحو مُتَّسِقٍ ودقيق، حتى غدت ألفيته عصية على كل ما يُمكِن أن يُشينها ويُقلِّل من قيمتها العلمية والتعليمية، فضلا عن سلاستها وكثرة الجمع بعبارت موجزة دقيقة، وقلّة المسائل الخلافية وخلوّها من الشواهد، فضلا عن ترتيب فصولها، وهو الأنسب والأفضل لدراسة أبواب النحو[١٠]، وكل هذا وغيره جعلها تتبوأ مكانة كبيرة بين كتب النحو العربي.

يقول الشاطبي (ت ٧٩٠هـ): "قد فاقت ألفية ابن معط بأوصاف حِسان: كَتَثْقيف الأبواب، وتصحيح القوانين والتَّوْفِية بشروطها، واختصار الألفاظ مع كثرة المعاني؛ إذ كلّ من نظر فيهما يَعلم أنها قد فاقتها بهذه الأوصاف"[١١]، فهو يُعْلِن مُقِرا بأفضلية ألفية ابن مالك وألفيته، ولم نسمع بمثل هذه الشهادة من علماء العربية المتأخرين في حق ألفية السيوطي أو ألفية الأجْهُورِيّ، ولهما من بعد ذلك أن يقولا ما يشاءان.

الألفية منهجا للتأليف النحويّ

الألف من العدد معروف، والجمع: آلاف وألوف، يقال: ثلاثة آلاف إلى العشرة ثم ألوف جمع ألف، والألفية: صيغة نسبة إلى الألف من العدد والألفين معا، وهي منظومات شعرية قد ظهرت في القرن السابع وما بعده،

---

(١٠) ينظر: تاريخ النحو وأشهر النحاة: ٦٢.

(١١) المقاصد الشافية: ١/٢٣-٢٤.

وهي قصائد مطولات تبلغ أحيانا ألف بيت، وقد تنقص أو تزيد، ونظمت هذه المنظومات على غرار الألفيات الأخرى التي نظمت في الفقه والحديث[١٢].

وقد سُمِّيت هذه المنظومة بـ(الألفية) نسبة إلى ألف مزدوج، لا إلى ألف بيت؛ لأنها ألفا بيت من مشطور الرجز، ويصعب أن يكون قصده النسبة إلى الألفين وإن كان في اللفظ ممكنا[١٣]. وقيل إنّ عدة أبياتها ألف أو ألفان بناء على أنّها من كامل الرجز أو مشطوره، ووزن كامل الرجز: (مُسْتَفْعِلُن) ست مرات، والشطر حذف النصف، بأن يكون البيت على (مُسْتَفْعِلُن) ثلاث مرات، فعلى أنها من كامله يكون مثلا:

قَالَ مُحَمَّدٌ هُوَ ابْنُ مَالِكِ   أَحْمَدُ ربِّي اللهَ خَيْرَ مالِكِ

بيتا مصرّعا، عروضه موافقة لضربه، ويكون كل بيت شعرا مُستقلا، وعلى أنها من مشطوره يكون مثلا: (قال محمد هو ابن مالك) بيتا، و(أحمد ربي الله خير مالكِ) بيتا، ويكون كل بيتين شعرا مزدوجا مستقلا[١٤].

لقد نظم ابن مالك ألفيته على وزن الرجز – وكذلك فعل في (الكافية الشافية)– لأنَّ هذا البحر من أوفر أوزان الشعر العربي أنغاما، ومن أكثرها قبولا للتغيير في تفاعيله، وهو بذلك أكثر مرونة لحمل المعارف العلمية[١٥].

---

[١٢] ينظر: شروح ألفية ابن مالك مناهجها والخلاف النحوي فيها: ٣٨_٤١.

[١٣] ينظر: المقاصد الشافية: ١/١٧.

[١٤] ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني: ١/٢١.

[١٥] ينظر: منهج ابن مالك في شرح الألفية: ٢٠٩–٢١٠.

المبحث الأول: شرح مقدمة الألفية وخاتمتها ومقدمات الشراح الثلاثة

حين نطالع أغلب المؤلفات اللُّغويّة القديمة نجدها خلوا مِن مقدمة يُبيّن فيها المؤلف المنهج والدافع إلى تأليفه هذا، وخير دليل على ذلك كتاب سيبويه وهو أوّل أَثر متكامل مكتوب ومدون وصل إلينا في النحو العربيّ[١٦]، العربيّ[١٦]، أما ابن مالك، فقد افتتح ألفيته بمقدمة قصيرة تمثل الأبيات الستة الأولى من الألفية، بالحمد والثناء على الله سبحانه وتعالى والصلاة على سيِّد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وقد شرح وبيّن في مقدمته الأسباب التي دعته إلى نظمها، بقوله:

قَـــالَ مُحَمَّدٌ هُوَ ابْـنُ مَالِكِ ... أَحْمَدُ ربِّي اللهَ خَيْرَ مـالِكِ

مُصَلَّيا عَلَى النبِّيِّ الْمُصْطَفَى ... وَآلِهِ الْمُسْتَكْمِلِينَ الشَّرَفَـا

وَأَسْتَعِــينُ اللهَ فى أَلْـفِيَّــــهْ ... مَقَاصِدُ النَّحْوِ بِهَا مَحْوِيَّهْ

تُقَرِّبُ الأَقْصَى بِلَفْظٍ مُوجَـــزِ ... وتَبْسُطُ البَذْلَ بِوَعْدٍ مُنْجَـزِ

وَتقْتَضِي رِضا بِغَيْرِ سُخْــطِ ... فَائِقَةً أَلْفِيَّــةَ ابْنِ مُعْـــطِ

وَهْوَ بِسَبْقٍ حَـائِزٌ تَفْضِيـــلا ... مُسْتَوْجِبٌ ثَنَـائِيَ الْجَمِيلاَ[١٧]

---

[١٦] مناهج التأليف النحوي: ٦٧.

[١٧] شرح ابن عقيل: ١/٥.

وقد أشار في مقدمته هذه إلى موضوع الكتاب وتسميته، وإلى السبب الذي جعله ينظم هذه الألفية وهو الغاية التعليمية ولتقريب النحو ومسائله إلى عامة الناس والطالبين، وقد صرّح بأن ألفاظه وعباراته مقتضبة تعتمد على التلميح أكثر من التصريح، وعلى الإشارة والإيماء في كثير من الأحيان(١٨). ثم بيّن أن ألفية ابن معط هي السابقة على ألفيته، فقد نظر في ألفية السابق، وأقراها لتلاميذه(١٩)، فألفاها منظومة ناجحة تَستحقُّ أن تُحتَذى، فشجعه ذلك على نظم ألفية على غرارها، وصنيعه هذا ليس معارضة لابن معط في ألفيته، ولا لسُخْط يتعلَّق بها منه، بل هو جارٍ على سبيل الرِّضا بما صَنَع ابن معط، وإن كانت قد فاقتها، وقد أوضح ذلك في قوله:

وَتقْتَضِي رِضا بِغَيْرِ سُخْطٍ   فَائِقَةً أَلْفِيَّةَ ابْنِ مُعْطِ(٢٠)

فابن مالك بَيَّن أنها في حال شُفُوفها على ألفية ابن معط وتفوّقها، ليست بِمُقتضية لسُخط، بل هي مُقْتَضِية للرضا المَحض الذي لا يشوبه شيء، وهذا شأن العلماء والفُضلاء، أن يأتوا بالفائدة مجردة من التنكيت والاستصغار لِما جاء به غيرهم، وإن كان ما يأتون به أتمّ وأكمل(٢١).

---

(١٨) الدرس النحوي في الأندلس: ٢٨-٢٩.

(١٩) ينظر: ابن معط وآراؤه النحوية: ٣٦.

(٢٠) ينظر: شرح الأشموني: ٩/١.

(٢١) ينظر: المقاصد الشافية: ٢٣/١-٢٤.

أولا: شرح مقدمة الألفية وخاتمتها:

لم يعن أبو حيان بشرح مقدمة ابن مالك في شرحه وإنّما تجاهل هذه الأبيات في شرحه[٢٢]، فقد ابتدأ شرحه بالدخول في موضوع (الكلام وما يتألف منه) منطلقا بأسلوبه العلمي الخاص المعروف بتفسير دقيق للمادة العلمية، من غير أن يذكر مقدمة الألفية البتة، ولم نستطع أن نحكم على خاتمتها في شرح؛ لأنّ الكتاب قد وصل إلينا ناقصا مبتورا في منتصف باب أفعل التفضيل[٢٣].

والأمر نفسه عند ابن عقيل فلم يبدأ شرحه بمقدمة يبيّن فيها معالم منهجه وسبب تأليفه الكتاب وتاريخ التأليف، بل ساق أبيات خطبة الألفية، ثم أخذ في شرح أبيات باب الكلام وما يتألف منه[٢٤].

فلم تكن له مقدمة ولعلّ السبب في ذلك هو غاية وضع الكتاب التعليمية التي جعلته يختصر تلك الأمور وغيرها؛ لئلا يخرج عن غايته.

وقد استثنى من الشرح أبيات الخطبة السبعة وأبيات الخاتمة الأربعة، فقصر شرحه على المتن بدءا من باب الكلام وما يتألف منه، وانتهاءً بأبيات باب الإدغام[٢٥].

---

(٢٢) ينظر: منهج السالك: ٥.

(٢٣) ينظر: مناهج شروح ألفية ابن مالك: ٥٤.

(٢٤) ينظر: شرح ابن عقيل ١/٦.

(٢٥) ينظر: شروح ألفية ابن مالك مناهجها والخلاف النحوي فيها: ١٢٣.

أما الأشموني فقد بدأ شرحه بالبسملة والحمد لله والصلاة على رسوله، بقوله: " أما بعد حمد الله على ما منح من أسباب البيان، وفتح من أبواب التبيان، والصلاة والسلام على من رفع بماضي العزم قواعد الإيمان، وخفض بعامل الجزم كلمة البهتان، مُحَمَّدٍ المنتخب من خلاصة معد ولباب عدنان، وعلى آله وأصحابه الذين أحرزوا قصبات السبق في مضمار الإحسان، وأبرزوا ضمير القصة والشأن، بسنان اللسان ولسان السنان"[٢٦].

ثم تحّدث عن بعض ملامح الشرح الذي حرص على تهذيبه وتوضيحه وجعله وسطا بين الإسهاب الممّل والإيجاز المخل؛ فقال: " فهذا شرح لطيف بديع على ألفية ابن مالك، مهذب المقاصد واضح المسالك، يمتزج بها امتزاج الروح بالجسد، ويحلُّ منها محل الشجاعة من الأسد، تجد نشر التحقيق من أدراج عباراته يعبق، وبدر التدقيق من أبراج إشاراته يشرق، خلا من الإفراط الممل، وعلا عن التفريط المخل، وكان بين ذلك قوامًا, وقد لقبته بـ"منهج المسالك، إلى ألفية ابن مالك", ولم آل جهدا في تنقيحه وتهذيبه، وتوضيحه وتقريبه"[٢٧].

ولم يقتصر الأشموني على شرح الألفية فقط بل شرح أبيات المقدمة والخاتمة شرحا تفصيليا دقيقا[٢٨]. فنجد الأشموني في المقدمة:

---

[٢٦] شرح الأشموني: ١١/١.

[٢٧] شرح الأشموني: ١٣/١.

[٢٨] شرح الأشموني: ٥/١.

- معرّفا بالشارح ابن مالك تعريفا كافيا وافيا، اسمه ونسبه وولادته ووفاته، وإقامته.
- شارحا مفصّلا لكل شاردة وواردة في النص، رابطا بين أجزائه ربطا دقيقا من حيث اللفظ والمعنى.
- معربا للفظ المشكل غير الواضح مبيّنا سبب اختياره ذلك الوجه من خلال السياق.
- الاهتمام بالشرح اللُّغويّ لما ورد من ألفاظ في الخطبة.
- مستشهدا بالمنقول لتوضيح وبيان ما يذهب إليه.
- محققا مدققا لما يذهب إليه من رأي وقول.

غير أن الأشموني عمد إلى تغيير ألفاظ البيت الأخير من الألفية بقوله:

والله يقضي بالرضا والرحمه   لي وله ولجميع الأمه[٢٩]

وقد أشار إلى هذا التغيير بأنّه وجه حسن يقصد من ورائه التعميم في الدعاء لأنه بدأ بنفسه أولا، والسبب الآخر هو خروجه عن القاعدة؛ إذ إنّه وصف الجمع بالمفرد فـ (بهبات) جمع قلة وصفها بالمفرد بقوله: (وافرة)

---

[٢٩] شرح الأشموني: ١/٥، وينظر: شروح ألفية ابن مالك: ٩٥.

والأصل أن يقول: (وافرات) لأن النعت يجب أن يطابق منعوته إذا كان جمع قلّة[٣٠]، إذ الأصل قول ابن مالك:

واللهُ يقضي بهبات وافره   لي وله في درجات الآخره

أما خاتمة الألفية فقد شرحها شرحا تفصيليا كما فعل في مقدمة الألفية[٣١].

فقد تميّز الأشموني في التعامل مع مقدمة الناظم وخاتمته دونا عن أبي حيان وابن عقيل.

ثانيا: مُقدّمات الشُرّاح:

وضع أبو حيان مقدمة لشرحه بيّن فيها منهجه والغاية التي دفعته إلى عمله هذا. فقد بدأ مقدمته بالحمد والثناء على الله والصلاة على محمّد ومن اهتدى بدينه إلى يوم الدين، بقوله: "حَمْدُ اللهِ مِنْ أَوْجَبِ مَا افْتَتَحَ بِهِ الإِنْسَانُ، وَأَعْذَبِ مَا نَطَقَ بِهِ اللِّسَانُ، وَصَلاتُهُ وَسَلَامُهُ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُوْلِهِ وَصَفِيِّهِ وَحَبِيْبِهِ وَخَلِيْلِهِ، أَوْلَى ما تُوسِّلَ بِهِ إِلَيْهِ، وَأَعْلَى مَا اعْتُمِدَ فِي الزُّلْفَى لَدَيْهِ، فَلِلَّهِ الحَمْدُ مِلْءَ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتِمِ الأَنْبِيَاءِ"[٣٢].

ثُمَّ أبان عن أغراضه الثلاثة من تأليف هذا السفر، إذ يقول: "وبعدُ فالغرضُ في هذا الكتابِ الكلامُ على الألفيَّةِ التي نظمها بَلَدِيُّنا أبو عبدِ اللهِ

[٣٠] ينظر: شرح الأشموني: ٢٢/١.
[٣١] شرح الأشموني: ١٦٥/٤.
[٣٢] منهج السالك: ٤.

محمَّدُ بنُ مالكٍ، الجَيَّانيُّ المَولِدِ، الدِّمشقيُّ الوفاةِ – رَحِمَه اللهُ– في مقاصدَ ثلاثةٍ:

المقصدُ الأوَّلُ: "تبيينُ مُقيَّدٍ أطلقَه[٣٣]، وواضحِ أغلقَه[٣٤]، ومُخصَّصٍ عمَّمَه[٣٥]، ومُعيَّنٍ أبهمَه[٣٦]، ومُفصَّلٍ أجملَه، ومُوجزٍ طوَّله"[٣٧].

المقصدُ الثَّاني: "التَّنبيهُ على الخلافِ الواقعِ في الأحكامِ، ونسبتُه – إنْ أمكنَ– إلى مَن ذَهَبَ إليه مِن الأئمَّةِ الأَعْلَامِ؛ فإنَّه يذكُرُ حُكما وقعَ الاتِّفاقُ عليه والإجماعُ، ويُردِفُه بآخرَ وجِدَ فيه الاختلافُ والنِّزاعُ، فيرسِلُ ذلك هَمَلا، ويُبدِلُه بحَليه عَطَلا، فيُكتسى مُحيًّا جَمالِهِ غَمَما، ويثيرُ لنَّاظرٍ فيه غُمَما، وربَّما اختارَ ما ليس بالمُختارِ ولا المشهورِ، وتركَ ما عليه العملُ مِن مَذَاهبِ الجمهورِ، مُقتَفِيا في ذلك مَقالةَ كوفيٍّ ضعيفِ الأقوالِ، أو بصريٍّ لم يُنسَج له لشُذوذِه على مِنوالٍ، وبانيا قواعدَ على نادرٍ في المنقولِ، شاذٍ في القياسِ خارجٍ عن الأصولِ، وأثرٍ لم يَصِحَّ أنَّه من لفظِ الرسولِ فيصحَّ الاحتجاجُ به في النقول"[٣٨].

---

[٣٣] منهج السالك: ٧.

[٣٤] منهج السالك: ٣٣٢.

[٣٥] منهج السالك: ٤١٠.

[٣٦] منهج السالك: ٤١٠.

[٣٧] منهج السالك: ١.

[٣٨] منهج السالك: ٢، وينظر: ٣١٧.

المقصدُ الثَّالثُ: "حلُّ ما يهجِسُ في أنفُسِ النَّشأةِ مِن مشكلاتِها، وفتحُ ما يُلبِسُ مِن مُقفَلاتِها"[٣٩].

ثُمَّ أبان أبو حيان عن منهجه في الشرح بقوله: " ولم أقصدِ التَّكثيرَ مِن الأحكامِ، ولا التَّمثيلَ لما وَضَحَ للإفهامِ، وربَّما أنجِز مع هذه المقاصدِ فوائدَ تُشَنِّفُ بحُسْنِها الأسماعُ، وفرائدَ تُشَرِّفُ المهارقَ والرِّقاعَ، ولعلَّه ما عَرضَ في هذه الأرجوزةِ ما عَرضَ، حتَّى قامَ بجوهرِها العرضُ إلَّا لضيقِ مجالِ الشِّعرِ، امتيازه بالكُلفة دونَ النَّثرِ، فربَّما يضطَرُّ النَّاظمُ القافيةَ والوزنَ، حتَّى يترُكَ السَّهلَ ويسلُكَ الحَزَنَ، ويعبِّرَ عن المعنى القريبِ باللَّفظِ البعيدِ، وعن الحقيقةِ السَّلِسَةِ بمجازِ التَّعقيدَ، وإن لا"[٤٠].

فبيّن بهذا النص أن الغاية الأساس من شرح الألفية هو تيسيرها على طلبة العلم بعد أن رأى أن بها بحاجة إلى شارح يوضح غامضها، ويحلّ مُعَقَّدَها، حتى تسهل على الدارسين، ولم يلتزم أبو حيان بمقاصده في الشرح، وجاء الكتاب جامعا لأبواب النحو، يسير الفهم، سهل العبارة، مفسرا الألفية تفسيرا واضحا سلسا؛ مودعا فيه آراء وأقوال الكثير من العلماء، وقد وضع فيه كل ثقافته ومعارفه حتى جعل كتابا ضخما جامعا فيه آراء متشعبة وأحكام كثيرة أخرجته عن الغاية التعليمية إلى الغاية العلمية نتيجة ذلك التوسع في الشرح، ونلحظ ذلك في باب الحال وحروف الجر.

---

[٣٩] منهج السالك: ٢، وينظر: ٨٨.

[٤٠] منهج السالك: ٤-٥.

وقد ذكر أبو حيان بعد ذلك ما اعترى الكتاب من عيوب، بقوله: " فما احتوت عليه مِن السَّهو، واشتمَلَتْ به مِن الحشو، يأبَى أنْ يكونَ صادرا عن بادئٍ في النَّحوِ، بله إمَاما تَضَوَّعُ برَيَّاه المَجَالسُ، ويَبْأى برؤياه المُجالِس."[٤١]، فأشار بتهكم إلى ما جاء في الألفية من مادة علمية دعت الطلاب إلى تركها وهجرها واطّراحها. بنقدٍ جارحٍ لابن مالك.

وقد أهمل ابن عقيل والأشموني وضع مقدمة لشرحيهما[٤٢]، على الرغم من أهمية شرح الأشموني وسعة مادته العلمية وغزارتها، غير أنه بقي غامضا لغياب مقدمته وهو أمر مهم في التأليف العلمي بصورة عامة، حتى أن الصّبان أشار إلى هذه القضية.

ثالثا: تقسيم الشروح وترتيب الموضوعات:

١. تقسيم الشروح.

وضع أبو حيان الأندلسي منهجا خاصا لشرحه الموسوم بـ"منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك" وقد صرّح بهذا المنهج في مقدمته للكتاب، وهو المنهج التعليمي القائم على الإيضاح والاختصار والابتعاد عمّا أبعد الدرس النحوي لما وُضع له[٤٣]، وما إلى ذلك[٤٤]، وكان منهجه مميزا

---

[٤١] منهج السالك: ٥.

[٤٢] ينظر: شرح ابن عقيل: مقدمة التحقيق: ٥، وشروح ألفية ابن مالك مناهجها والخلاف النحوي فيها: ١٢٣-١٢٤، شرح الأشموني: ٣-٦، وينظر: حاشية الصبان: ٢٥/١.

[٤٣] ينظر: منهج السالك: ٣-٥.

[٤٤] ينظر: منهج السالك: ٣-٥.

واحدا فلم يخرج عما اختطه لنفسه وبقي حتى نهاية ما وصل إليه من الكتاب سائرا عليه.

فقد قسم أبو حيان كتابه على جزأين؛ يبدأ الجزء الأول من بحث "الكلام وما يتألف منه" وينتهي بتمام باب "التمييز" الذي جاء في نهايته: " نَجَزَ السِّفْرُ الأَوَّلُ مِنْ كِتَابِ مَنْهَجِ السَّالِكِ في الكَلَامِ على أَلْفِيَّةِ ابْنِ مَالِكٍ في ثَامِنِ عَشْرَ ذِي الحُجَّةِ سنة سِبْعِ وَثَلاثَين وسَبْعِ مِئَةٍ"(٤٥).

ثم يبدأ الجزء الثاني بـ"حروف الجر" وينتهي بباب "أفعل التفضيل"، أما ابن عقيل والأشموني فلم يقسّما شرحيهما، بل وضعا الشرحين على صيغة واحدة من دون الإشارة إلى تجزئة الشرحين، فهذا منهج تميّز به أبو حيان عن سواه.

٢. تقسيم الموضوعات:

إنَّ عملية التأليف عند القدماء كانت تضم موضوعات شاملة من صوت وصرف ونحو، غير أنها لم تكن على خطة واضحة، لأن فيها أبواب قُدِّمت كان من حقِّها أنْ تتأخر، وأبوابا أُخرت كان من حقِّها أن تتقدَّمَ، وقد رسم ابن مالك لنفسه منهجا في ألفيته سار عليه كثير ممن جاؤوا بعده حتَّى قيل في ترتيب موضوعاته:" قسّم ابن مالك بعض الأبواب إلى فصول، ولعلَّه أوّل من أحدث هذا التقسيم في النحو، فقد قسّم سيبويه مسائل النحو في كتابه إلى أبواب، وقسّمها الزمخشري في مفصله إلى فصول، وجعل ابن مالك رؤوس المسائل الكبرى أبوابا، وفروعها فصولا، فجاء هذا التقسيم فريدا في

(٤٥) منهج السالك: ٤٩٠.

نوعه بين كتب النحو، وهذه سِمة من السمات التي بها صنيع ابن مالك"[٤٦]. ولكن ما يعاب على الكتاب هو اشتماله على موضوعات صوتية وصرفية ونحوية في كتاب واحد.

وعلى الرغم من ذلك رتّب موضوعاته على وفق الأبواب والفصول، فبدأها بالمرفوعات، فالمنصوبات، فالمجرورات.

أمَّا شُرّاح الألفية؛ فقد ساروا على المنهج التنظيمي والترتيب الذي وضعه ابن مالك، وهذا أمرٌ منطقي؛ لأنَّهم شُرّاح لكتابه، ولكن هذا الأمر ليس على إطلاقه، فلقد كانت هناك بعض المخالفة سواء أكانت على شكل اعتراضات أم انتقادات في إدراجه بعض الأبواب في غير محلِّها، أو مخالفته النحاة في عنوان الباب، أو عدم إفراده بابا لبعض الموضوعات، أو عدم تناوله بعض المسائل، زيادة على إيضاحهم سبب ترتيبه هذا، وهذا ما سنكشف عنه من متابعته عند الشُرّاح.

أمَّا أبو حيّان، فقد سار على النهج نفسه الذي رتّب فيه المُصنِّف الموضوعات، وما تتعلق به من أبواب وفصول، ولكنه زاد على الألفية بابا آخر بعد باب التمييز هو (باب الجمل التي لها محل من الإعراب والجمل التي لا محل لها من الإعراب)[٤٧].

---

[٤٦] شروح ألفية ابن مالك المطبوعة: ٤٣-٤٤.

[٤٧] ينظر: منهج السالك: ٤٦٢-٤٦٦.

إذ يقول: " ونحنُ نختِمُ القول فِيها بِذِكرِ الجُملِ بِالنِّسبةِ إِلى ما لها موضِعٌ مِن الإعرابِ، وما لا موضِع لهُ، وناسِب ذِكر ذلِك أنّ الجُملة الواقِعة موقِع الحالِ لها موضِعٌ مِن الإعرابِ، ونُورِدُ ذلِك بِاختِصارٍ "[٤٨]

فقد نظر إلى الجملة من زاوية أخرى، وهي الإعراب؛ ولذلك جعل الجمل قسمين: جمل لها محلّ من الإعراب، وجمل لا محلّ لها من الإعراب.

فما أُوِّلَ بالمفرد وقام مقامه أُعرب، وما لم يُؤوّل بمفرد لا محلّ له من الإعراب، وقد ذكر أنّ الجملة تقع موقع المفرد في ستة مواضع: أحدها: خبر المبتدأ، والثاني: خبر كان وأخواتها، والثالث: خبر إنّ وأخواتها، والرابع: المفعول الثاني من باب ظننتُ وأخواتها، والخامس: في صفة النكرة، والسادس: الحال[٤٩]، أمّا الجمل التي لا محلّ لها من الإعراب فتسع عددها[٥٠].

ومما يؤخذ عليه في تبويب الفصول أنه لم يفصل بين الموضوعات في بعض الأحيان، بل كثيرا ما كان يذكر عبارة[٥١] **(ولمّا فرغ... أخذ أو شرع أو انتقل أو أشار...)** فمن ذلك قوله: " لما قدَّم الكلامَ على حذف

---

[٤٨] منهج السالك: ٤٦٢.

[٤٩] ينظر: منهج السالك: ٤٦٥، والجمل: ٤٠.

[٥٠] ينظر: منهج السالك: ٤٦٢، وإعراب الجمل وأشباه الجمل: ٤٠٥، ٤١٢.

[٥١] ينظر: منهج السالك: (ولمّا فرغ) ٦١٨، (أو أخذ) ٣٨٨ (أو شرع) ٥٦٤ (أو انتقل) ٣٤٨ (أو أشار) ٢٩٥.

المضاف، وفرغ منه أخذَ يذكر حذفَ المضاف إليه وكان قد قدمَ أنه يُحذف في، نحو: غير وقبل، وبعد، والجهات"[٥٢].

وقولـه: " لمـا فـرغَ المصـنفُ مـن ذكـر المرفوعـاتِ، والمنصـوباتِ، والمجروراتِ أخذَ يذكرُ ما يعملُ عملَ الفعلِ، فبدأ بالمصدرِ، فقالَ: أَلِحقْ المصدرَ في العمل بفعله، فإن كانَ الفعلُ لازما فالمصدرُ كذلك، فلا يتعدّى إلاّ إلى ما يتعدّى إليه الفعلُ اللازمُ، وإن كانَ متعديا فيتعدّى إلى ما تعدّى إليه فعلُه"[٥٣].

ولم يختلف ابن عقيل عمَّا اخْتطَّهُ المُصنِّفُ لنفسه من التبويب، فَقَسّم الأبوابَ تقسيما يناسب المادة العلميّة وإيصالها إلى المتعلِّم، وهو من أكثر الشُرّاح متابعةً لابن مالك في ترتيبه وتبويبه للأبواب وتفريعاته الفصول، فقلَّما نجده معترضا أو ناقدا أو معللا كما فعل غيره من الشُرّاح[٥٤]. ومما يؤخذ عليه أنه لم يفصل بين الموضوعات في بعض الأحيان، بل كثيرا ما كان يذكر عبارة[٥٥] **(ولمّا فرغ... أو شرع، أو انتقل، أو أشار...)** فمن ذلك قوله: " لما فرغ من بيان المعرب والمبني من الأسماء شرع في بيان المعرب والمبني من الأفعال ومذهب البصريين أن الإعراب أصل في الأسماء فرع في

---

(٥٢) منهج السالك: ٦١٨.

(٥٣) منهج السالك: ٦٣٥.

(٥٤) ينظر: مناهج شروح ألفية ابن مالك: ٥٥.

(٥٥) ينظر: شرح ابن عقيل: (ولمّا فرغ) ٢/٧٣، (أو شرع) ٣/٢٢٦، (أو انتقل) ١/٨، (أو أشار) ١/٣٧.

الأفعال"[٥٦]. وقوله: " لما فرغ من الكلام على ما يعرب من الأسماء بالنيابة شرع في ذكر ما يعرب من الأفعال بالنيابة وذلك الأمثلة الخمسة فأشار بقوله يفعلان إلى كل فعل اشتمل على ألف اثنين سواء كان في أوله الياء نحو يضربان أو التاء نحو: تضربان وأشار بقوله وتدعين إلى كل فعل اتصل به ياء مخاطبة نحو: أنت تضربين، وأشار بقوله وتسألون إلى كل فعل اتصل به واو الجمع نحو أنتم تضربون سواء كان في أوله التاء كما مُثِّل أو الياء نحو الزيدون يضربون."[٥٧].

وقد ترّسم الأشموني خُطى ابن مالك في الأبواب والفصول؛ فهو يعرضها من غير تقديم ولا تأخير، ومما يؤخذ عليه أنه لم يفصل بين الموضوعات في بعض الأحيان، بل كثيرا ما كان يذكر عبارة[٥٨] **(ولمّا فرغ... أخذ... أو شرع... أو انتقل... أو أشار...)** فمن ذلك قوله: "ولما فرغ من بيان ما ناب فيه حرف عن حركة من الأسماء أخذ في بيان ما نابت فيه حركة عن حركة"[٥٩]، وقوله: "ولما فرغ من مواضع النيابة في الاسم شرع في مواضعها في الفعل"[٦٠].

---

(٥٦) شرح ابن عقيل: ٧٩/١.

(٥٧) شرح ابن عقيل: ٧٩/١.

(٥٨) ينظر: شرح الأشموني: (ولمّا فرغ) ٧٠/١. (أخذ) ٧٠/١ (أو شرع) ٧٦/١ (أو انتقل) ٤٧٣/١ (أو أشار) ٦٠/٤.

(٥٩) ينظر: شرح الأشموني: ٧٠/١.

(٦٠) ينظر: شرح الأشموني: ٧٥/١.

وكان يَسْرِدُ مجموعة من الأبحاث والتنبيهات التي قد تصل إلى عشرة أبحاث، أو أمور تتعلق بالباب[61]. من ذلك قوله: "تنبيه: قد يكون الاتحاد في الفاعل تقديريا، كقوله تعالى: [يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا] لأن معنى: يريكم يجعلكم ترون"[62]، وقوله أيضا: "تنبيه: شرط جواز الإبدال عندهم – والحالة هذه– أن يكون العامل يمكن تسلطه على المستثنى، كما في الأمثلة والشواهد، فإن لم يمكن تسلطه وجب النصب اتفاقا، نحو: "ما زاد هذا المال إلا ما نقص"، و"ما نفع زيد إلا ما ضر"؛ إذ لا يقال: زاد النقص، ولا نفع الضرر؛ وحيث وجد شرط جواز الإبدال فالأرجح عندهم النصب"[63]

وقد امتاز هذا الشرح بحسن التنسيق والتنظيم في إيراده المسائل، فنراه يُمهدُّ للموضوع، أو يُجْمله إذا طال الكلام، وقسّم المسائل على أبحاث وتنبيهات وأمور تتعلق به من غير تداخل[64].

المبحث الثاني: طرائق الشُرّاح في متن شروحهم.

اتخذ شُرّاح الألفية الثلاثة طرائق متعددة في شرحهم أبيات الألفية، بعضها يرجع إلى طريقة واحدة مع الاختلاف اليسير في بعض الجزئيات، وبعضها الآخر يختلف في طريقة التناول ويمكن تقسيم ذلك على ثلاث طرائق، هي:

---

(61) ينظر: التنبيهات النحوية والصرفية عند الأشموني: ١٧٤.

(62) شرح الأشموني: ٤٨١/١، وينظر: ٤٩٠/١، ٤٩١، ٥١٠، وغيرها. للاستزادة ينظر: التنبيهات النحوية والصرفية عند الأشموني: ٢٦٣.

(63) شرح الأشموني: ٥٠٧/١.

(64) ينظر: شروح ألفية ابن مالك مناهجها والخلاف النحوي فيها: ١٢٣.

الطريقـة الأولـى: طريقة تتبـع البيت بنصـه: وهـي الطريقة التـي يأخذ فيها شارح الألفية بيتا أو بيتين أو ثلاثة بتمامها؛ فهي تطول عند بعضهم، وتقصر عند بعضهم الآخر. وقلّما نجد أن أبا حيان الأندلسي قد استعمل هذا الأسلوب في مقدمات الأبواب والموضوعات النحوية كثيرا، فمن ذلك قوله: "

مُبْتَدَأٌ زَيْدٌ وَعَاذِرٌ خَبَرْ   إِنْ قُلْتَ زَيْدٌ عَاذِرٌ مَنِ اعْتَذَرْ

وَأَوَّلٌ مُبْتَـدَأٌ وَالْثَّانــِي   فَاعِلٌ اغْنَى فِي أَسَــارٍ ذَانِ

" سارٍ" اسمُ فاعلٍ مِن سرى، و"ذانِ" تثنيـةُ ذا، ويشيرُ بهذا إلـى أنَّ الوصـفَ الـذي يسبِقُه أداةُ استفهامٍ ولـم يُطـابِق مـا بعدَه فـي كونِـه مُثنَّـىً أو مجموعا نحو:" أقائمٌ الزيدان، وأقائمٌ الزيدون، فإنَّ ذلك الوصفَ يُعربُ مبتدا، وما بعده فاعلٌ أغنى عن الخبر"(٦٥).

وقلـيلا مـا اسـتعمل أسـلوب ذكـر البيـت كـاملا فـي داخـل الأبـواب، فمن قوله:

"بالظَّاهرِ اخْصُصْ منذُ مُذْ وَحَتَّى   والْكَافَ والْوَاوَ وربَّ والتَّا

واخْصُصْ بِمُذْ ومُنْذُ وَقْتـا وَبِرُبَّ   مُنَكَّرَا والتَّــــاءُ لله وربْ

ومارَوَوا مِنْ نَحْـو: رُبَّــــه فَتــىً   نَزْرٌ كَذَا كَهَا وَنَحْـوُهُ اتَى

هـذا هـو الوجـهُ الرابـع فيمـا تـدخلُ عليـه هـذه الحـروف مـن الأسـماء، فنقولُ: حـروفُ الجـر علـى ثلاثـة أقسـامٍ، قسمٌ يجـر المضـمر فقـط، وهـو لـولا

(٦٥) منهج السالك: ٨٣.

على مذهب سيبويه، وقسم يجر الظاهر فقط، وهو ما ذكر الناظم، وها التنبيه، وهمزة الاستفهام، والهمزة المقطوعة، ومُن، ومُ، ومِ إلا أن في حتّى خلافا مذهبُ الجمهورِ أنها لاتجرُّ المضمرَ إلا ضرورةً"[٦٦].

أما ابن عقيل فقد انتهج هذه الطريقة في شرحه، إذ كان يذكر نص الألفية كاملا دون اجتزاء أو اقتطاع للنص وهي سمة منهجه، فمن ذلك قول:

"ارفع مضارعا إذا يُجرَّد   من ناصب وجازم كـ تُسعدْ

إذا جرد الفعل المضارع عن عامل النصب وعامل الجزم رفع واختلف في رافعه فذهب قوم إلى أنه ارتفع لوقوعه موقع الاسم فيضرب في قولك زيد يضرب واقع موقع ضارب فارتفع لذلك وقيل ارتفع لتجرده من الناصب والجازم وهو اختيار المصنف.

وبلن انصبه وكــي كـــذا بــأن   لا بعد علم والتي من بعد ظن

فانصب بها والرفع صحح واعتقد   تخفيفها من أن فهـو مطــرد

ينصب المضارع إذا صحبه حرف ناصب وهو لن أو كي أو أنْ أو إذن نحو لن أضرب وجئت كي أتعلم وأريد أن تقوم وإذن أكرمك في جواب من قال لك آتيك وأشار بقوله لا بعد علم إلى أنه إن وقعت أن بعد علم ونحوه مما يدلُّ على اليقين وجب رفع الفعل بعدها وتكون حينئذ مخففة من الثقيلة نحو علمت أن يقوم التقدير أنه يقوم فخففت أنَّ وحذف اسمها وبقي

---

[٦٦] منهج السالك: ٥٠٠.

خبرها وهذه هي غير الناصبة للمضارع؛ لأنّ هذه ثنائية لفظا ثلاثية وضعا وتلك ثنائية لفظا ووضعا"[٦٧].

ولم يختلف الأشموني عن أبي حيان في منهج هذا، فقد استعمله في شرحه بنفس الطريقة، إذ كان يذكر البيت كاملا في مقدمة الأبواب والموضوعات النحوية، منها قوله:

"التَّابِعُ المَقْصُودُ بِالحُكْمِ بِلاَ وَاسِطَةٍ هُوَ المُسَمَّى بدلًا

في اصطلاح البصريين "بدلًا" وأما الكوفيون فقال الأخفش: يسمونه بالترجمة والتبيين، وقال ابن كيسان يسمونه بالتكرير.

فالتابع: جنس والمقصود بالحكم يخرج النعت والتوكيد وعطف البيان وعطف النسق سوى المعطوف ببل ولكن بعد الإثبات، وبلا واسطة يخرج المعطوف بهما بعده"[٦٨].

وممّا جاء في أثناء الشرح، قوله:

ومصدر منكر حالا يقع بكثرة كبغتةً زيد طالع

و"جاء زيد ركضا"، و"قتلته صبرا"، وهو عند سيبويه والجمهور على التأويل بالوصف: أي: باغتا وراكضا ومصبورا، أي: محبوس"[٦٩].

---

[٦٧] شرح ابن عقيل: ٤/٣-٤.

[٦٨] شرح الأشموني: ٢/٣.

[٦٩] شرح الأشموني: ٢/٩.

الطريقة الثانية: طريقة التجزئة: وهي الطريقة التي يأخذ فيها شارح (المتن) فقرة أو فقرات تطول عند بعضهم، وتقصر عند بعضهم الآخر، وقد يكون متابعا للمصنف في مقدار الفقرة التي يتناولها، وقد يكون غير ذلك.

وقد انتهج أبو حيان هذه الطريقة في شرحه كثيرا، فمثال ذكره لجزء بيت قوله:

"كَلَامُنَا لَفْظٌ مُفِيدٌ كاسْتَقِمْ

كلامُنا؛ أي: الكلامُ المُصطلَحُ عليه عند النُّحاة.

لفظٌ مُفيدٌ: فلفظٌ: جنسٌ يَشمَلُ الكَلَامَ والكَلِمَ. ومفيدٌ: فَصْلٌ، وعلى كلِّ واحدٍ من هذين القيدين مناقشاتٍ"[٧٠].

ومثال ذكره لألفاظ من بيت الألفية قوله: "وقَولُ الناظِمِ: وَثَنِّ وَاجمَع غَيرَهُ وَأَفرِدَا. يَقُولُ: غيرُ التَوكِيدِ – وهو مَا كانَ لِلعَددِ وبَيانِ النوعِ – يَجُوزُ إفـرَادُهُ، وتَثنِيَتُهُ، وجَمعُهُ. أَما مَا كَانَ لِلعَددِ فتَقُولُ: "ضَرَبتُ ضَربَةً"، و"ضَربَتَينِ"، و"ضَربَاتٍ"، ولا خِلَافَ في جوازِ تَثنِيةِ الذِي هو مَعدُودٌ، ويُسَمى مَحدُودا"[٧١].

إذ اقتطع أبو حيان هذه الألفاظ من بيت الألفية:

وما لتوكيد فوحِّد أبدا   وثن واجمع غيره وأفردا

---

[٧٠] منهج السالك: ٣.

[٧١] منهج السالك: ٣١٠.

ولم ينهج ابن عقيل هذا الاتجاه في شرحه الألفية، بل ابتعد عن هذه الأمور وكان اسلوبه تقريريا مباشرا.

وقد انتهج الأشموني طريقة الاجتزاء في مواضع قليلة من شرحه حتى أن هذه المواضع لا تكاد تكون ظاهرة متفشية في الشرح، منها قوله: "وَرَفَعُوا "أي: العرب "مُبْتدأ بِالِإبتِدَا" وهو الاهتمام بالاسم وجعله مقدما ليسند إليه، فهو أمر معنوي "كَذَاكَ رَفْعُ خَبرٍ بِالمُبْتَدَا" وحده"[٧٢]

إذ إنه اقتطع الكلمتين من بيت الألفية القائل:

ورفعوا مبتدأ بالابتدا   كذاك رفع خبر بالمبتدا

الطريقة الثالثة: وهي طريقة المزج بين المتن والشرح، أي: مزج بيت الألفية بكلام الشارح، وهو منهج ليس بالسهل، فالربط بين طريقين في الفكر حتَّى يبدو نسقا واحدا، يعدُّ تمكنا من العربيّة.

وأبو حيان هو الشارح الوحيد الذي انتهج هذه الطريقة، ويؤخذ على هذه الطريقة أنَّ الشارح الذي يمزج بين المتن والشرح، بذكر كلمة أو عبارة، ثُمَّ القيام بالشرح وما يتخلل عملهم هذا من كثرة النقول، وذكر المذاهب والخلافات، فيستغرق ذلك عددا من الصفحات، ثُمَّ يعود لإتمام الشرح يشتتون القارئ، إذ يؤدي ذلك إلى عدم استحضار الذهن، بسبب الشرود الذهني والسّأم لدى القارئ.

---

[٧٢] شرح الأشموني: ١٨٣/١.

أولا: طريقة الشرح:

اتبع شراح الألفية مناهج متعددة في متن الشروح، اختلفت هذه المناهج حسب طبيعة الشرح وبحسب السبب الذي وضع له كل واحد. ويمكن أن نحدد طريقتين في الشرح:

الأولى: ذكر أصل المتن، ومن ثم الانتقال إلى الشرح.

فأبو حيان كان يذكر أصل المتن بقوله: (وقوله)[٧٣] أو (ذكر)[٧٤]، ثُمَّ يتبعه بـ(أي)[٧٥] أو لفظة (وقوله)[٧٦] أو (يعني)[٧٧]، ثُمّ يسهب في التفاصيل الخاصة بكل موضوع.

وقد استعمل أبو حيان طريقة أخرى في الشرح أيضا، وهي أنه كان يمهد للباب النحوي بذكر حدّه، أو تفصيل أنواعه، وبيان ما يشتمل عليه الباب قبل ذكره بيت الألفية[٧٨].

أما ابن عقيل فقد استعمل أسلوبا تعليميا في شرحه، إذ كان يذكر بيت الألفية ثم يتبعه بالشرح مباشرة مستعملا لفظ (ذكر) ليبدأ بالشرح مباشرة[٧٩].

---

(٧٣) ينظر: منهج السالك: ٣٨٤.

(٧٤) ينظر: منهج السالك: ٤٥٢.

(٧٥) ينظر: منهج السالك: ٦٣٨.

(٧٦) ينظر: منهج السالك: ٦٧٤.

(٧٧) ينظر: منهج السالك: ٥٦٩.

(٧٨) منهج السالك: ٧٤٨.

(٧٩) شرح ابن عقيل: ٥٦/١.

أما الأشموني فقد اتبع طريقة أبي حيان في الشرح، وهي أنه كان يذكر بيت الألفية ومن ثم يعمد إلى شرحه[٨٠].

وقد يستعمل الطريقة الأخرى في الشرح، وهي أنه يمهد للباب النحوي بذكر حدّه، أو تفصيل أنواعه، وبيان ما يشتمل عليه الباب قبل ذكره بيت الألفية[٨١].

نجد أن أبا حيان والأشموني قد استعملا طريقة متشابهة في الشرح والسبب أن شرحيهما موسوعيين؛ لذلك تنوعت طرائقهما في المتن، أما ابن عقيل فلعلّ الطريقة التعليمية ألزمته بمنهج واحد ولم يخرج عليه.

الثانية: التمهيد للباب النحوي بذكر حدّه، أو تفصيل أنواعه، وبيان ما يشتمل عليه الباب قبل ذكره بيت الألفية.

ومن ذلك قول أبي حيان: "التعجُّبُ في كلام العربِ على قسمين: قسمٌ بُوِّبَ له في علم النحو، وهو ما ذكرَه هذا الناظم، وقسمٌ لم يُبوَّبْ له، فمنه في باب القسم ما دخلَ عليه لامُ الجر كقولهِم: لله لأَضربَنَّك، إذا تعجبتَ من ضربِك إيّاه، وقالَ الشاعرُ:

لِلهِ يَبْقَى على الأيَّامِ ذو حَيَدٍ   بمشْمَخَرٍّ به الظيَّانُ والآَسُ

وما دخلَ عليه لامُ الجرِّ في باب النداءِ كقولهِم: يا للعجبِ، ويالِلماءِ، وقالَ الشاعرُ:

(٨٠) شرح الأشموني: ٣/٣.

(٨١) شرح الأشموني: ٣٤٤/٢.

فيالكَ من ذي حاجةٍ حِيلَ دونَها وما كلٌّ ما يهوى امرؤٌ هو نائلُه

وهذا دُلَّ عليه بحرف الجرِ، ومما يدُلُّ عليه الاستعمالُ من غيرِ أن تُغَيِّرَ له بنيةً، ولا يدلُّ عليه حرفٌ قولهُم: لله درُّكَ رجلا، ومن رجلٍ، ولله أنتَ، ولله أبوك، قالَ الأَخْنَس التَّغْلِبِيُّ:

فلله قومٌ مثلُ قومٍ عصابة إذا اختلفت عند المُلُوكِ العَصَائبُ"[٨٢].

ولم يلزم ابن عقيل هذا المنهج لأنه التزم ذكر بيت الألفية، ومن ثم الانطلاق الى الجزئيات كما مرّ سابقا في الحالة الأولى.

ومثاله عند الأشموني أيضا قوله في **أفعل التفضيل:** "وهو اسم، لدخول علامات الأسماء عليه، وهو ممتنع من الصرف، للزوم الوصفية ووزن الفعل، ولا ينصرف عن صيغة "أفعل"، إلا أن الهمزة حذفت في الأكثر من "خير" و"شر" لكثرة الاستعمال، وقد يعامل معاملتهما في ذلك "أحب"، كقوله "من البسيط":

وزادني كلفًا بالحب أن منعت وحب شيء إلى الإنسان ما منعا

وقد يستعمل "خير" و"شر" على الأصل كقراءة بعضهم "من الكذابُ

بلال خيرُ الناسِ وابن الأخير

---

[٨٢] منهج السالك: ٧٤٨.

الأشرُّ"، ونحو "من الرجز :

"شروط صوغه"

صغ من مصوغ منه للتعجب   أفعل" للتفضيل، وأب اللذ أبي"[83]

وهكذا وضع الأشموني مقدمات طويلة لأبواب كثيرة في شرحه قد تجاوزت هذه المقدمات الصفحتين أو الثلاث قبل الولوج في ألفاظ الألفية.

ثانيا: إعراب ألفاظ الألفية وبيان معاني بعض المفردات.

عني الشُرّاح الثلاثة بإعراب قسم من كلمات الألفية، لبيان المعاني التركيبية لكلمات الألفية وان اختيارهم هذه الظاهرة اللغوية له دلالة واضحة على إيمانهم بفائدة الإعراب النحوي في توضيح المعاني، وإزالة اللبس ودفع الإبهام، فضلا عن كونه فارقا بين المعاني العارضة من الفاعلية والمفعولية وغيرهما، والفارق قد يعرب بالفعل أو بالحس، والإعراب من قبيل ما يعرب بالحس أو بحاسة السمع بدليل انك إذا سمعت جملة معربة استطعت التمييز بين أركانها بألفاظ الحركات لا من طريق المعنى[84].

وقد جاءت هذه الظاهرة عند شُرّاح الألفية الثلاثة على نسب قليلة جدا حتى إنها تكاد تكون ظاهرة نادرة عندهم، فقد جاءت عند أبي حيان في ثلاثة مواضع منها قوله: "وَإِذَا كَنَّيْتَ عَنِ المَصْدَرِ الَّذِيْ سَدَّتِ الحَال مَسَدَّ خَبَرِهِ قَبْلَ ذِكْرِ الحَالِ، نَحْوُ: "ضَرْبِي زَيْدا هُوَ قَائِما"، فَأَجَازَ ذَلِكَ البَصْرِيُّونَ والكِسَائِيُّ،

---

[83] شرح الأشموني: ٢/٢٩٨-٢٩٩.

[84] نتائج التحصيل في شرح التسهيل: ١/٢٦٢.

فَـ"ضَـرْبِي" مُبْتَدَأٌ، وَ"زَيْدٌ" مَفْعُولٌ، وَ"هُوَ" مُبْتَدَأٌ، وَ"قَائِمـا" حَـالٌ سَدَّتِ الحَـالُ مَسَدَّهُ"[٨٥].

أما ابن عقيل فقد استعمل هذه الظاهرة في موضع واحد من شرحه، بقوله: "

وخُصّ بالتعليق والإلغاء ما　　　　من قبل هب والأمر هب قد ألزما

والأمر: مفعول ثانٍ مقدّم على عامله وهو ألزم، و(هب) مبتدأ ؛ لأن المقصود لفظه، و(قد ألزم) في محل رفع خبر المبتدأ، فتقدم معمول الخبر الذي هو (الأمر) على المبتدأ، والتقدير: وهب قد ألزم الأمر"[٨٦].

وقد استعمل الأشموني أسلوب إعراب أبيات الألفية في شرحه كثيرا وكانت الغاية من ورائه إبراز قدرته العلمية في المحاججة والجدل، وقد تجلت هذه الظاهرة عنده بطرقتين:

الأولى: إعراب ما هو واضح غير مشكل، والغاية منه التوضيح لا غير.

من ذلك قوله:

والثان مبتدا وذا الوصف خبر　　　　إن في سوى الإفراد طبقا استقر

---

[٨٥] منهج السالك: ٤٤١.

[٨٦] شرح ابن عقيل: ٢/٤٤-٤٥.

"وَالثَّانِي مُبْتَدا" مؤخر "وَذَا الْوَصْفُ" المذكور "خَبَرْ" عنه مقدم "إنْ فِي سِوى الإِفْرَادِ" وهو التثنية والجمع "طِبْقًا استقَر" أي: استقر الوصف مطابقا للمرفوع بعده، نحو: "أقائمان الزيدان"، و"أقائمون الزيدون" ولا يجوز أن يكون الوصف في هذه الحالة مبتدأ وما بعده فاعلا أغنى عن الخبر، إلا على لغة "أكلوني البراغيث"، فإن تطابقا في الإفراد جاز الأمران"[٨٧]

والثانية: إنه استعمل هذا الأسلوب ، لبيان ما اختلفوا في إعراب كلمة أو لفظة ما.

من ذلك قوله:

"وكونها في الوصف كافٍ إن وقع   مثنى أو جمعا سبيله اتبعْ

أي: وكون ال، أي: وجودها في الوصف كافٍ في اغتفاره وقوعه مثنى أو جمعا اتبع سبيل المثنى، وهو جمع المذكر السالم"[٨٨]؛ فقد ذهب ابن الناظم إلى أن (كونها) مصدر (كان) التامة مبتدأ أول، و(إن وقع) المصدر المؤول مبتدأ ثان وخبره (كافٍ) والمبتدأ الثاني وخبره في محل رفع خبر للمبتدأ الأول[٨٩]، فذهب الأشموني في اعرابه أن (أن وقع) مصدر مؤول في محل رفع فاعل (كافٍ) الذي هو خبر المبتدأ[٩٠].

---

[٨٧] شرح الاشموني: ١٨٢/١.

[٨٨] شرح الأشموني: ٣٥٩/٣-٣٦٠.

[٨٩] شرح ابن الناظم: ٣٨٥-٣٨٦

[٩٠] ينظر: شرح الأشموني: ٣٦٢/٣-٣٦٤.

وقد عَنِيَ أبو حيان من بين شُرّاح الألفية بتفسير مجموعة من الألفاظ الغريبة والغامضة التي وردت في نظم الألفية، والتي قد يشعر المتعلِّم بصعوبتها وهذه الألفاظ قليلة نسبيا في الشروح نتيجة ما يتمتعون به من الثقافة الأدبية الواسعة، لذلك كان مقلا في شرحه لمعرفته بالكلام العربيّ، واطلاعه الواسع بخفايا الألفاظ وتراكيبها، ممّا جعل كثيرا من الألفاظ غير مبهمة من وجهة نظره، فلم يسع إلى تفسيرها.

وقد بيّن أبو حيان دلالة بعض الألفاظ الغامضة التي جاءت في نظم الألفية، فمن ذلك بيانه لدلالة (الإضافة) في قول ابن مالك:

نُونا تَلِي الإعْرَابَ أو تَنْوِينَا ممّا تُضِيفُ احْذِفْ كَطُورِ سِينَا

"الإضافة في اللغة الإمالةُ، ومنه "ضافتِ الشَّمسُ إلى الغروب"؛ أي: مالت، و"أضفت ظهري إلى الحائط" أملته.

وتطلق في الاصطلاح على النسب، ولذلك قال سيبويه: "هذا باب الإضافة وهي النسبة، وتطلق أيضا على هذا الباب وحدُّها"[٩١].

ثالثا: أسلوب المناظرة.

اعتمد بعض الشُرّاح أسلوب الحوار في شروحهم، وهو من باب الاحتجاج العقلي الافتراضي، يؤتى فيه لشدّ انتباه القارئ وتشويق لمعرفة الإجابة، و"كأساس لتوضيح الآراء النحوية واللغوية التي يريد طرحها،

---

[٩١] منهج السالك: ٥٥٥.

أو لتفسير الآراء المختلفة، وتقريبها إلى أذهان الطلبة"[٩٢] بطريقة: فإن قال كذا... قيل له كذا.

وكان هدف هذا الأسلوب تقريب المسائل للأذهان، بافتراض الأسئلة التي ترد في الذهن ثم الإجابة عنها، أو أنَّ هذه الأسئلة كانت قد طُرِقت في الدروس بصورة إجمالية، فأراد أنْ يوضحها وأَنْ يبينها ما دامت قد وردت في نفس موضعها، وهو أسلوب قد اعتمد عليه المتأخرون من النحويين في غالب دراساتهم جرّاء تأثرهم بالمنطق والاحتجاج وعلم الكلام، وقد تفاوت الشُرّاح باستخدامهم هذا الأسلوب من حيث الكمّ، ومن حيث استعمالهم الألفاظ المعبرة عن السؤال والجواب.

فقد كان أبو حيّان مكثرا من هذا الأسلوب مستعملا ألفاظا متنوعة عند إثارته الأسئلة، ثُمَّ الإجابة عنها، نحو: **(فإن قيل: فالجواب)**[٩٣]، و**(فإن قلت: قلنا)**[٩٤]، و**(فإن قلت: قلت)**[٩٥]، و**(فإن قلت: فالجواب)**[٩٦].

أمّا ابن عقيل فلم يتخذ هذا الأسلوب في شرحه، ويبدو أنَّه لم يألفه، لذلك نراه يعرض عنه في شرحه، وقد استعمل الأشموني أسلوب الإحالة بشكل كبير ومفرط في شرحه[٩٧].

---

(٩٢) المرادي وكتابه توضيح مقاصد الألفية: ١٥٧.

(٩٣) ينظر: منهج السالك: ٥٠٧.

(٩٤) ينظر: منهج السالك: ٥٧٤.

(٩٥) ينظر: منهج السالك: ٢٩٠.

(٩٦) ينظر: منهج السالك: ٣١٣.

(٩٧) شرح الأشموني: ١٤٨/٣.

رابعا: توظيف المنطق وأصول الفقه.

وقد ظهرت هذه النزعة في بعض النحويين، فركبوا هذه الموجة، وعملوا على تلوين بحوثهم بمناهج الدين، كيما يخلعون على عملهم القدسية، التي تبرر لهم الانكفاء على علم العربية، فأفادوا كثيرا مما وصلت إليه الدراسات الدينية من تطور ونضوج، فانتهجوا أسلوب الفقهاء، والمحدثين في بحوثهم؛ لأن نجاحها في مجالها الشرعي – وهو أخطر المجالات – أغراهم إلى تبني مناهجها الجاهزة.

وقد عُرِفَ بعض الشُرّاح باعتناقهم مذهبا معينا في بيئة معينة، ولكن سرعان ما ينتقل إلى اعتناق مذهب آخر، ولاسيما عند رحيله إلى بلد آخر كابن مالك ناظم الألفية الذي عُرِفَ عنه أخذه بالمذهب المالكيّ، لغلبة مذهب مالك على أهل الأندلس حينذاك، فلمَّا رحل إلى المشرق عدل عن مذهبه إلى المذهب الشافعيّ، وتغيير مذهبه ولاشك أنّ هذا أثر من آثار الرحلة إلى الشرق(٩٨).

وهذا ما ينطبق على أبي حيّان الذي كان مالكيا أوّلَ أمره ثُمَّ اعتنق المذهب الظاهري وهو في الأندلس وكان يقول: محال أنْ يرجع عن الظاهر من عَلِقَ بذهنه(٩٩)، وعند وفادته على مصر انتقل إلى المذهب الشافعي الذي كان سائدا في مصر، وقد سئل عن ذلك فقال: بحسب البلدة(١٠٠).

---

(٩٨) ينظر: مقدمة تحقيق شرح الأشموني: ٢٣–٢٤.

(٩٩) ينظر: أبو حيان النحوي: ٧٥.

(١٠٠) ينظر: بغية الوعاة: ١/٢٣٢.

وكان لنشأة بعضهم النشأة الدينية أثر في جعلهم على دراية وعلم بالمذاهب الفقهية وأصول المنطق والفلسفة كالأشموني، وكذلك اطلاعهم على الكتب السابقة التي كانت متأثرة بالفلسفة والمنطق وأصول الفقه على اختلاف في حجم هذا التأثر الذي كان يسيرا في بدايته حتَّى وصل إلى الذروة عند النحويين المتأخرين، وهذا ما ألقى بظلاله على شُرّاح الألفية إذ كانت الثقافة الفقهية والتأثر بالمنطق رافدا من روافد تكامل الشخصيّة النحويّة.

وقد وضح هذا التأثر في استعمالهم بعض الألفاظ التي تتعلق بذلك كقولهم: **التسلسل**(١٠١)، **الاحتراز**(١٠٢)، **الدور**(١٠٣)، **التنافي**(١٠٤)، **الماهيّة**(١٠٥)، **الجوهر والعرض والجسم**(١٠٦)، **الوجود والمعدوم أو العدمي**(١٠٧)، **المتباين والمترادف والمشترك**(١٠٨)، **المحمول**(١٠٩)، **العام والخاصّ**(١١٠).

---

(١٠١) التعريفات: ٦١.

(١٠٢) التعريفات: ١٧. منهج السالك: ٣١٤. شرح ابن عقيل: ٢/٥٥. شرح الأشموني: ١/٤٢.

(١٠٣) التعريفات: ١٠٩.

(١٠٤) التعريفات: ١٧٧.

(١٠٥) التعريفات: ١٩٥. منهج السالك: ٢.

(١٠٦) التعريفات: ٨٠، ١٥٢. منهج السالك: ٢.

(١٠٧) التعريفات: ٢٤٤.مفتاح العلوم: ١٧. منهج السالك: ٢١٤. شرح الأشموني: ١/٤٤.

(١٠٨) التعريفات: ١٩٩، ٢١٣. منهج السالك: ٥١، ١٩٤. شرح الأشموني: ١/٢٥، ٣٨.

(١٠٩) التعريفات: ٢٠٥. منهج السالك: ٤٧٨-٤٧٩.

(١١٠) التعريفات: ١٠٠، ١٦٠. منهج السالك: ٨٨. شرح الأشموني: ١/٢٥.

إذ يتضح أن للمنطق أثرا واضحا عند شُرّاح الألفية، ولكن الأمر يتفاوت بينهم من حيث النسبة، فأبو حيان كان أكثرهم، ويأتي الأشموني في المرحلة الثانية، أما ابن عقيل فكان مقلا بالنسبة اليهما، ويبرز أثر المنطق عندهم أيضا من خلال أخذهم بنظرية العامل، وكثرة التعليلات والتأويلات.

خامسا: الإحالة وربط الموضوعات بعضها ببعض.

سلك الشُرّاح الثلاثة في تناول الموضوعات أسلوب الإحالات وربط الموضوعات بعضها ببعض، وهي سمة دالة على الدقة والترتيب التي يمتاز بها الشراح في معالجتهم للموضوعات النحوية، فهم لا يريدون أنْ يشحنوا ذهن القارئ بمعلومات خارجة عن الموضوع الذي هم بصدد معالجته ودراسته، وأرادوا أيضا أنْ يتخلص من الوقوع في التكرار والإعادة التي تسبب الملل عند القارئ، وهذا ممّا يشدُّ انتباه المتعلِّم ويدفع عنه الملل والسأم الذي قد يتولد، وذلك بربط الباب بما قبله بمقدمة مناسبة، أو غير ذلك ممّا يوضح كلام ابن مالك، وربط الموضوعات بعضها ببعض كان على شكلين:

الأوّل: الإشارة إلى تناول المسألة في قادم الأبواب، وقد عبّر عن ذلك أبو حيان بعبارات هي: نحو **(وسيأتي في باب)**[١١١]، و**(كما سيأتي إن شاء الله تعالى)**، و**(يأتي في موضعه)**[١١٢]، و**(سنذكر في مواضع)**، و**(سيأتي بيان ذلك)**.

---

[١١١] منهج السالك: ٢٠٨.

[١١٢] شرح ابن عقيل: ١/٥٥، وتنظر: ١/١٦، ٨٨، ٢٧٨.

ولم المح هذا الأسلوب عند الأشموني لكثرة استطراداته في الموضع الواحد.

الآخر: الإشارة إلى تناول المسألة في مواضع سابقة، وقد انفرد أبو حيان بهذا الأسلوب دون الشارحين الآخرين، وقد عبّر عن ذلك بعبارات، نحو: **(قد تكلّمنا عن ذلك في....فلا حاجة لذكرها هنا)**[١١٣]، و**(تقدّم بيان المراد، وقد سبقت المسألة بباب...)**[١١٤] وغير ذلك من العبارات[١١٥] التي لا تخرج عن هذا الإطار فلم يغب عن باله أن يذكر ما وعد به أو أن ينبه إلى وعده السابق.

أما مسألة ربط الموضوعات بعضها ببعض بوساطة المقدمات التي وضعها الشُّرّاح للموضوعات؛ فقد جاءت بنسب قليلة عمدوا فيها إلى الإشارة إلى الموضوعات السابقة قبل الانتقال إلى الموضوعات الجديدة، أو ذكره الموضوعات السابقة في الموضوعات الجديدة.

فمن ذلك قول أبي حيان في باب إعمال المصدر: "لمّا فرغ المصنف من ذكر المرفوعات، والمنصوبات، والمجرورات أخذ يذكرُ ما يعمل عمل الفعل، فبدأ بالمصدر"[١١٦].

---

(١١٣) منهج السالك: ٧١١.

(١١٤) منهج السالك: ٣٧.

(١١٥) منهج السالك: ٥٨.

(١١٦) منهج السالك: ٦٣٤.

وقول ابن عقيل في باب (كان وأخواتها): "كان على ثلاثة أقسام، أحدها: الناقصة، والثاني: التامة وقد تقدم ذكرهما، والثالث: الزائدة وهي المقصودة بهذا البيت:

وقد تزاد كان في حشو كما   كما أصح علم من تقدما"[١١٧]

أما الأشموني فلم يستعمل هذا الأسلوب في شرحه لسعة المادة العلمية فيه ولانشغاله بالتنبيهات والأبحاث الإضافية على الألفية.

سادسا: التنبيهات والمسائل والفروع والخواتيم:

استعمل أبو حيان والأشموني في شرحيهما عبارات من مثل **(تنبيهات)** و**(مسائل)** و**(فروع)**[١١٨] و**(خواتم)** و**(ملخّص)**[١١٩] وغيرها. وكانت الغاية من ذلك الإشارة إلى بعض الأمور التي يريدون إيضاحها، بعدما تناولها الناظم ولكنّه لم يستوفها، أو زيادة مجموعة من المسائل التي لها ارتباط بالباب، أو إيراد بعضها كالتّتمة لِمَا ذكره الناظم، بما سيتضح لنا ممّا نمثل به لكلِّ شارحٍ مع التفاوت فيما بينهم في استعمال بعض تلك العبارات دون بعض، أو من ناحية كثرة بعضها، وقلة بعضها الآخر.

فقد استعمل أبو حيّان كلمة **(فرع)** لإيضاح بعض الأمور التي تدخل ضمن فرعيات المسألة التي يتحدّث عنها، وقد استعمل أيضا كلمة **(ملخّص)**؛ لإيضاح بعض الأمور التي تدخل ضمن فرعيات المسألة التي

---

(١١٧) شرح ابن عقيل: ٢٨٤/١.

(١١٨) منهج السالك: ٥١٠.

(١١٩) منهج السالك: ٢٨٠.

يتحدّث عنها. فكانت هذه الملخصّات استيفاءً لجميع جوانب المسألة أو القضية النحوية، لذا أكثر من ذكر مجموعة من ملخّصات المسائل في نهاية الأبواب.

أمَّا ابن عقيل فلم يكن مستعملا مثل هذه العبارات، إذ لا نجد أثرا لهذه الكلمات في شرحه.

وكان الأشموني من أكثر الشُرّاح تنوّعا في الكلمات التي ذُكرت وهي **(تنبيه، تنبيهان، تنبيهات، خاتمة)**، وهذه العبارات سمة غالبة على منهجه، لإبراز شخصيته في الأبحاث والتنبيهات، وأمور أخرى ترتبط بالنص المروم شرحه؛ لأنَّ منهج الشارح يقوم على ذكر المتن، ثُمَّ شرح المُصنِّف نفسه للمتن، ثُمَّ يعرض الشارح ما بدا له من تنبيهات، وأبحاث، وتعليقات لإيضاح المسائل، والقضايا التي عرضها المصنف في كتابه. وسأقتصر على ذكر مثال لكلِّ حالةٍ وأُشير إلى الباقي في الهامش.

أما **التنبيهات** فقد تعددت ما بين تنبيه وتنبيهين وتنبيهات متعددة، واختلف توزّعها بين باب وآخر، كما اختلف حجمها طولا وقصرا، وكل ذلك بحسب مضمونها، فهي استدراكات وإيضاحات احتوت بعض الآراء النحوية، أو تعليلا لبعض المسائل، أو إضافة بعض الوجوه أو تلخيصا لما سبق في بعض الأبواب والفصول، وقد تخرج عن النحو الى بعض مسائل اللغة والمعارف الأخرى(١٢٠).

---

(١٢٠) ينظر: التنبيهات النحوية والصرفية عند الأشموني: ٥٥-٥٦. شرح الأشموني: ٤٤/١-٤٥، ١٤٩/٣-١٥٠، ٣/٤-٤.

وقد انماز شرح الأشموني بكثرة الخواتيم التي يذكرها في نهاية كلِّ باب خلافا للتنبيهات التي لم تلزم موضعا معيّنا، وهي ثلاث عشرة خاتمة جاءت في أبواب الابتداء وفصل تابع المنادى وباب المنادى المضاف الى ياء المتكلم وباب اعراب الفعل وباب عوامل الجزم وفصل لو وباب المقصور والممدود وباب التصريف وباب الإبدال وفصل في الإعلال بالحذف(١٢١).

سابعا: الإسهاب والاقتضاب:

تفاوت الشُرّاح في شروحهم بين الإسهاب والتوسط والاقتضاب، فكان بعضها يتسم بالإيجاز الذي قد يصل في أحيان إلى عدم فهم المراد كشرح ابن عقيل، وبعضها بالتوسط كشرح أبي حيّان وبرز الإسهاب عند الأشموني بصورة أكبر من سابقيه في التطويل.

وقد صرّح أبو حيان في مقدمة شرحه أن يكون الإيجاز والاختصار والابتعاد عن الإطالة التي لا تنفع ولا تفيد سمة منهجه في الشرح والعرض على الرغم من كثرة النقولات، لأن غايته كانت تعليمية، فضلا عن خوفه من الملل الذي سيصاب به القارئ(١٢٢)، أو أن هذا المختصر لا يليق بالتفصيل أو التعمق(١٢٣)، فحاول الالتزام بما ذكره في مقدمته من التوسط والاعتدال في الشرح؛ فغالبا ما كان يوجز الكلام في المسألة ولا يطيل فيها قائلا: **(يطول**

---

(١٢١) شرح الأشموني: ١/٨٢-٨٤.

(١٢٢) ينظر: منهج السالك: ٦٧.

(١٢٣) ينظر: منهج السالك: ٥٦٨.

ذكره)[١٢٤]، **(تفصيل واختلاف)**[١٢٥]، كقوله: "ولولا أنَّ الغرضَ في هذا الكتابِ الاختصارُ، لأوضحتُ رجوعَ كلِّ واحدٍ مِن هذه المسوغاتِ إلى هذين الوصفين اللذين هما التَّخصيصُ والتَّعميمُ"[١٢٦].

ومع كثرة عبارات أبي حيّان التي تدلُّ على الإيجاز في قسم من المواضع لم يَخْلُ شرحه من الإسهاب ولاسيما في مناقشاته وتفصيلاته في دقائق الأمور التي عزّزها بكثرة نقوله التي ينقلها عن العلماء، وكذلك اختلافاتهم في القضايا النحويّة، بل وصل ذلك الأمر إلى ذكر أشياء لا تفيد المتعلِّم بل تجعله عازفا عن دراسة النحو بسبب حشو كلّ شيء لا لشيء إلا مخافة أن يُتَهم بعدم الاطلاع، أو خلو شرحه من ذلك، ويتّضح ذلك في بعض الأبواب؛ فقد فصّل الحديث وتوسّع في الشرح ولاسيما في باب **(الحال)**[١٢٧] **وباب (حروف الجر)**[١٢٨] **وباب (الإضافة)**[١٢٩]، إذ فصّل في القضايا وطرائق جميع الاحتمالات، ونقل مناقشات النحويين، واختلافهم في القضايا والمسائل النحوية، ونقل كثيرا عَمَّن سبقه من النحويين من مؤلفاتهم وآثارهم ما يغني به الموضوع، فحاول أن يحيط بهذه الأبواب من جميع جوانبها، ولا نعلم سبب هذه الإطالة في هذه الأبواب تحديدا دونا عن غيرها في الأبواب الأخرى.

---

(١٢٤) منهج السالك: ٢٧٤.

(١٢٥) منهج السالك: ٣٢٨.

(١٢٦) منهج السالك: ١٠٣.

(١٢٧) ينظر: منهج السالك: ٣٨٣_٤٦٧.

(١٢٨) ينظر: منهج السالك: ٤٩١_٥٥٤.

(١٢٩) ينظر: منهج السالك: ٥٥٥_٦٢٤.

أما ابن عقيل فكان شرحه موجزا ولم يبيّن سبب إيجازه، لأن الشرح يفتقر إلى مقدمة تبيّن ذلك، وقد يكون الداعي إلى هذا الإيجاز التزامه السمة التعليمية وبعده عن التعليل والتقدير الذي لا يعود بالفائدة على المتعلّم، فلم يخلُ شرحه أحيانا من الإيجاز المخل الذي يقتضي مراجعة غيره للوقوف على ما يريد الإفصاح عنه(١٣٠).

ويعد الأشموني من الشُرّاح المسهبين، على الرغم من تصريحه بأن شرحه "خلا من الإفراط الممل، وعلا عن التفريط المخل"(١٣١) غير أن شرحه مليء بالاعتراضات والمناقشات والردود على الشُرّاح الآخرين كالناظم وابنه وأبي حيّان والمرادي وابن هشام وغيرهم، فقد أخذ على عاتقه من أول شرحه إلى آخره التعقيب على كلام ابن مالك، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وعقّب عليه فيها، فكل هذا جعل من شرحه مطوّلا جدا.

ومن هنا لم يكن الدكتور شوقي ضيف مصيبا حينما عدَّ مجموعة الشروح والمختصرات والحواشي والتعليقات محاولات من التيسير(١٣٢)، فهذا إن صدق على بعضها فلا يصدق عليها كلّها ومنها شرح أبي حيّان والأشموني، على أنَّ هذين الشرحين انمازا بأمور مهمة كنقلهما نصوصٍ قلّما نسمع بأصحابها.

---

(١٣٠) تنظر أبواب: التنازع: ٢/٢٣٧، والاشتغال: ٢/٢٤١، والتمييز: ٢/٤٣٢، والحال: ٢/٣٧٨، والإغراء والتحذير: ٤/١٦٥ والاختصاص: ٤/٢٦٧.

(١٣١) شرح الأشموني: ٦.

(١٣٢) ينظر: تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا: ١٧٠.

نتائج البحث:

١. يعدَّ ابن مالك من أشهر النحاة الذين عرفهم تاريخ النحو العربي، ومن أبرز نحاة القرن السابع الهجري، إذ يعد ظهوره بداية مرحلة جديدة في تاريخ النحو العربي.

٢. ترجع أهمية ابن مالك إلى أنه قام بأكبر عملية تصفية تمت في تاريخ هذا النحو، وخطا به الخطوة الأخيرة التي استقر بعدها في صورته الثابتة إلى اليوم، وقد ترك هذا العالم الجليل تراثا ضخما يبلغ نحوا من خمسين مصنفا في النحو والصرف واللغة والقراءات، وقد صاغ هذه المؤلفات بلغة النثر ولغة الشعر.

٣. كان لألفية ابن مالك الموسومة بـ(الخُلاصَة) منزلة كبيرة بين كتب النحو العربي، لكونها قد شملت جميع أبواب النحو بلغة ميّسرة بعيدة عن الغموض والالتواء، فضلا عن خلوها من التعليلات والاحتجاجات، وهي خُلاصَة دقيقة لأهم قواعد النحو العربي.

٤. لم يعن أبو حيان بشرح مقدمة ابن مالك في شرحه، وإنما تجاهل أبيات المقدمة في شرحه، والأمر نفسه عند ابن عقيل فلم يبدأ شرحه بمقدمته يبيّن فيها معالم منهجه وسبب تأليفه الكتاب وتاريخ التأليف، بل ساق أبيات خطبة الألفية، ثم أخذ في شرح أبيات باب الكلام وما يتألف منه، فلم تكن له مقدمة ولعل السبب في ذلك هو غاية وضع الكتاب التعليمية التي جعلته يختصر تلك الأمور وغيرها لئلا يخرج عن غايته. وقد استثنى من الشرح أبيات الخطبة السبعة وأبيات الخاتمة الأربعة،

فقصر شرحه على المتن بدءا من باب الكلام وما يتألف منه، وانتهاءً بأبيات باب الإدغام[١٣٣].

٥. لم يقتصر الأشموني على شرح الألفية فقط بل شرح أبيات المقدمة والخاتمة شرحا تفصيليا دقيقا.

٦. سار شُرّاح الألفية على المنهج التنظيمي والترتيب الذي وضعه ابن مالك، وهذا أمرٌ منطقي، لأنَّهم شرّاح لكتابه، ولكن أبا حيان زاد على الألفية بابا آخر بعد باب التمييز هو (باب الجمل التي لها محل من الإعراب والجمل التي لا محل لها من الإعراب).

---

[١٣٣] ينظر: شروح ألفية ابن مالك مناهجها والخلاف النحوي فيها: ١٢٣.

المصادر :

- القرآن الكريم.

١. ابن معط وآراؤه النحوية: الدكتور محمود محمد الطناحي، القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة، ط١، ١٩٧٢م.

٢. أبو حيان النحوي: خديجة الحديثي، بغداد، مكتبة النهضة، ط١، ١٩٦٦.

٣. إعراب الجمل وأشباه الجمل: فخر الدين قباوة، ط٣، دار الآفاق الجديدة– بيروت، ١٩٨١م.

٤. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: للسيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر بيروت، ط٢، ١٩٧٩.

٥. تاريخ النحو وأشهر النحاة: سيد محمد طنطاوي، المكتبة الأميرية، القاهرة، ط٣، ١٩٤٢م.

٦. التعريفات: للسيد الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت٨١٦هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

٧. تعليق الفرائد: السيوطي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ، ط١، سنة ١٩٧٩م

٨. التنبيهات النحوية والصرفية عند الأشموني، أطروحة دكتوراه: مريم النعيم سليمان، كلية اللغة العربية_جامعة أم درمان، ٢٠٠٧م.

٩. تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٠.

١٠.حاشية الصبان على شرح الأشموني: تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

١١.الدرس النحوي في الأندلس: الدكتور أيمن هشام ياسين، الهيأة السورية العامة للكتاب، دمشق، ط١، ٢٠١٤م.

١٢.دور الشعر التعليمي في تطور الفكر التربوي العربي: ماهر إسماعيل الجعفري، ومحمد عبدالعزيز: مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الرابع والأربعون، الجزء الرابع، سنة ١٩٩٧م.

١٣.شرح ابن الناظم: تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

١٤.شرح ابن عقيل: تح: محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة ط٢٠، ١٩٨٠م.

١٥.شرح الأشموني المسمى منهج السالك إلى ألفية ابن مالك (ت٩٢٦هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٥٥.

١٦.شروح ألفية ابن مالك: الدكتور محمود نجيب، دار الفارابي، سوريا– حلب، ط١، ٢٠٠٧م.

١٧.شروح ألفية ابن مالك المطبوعة: أطروحة دكتوراه: عبد الرضا جواد حيال، كلية التربية ابن رشد_ جامعة بغداد، ١٩٩٩م.

١٨.شـروح ألفيـة ابـن مالـك مناهجهـا والخـلاف النحـوي فيهـا: أطروحـة دكتوراه: محمود نجيب، كلية الآداب والعلون الإنسانية_جامعة حلب، ١٩٩٩م.

١٩.طبقات الشافعية:

٢٠.في حركة تيسير النحو وتجديده في العصر الحديث: الدكتور نعمة رحـيم العـزاوي، ط١، دار الشـؤون الثقافيـة العامـة، بغـداد- العـراق، ١٩٩٥م.

٢١.المرادي وكتابه توضيح مقاصد الألفية: الدكتور علي عبود الساهي، ط١، مطبعة الجامعة، بغداد – العراق، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٢٢.مفتـاح العلـوم: السـكاكي (ت٦٢٦هـ)، دار احيـاء الكتـب العربيـة، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة – مصر، د.ت.

٢٣.المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الشافية: الشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، تـح: محمـد إبـراهيم البنـا، معهـد البحـوث وإحيـاء التـراث، جامعـة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ٢٠٠٧م.

٢٤.منـاهج التـأليف النحـوي: الـدكتور كـريم حسـين ناصـح، دار عمـار، الاردن، ط١، ٢٠٠٧م.

٢٥.منهج ابن مالك في وضع الألفية: الدكتور عزمي محمد عيال سلمان، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع ٤٠، ٢٠٠٨م.

٢٦.منهج السالك: لأبي حيان النحوي، طبعة بغداد – العراق ٢٠١٥م.

٢٧.نتائج التحصيل في شرح التسهيل: للدلائي، تح: الدكتور مصطفى الصادق العربي، منشورات جامعة قار يونس، ط١، ٢٠٠٤م.

٢٨.النحو العربي مذاهبه وتيسيره، الدكتور نعمة رحيم العزاوي الدكتور عايد كريم الحريزي، ط١، مطابع جامعة بغداد، بغداد– العراق، ١٩٩٥م

تركيب الاستفهام بين العربية والانكليزية
دراسة تقابلية بحسب نحو العربية التوليدي

المدريس الدكتور

حسين كاظم زنبور العابدي

كليّة الآداب/ الجامعة المستنصريّة

الملخص :

١. **إن جملا من مثل: (أ قائمٌ زيدٌ)، و(هل مجتهدٌ عمرٌ)، و(أ حذِرٌ خالدٌ) كلها جمل محولة عن أصل: (أ زيدٌ قائمٌ)، و(هل عمرٌ مجتهدٌ)، و (أخالدٌ حذِرٌ) على الترتيب.**

٢ـ **رأى البحث أن الجملة الكبرى قد تتألف من مصراع واحد أو أكثر، ونتجنب بذلك خلطها بالكلام، ومن أنها على أنواع (جملة الشرط وجملة القسم وجملة الشرط ... إلخ)**

بل الذي يراه البحث أن الجملة تساوي الكلام غير أن الكلام منطوق وأن الجملة مكتوبة. فالجملة العربية قد تتألف من مصراع مؤقت واحد . أي: يحوي فعلا له زمن أو ما يقوم مقامه كاسم الفاعل أو اسم المفعول أو غيره مما يعمل عمل الفعل . نحو:

(قامَ زيدٌ، ويقومُ زيدٌ، وقامَ الزيدان، وقام الزيدون، وأ قائمٌ الزيدان، وزيدٌ قام، الزيدان قاما، والزيدون قاموا... الخ)، أو تتألف من مصراعين، ونحن . بهذا ـ لا نقول إننا نبتدع جملة جديدة مركبة من

جملتين، بل الذي يراه البحث أن الجملة الكبرى قد تتألف من مصراع واحد أو أكثر، ولا نضطر إلى ما ذهب إليه ابن هشام من أن الكلام أخص من الجملة

٣. إن النحو التوليدي لا يرى أن (هل) في (هل زيدٌ قامَ) قد دخلت على الفعل، بل دخلت على ما هو أعم من الفعل (أعني مركب الإسناد).

المقدمة :

الاستفهام عن الشيء يستلزم تنبيه المخاطب عليه، وتوجيه ذهنه إليه، وقد زيدت الهمزة والسين والتاء في الفعل الثلاثي فَهِمَ لمعنى الطلب؛ إذ يقال استغفَر أي طلب المغفرة، واستقال أي طلب الإقالة، واستفهَم أي طلب الفهم؛ فالاستفهام يعني: طلب الفَهم؛ وقد ذكروا في تعريفه: الاستفهام إنما هو طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل باستعمال أدوات خاصة، فالجملة الخبرية التي تدخل عليها هذه الأدوات تتألف من المسند إليه والمسند وأحد المتعلقات، وبإسناد هذه المركبات وتعليق بعضها ببعض تتكون الجملة التي تفيد حكمًا معينًا.

نظرة في البنى التركيبية

إذا تأملنا البنى التركيبية للجمل، ظهر لنا على نحو جلي مستويان لغويان متداخلان إلى حد ما، غير أنه يجب علينا أن نضع حدا فاصلا بينهما. المستوى الأول يتمثل في وظيفة العناصر التي تتألف منها الجمل من مثل الفاعلية، والمفعولية في الجملة. فمثل هذه العلاقات تعرف بالعلاقات

النحويـة، وقـد يطلـق عليــها كـذلك العــلاقات التركيبيـــة، وهـذه العلاقـات لا تقتصر على الفـاعلية و المفعولية في مثل I Saw John في الإنكليزية، وضــربَ زيـدٌ عمـرا فــي العــربية، بـل تتعــدهما إلــى التوابـــع الأخـرى مـن مثل الوصفية في مثل tall tree والحاليــة في مثل suffer mentally والإضـافة فـي مثـل John's book فـي الانكليـزية وفـي مثـل نظائرها مـن العربيـة جـاء رجـلٌ ضـاحكٌ، وجـاء زيـدٌ ضـاحكا، وجـاء غـلامُ هنـدٍ. وأمـا المستوى الثـاني، فيتمثـل فـي نظـم هذه المركبـات، أو العناصـر وترتيبها مـن حيـث التقـديم والتـأخير والتوسط أو الحـذف والإضـمار، بتعليـق بعـض الكلـم ببعض في جمل تامة المعنى ، ففي جملة من مثل The student took a pen from the bag. لا يمكن التحدث عن مجرد علاقة تجاور بين كلمـات فقـط، إذ إننـا لا نتحـدث عـن علاقـة مباشـرة بـين الفعـل took وأداة التنكيـر a ، أو بـين حـرف الجـر from وأداة التعريـف the. فـأداة التنكيـر a تنكر الاسم book في حال أن الاسم وقـع فـي موضـع المفعول للفعل took، غيـر أننـا نـرى أداة التعريـف the تعرف الاسم bag فـي حـال أن الاسم وقـع في موضـع آخر غير الموضـع السابق المتمثل بموضـع المجرور بحرف الجر from، فالعلاقة بين الفعل والاسم بعده، إنما هي علاقة قائمة على أساس المكونــات constituents لا علــى أســاس مجـرد تجـاور كلمــات words. وفي العربية فإن قولنا: ضربَ زيدٌ الغلامَ نجد علاقة المكونات واضحة جلية. فالغلام مكون يتألف من "ال" التعريف والاسم "غلام"، وهذا المكون الذي وقـع في موضـع المفعـول قد يحل محله، أو يسد مسدّه مكون آخر مؤلف من اسم علم من مثل عمرو في قولنـا: ضربَ زيدٌ عمرا، أو المصدر المؤول كما في

قولنا: عرَفتُ أنَّ زيدا قائمٌ؛ فالمكون "أنَّ وما بعدها" بتقدير مصدر في موضع المفعول كما تقول عرَفتُ قيامَ زيدٍ. نخلص من ذلك إلى أن العلاقة بين الكلمات في الجملة سواء في الانكليزية أو العربية إنما هي علاقة مكونات لا علاقة كلمات كما تبدو لأول وهلة؛ فموضع الفاعل قد يحل فيه مكون على هيأة مفرد نكرة كما في قولنا جاء رجلٌ، أو مفرد معرفة كما في قولنا جاء زيدٌ، أو اسم محكي (لقب) على هيأة مضاف ومضاف إليه في مثل قولنا: جاء أنفُ الناقةِ ،أو اسم على هيأة جملة محكية كما في قولنا: جاء تأبّطَ شرًا، أو مصدر مؤول كما في قولنا يعجبني أنْ تقومَ بتقدير يعجبني قيامُك، فكل هذه المكونات باختلاف أنواعها يمكن أن تقع في موضع الفاعل أو غيره كما مثل، وسنأتي على ذلك في موضعه عند الحديث عن الاستفهام عنها إن شاء الله تعالى.

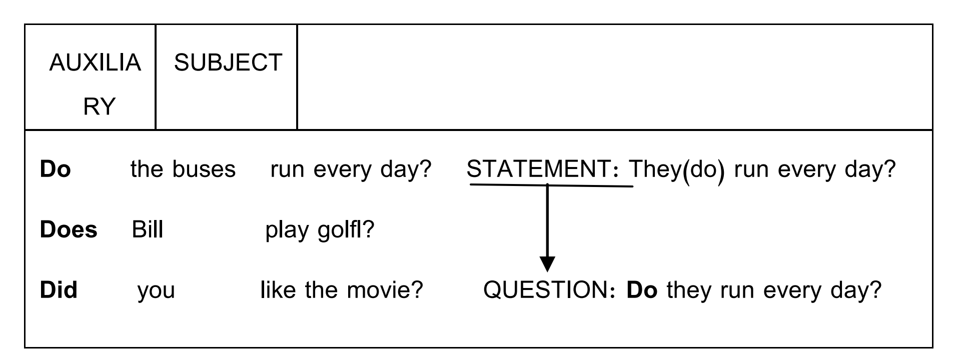
الاستفهام في الإنكليزية

هناك نوعان رئيسان من الاستفهام في الانكليزية، يتمثل الأول بالاستفهام المجاب عنه بنعم أو لا Yes, no questions ، وهو ما يعرف بالأسئلة الذيلية. وأما الثاني، فيتمثل باستعمال أدوات الاستفهام أو ما يعرف بـ Wh – questions. وللنوع الأول صيغة خاصة به، تتمثل بأن جملته تبدأ بأحد أفعال الكينونة (المساعدة) to be، وهي am ، is ،are أو الفعل have (بمعنى يملك)، أو أحد الأفعال الموجِّهه Modal verbs، وفي هذه الحالات يقدم الفعل المساعد في الجملة الخبرية Statement قبل فاعلها لتكوين جملة الاستفهام، ويمكن التمثيل له بالجدول الآتي:

AUXILIARY	SUBJECT		
Is	it	raining?	STATEMENT: It is raining.
Has	John	got a book?	
Can	Mary	drive?	
			QUESTION: **IS** it raining?

كذلك يقدّم الفعل be إذا كان فعلا رئيسا في الجملة إلى بداية الجملة كما في **Is** it cold out there? و **Are** you ready? و **Was** it hard?. أما إذا كان في الجملة أكثر من فعل مساعد، فالفعل المساعد المتقدم في الجملة يقدم قبل الفاعل في مثل: **Have** you been playing? و **Could** we have done better?

وأما إذا كان زمن الجملة هو المضارع البسيط أو الماضي البسيط، فعندها سنستعمل إحدى صيغ الفعل do كما يتضح في الجدول الآتي:



AUXILIARY	SUBJECT		
Do	the buses	run every day?	STATEMENT: They(do) run every day?
Does	Bill	play golfl?	
Did	you	like the movie?	QUESTION: **Do** they run every day?

نلاحظ أن الجملة الاستفهامية في الانكليزية لا تبدأ بفعل من الأفعال المعجمية الاعتيادية من مثل run، أو play، أو like، فلا تقول على

سبيـل المثـال: ~~Plays Bill golf?~~ أو ~~Liked you the movie?~~ ،
كذلك فإن الفعل الواقع بعد فاعل الجملة الاستفهامية يكون خاليا من s– في المضارع، ومن ed– في الماضـي فلا تقول: ~~Does Bill plays golf?~~ أو ~~Did you liked the movie?~~.

أمـا النـوع الثـاني مـن الاسـتفهام، فتسـتعمل فيـه أدوات خاصـة، ويعـرف فـي الانكليزيـة بـ Wh–questions، وهـو مـن ناحيـة الصـياغة يبـدأ بـأداة الاستفهام، فالفعل المساعد، ومن ثم يأتي فاعل الجملـة، والفعل المسـاعد كما ذكرنـا سـابقا. ويتمثل باستعمال إحدى صـيغ الفعل to be أو صـيغة الفعل have أو أحد الأفعال الموجّه من مثل can.

UESTION WORD	AUXILIARY	SUBJECT	
What	is	Mary	doing?
Where	have	you	put the pen?
When	can	we	stop finally?

ويقدّم الفعل be إذا كـان فعـلا رئيسـا فـي الجملـة إلـى بدايـة الجملـة في حال الاستفهام كما في Where **is** Mary?، وHow **are** you? ، وWhat **was** that noise? . كذلك إذا كانت الجملـة تحتوي علـى أكثـر مـن فعـل مسـاعد ، فالفعـل المسـاعد المتقـدم يقـدم قبـل الفاعـل ففـي مثل.The solders **have been** hiding يمكننا أن نقول في الاستفهام عن المكـان: Where **have** the solders been hiding?،

وكذلك يمكن أن نستفهم عن المفعول في مثل I **should have** said something. باستعمال الأداة what بقولنا: What **should** I have said?

وأما إذا كان زمن الجملة هو المضارع البسيط أو الماضي البسيط، فنستعمل إحدى صيغ الفعل do.

QUESTION WORD	AUXILIARY	SUBJECT	
Where	do	students	study?
How	does	the machine	work ?
What	did	the leader	say?

كذلك، فإنّنا نلاحظ أن الجملة الاستفهامية لا تبدأ بفعل من الأفعال المعجمية الاعتيادية من مثل study، أو work، أو say، فلا تقول على سبيل المثال: ~~**Where study** students~~، أو ~~**How** works the machine?~~، كذلك، فإن الفعل الواقع بعد فاعل الجملة الاستفهامية يكون خاليا من s– في المضارع، أو ed– في الماضي، فلا تقول في الاستفهام: ~~**How** does the machine works?~~، ولا: ~~**What** did the leader said?~~

وأما فيما يتعلق باستعمال أدوات الاستفهام: who، و whose، و which، و what، فيمكن تلخيصها بالآتي:

who أداة استفهام بمعنى من , تستعمل للسؤال عن هوية الشخص، وتستعمل للسؤال عن الفاعل والمفعول في مثل:

Who invented that ? .

Who were his friends? .

Who is Noam Chomsky? .

Who did she marry? .

وتستعمل في الانجليزية الرسمية whom أحيانا بدلا من who للسؤال عن المفعول به في مثل:

Whom shall we meet? .

ويمكن أن تكون who ، أو whom مفعولا به لحرف الجر، حيث إن حرف الجر يوضع في بداية السؤال ، وقبل who أو whom كما في:

To **whom** is a lawyer responsible? .

وأماwhose فهي أداة استفهام بمعنى لمن، وتستخدم للسؤال عن الملكية في مثل:

Whose solders did you believe they were? .

Whose dead body was it? .

Whose is that? .

وأما which، فهي أداة استفهام بمعنى (أي) وتستخدم للاختيار بين أشياء متعددة في مثل:

. **Which** is the best hotel?

. **Which** doctor do you want to see ?

ويمكن أن تكون which مفعولا به لحرف الجر، حيث إن حرف الجر في هذه المرة يوضع في نهاية السؤال كما في:

. **Which** country did you come from?

. **Which** club did Liverpool play with

وأما what فهي أداة استفهام بمعنى (ماذا أو ما) حيث تستعمل للسؤال عن المفعول به غير العاقل، وكذلك تستخدم للسؤال عن أشياء متنوعة كما في:

. **What** is wrong with his father ?

. **What** time is your plane arriving?

. **What** do you think about the Palestinian final solution?

وتستعمل what كذلك بوصفها مفعولا به لحرف الجر، ويكون موضع حرف الجر في نهاية السؤال كما في:

. **What** are you interested in ?

. **What** did he die of ?

. **What** do you want to talk about ?

وتستخدم what للسؤال عن شعور الشخص، أو كيف يبدو الشخص كما في:

- **How** are you feeling tody ?

- **How** do I look ?- Very nice

وتستخدم how بمعان مختلفة عندما يتم دمجها بكلمات أخرى منها:

فتستخدم how many بمعنى (كم) للسؤال عن العدد (مع الأسماء المعدودة) في مثل:

. **How many** students are there?

أو بمعنى (كم) للسؤال عن الكمية (مع الأسماء غير المعدودة) في مثل:

. **How much** money have you been devoting?

وقد تستخدم كل واحدة منهن من دون أن تكون متبوعة باسم سواء أ كان مع المعدود أم غير المعدود في مثل:

. **How many** did you find?

. **How much** did he tell you?

وتستخدم how long بمعنى (كم المدة) للسؤال عن الزمن في مثل:

. **How long** have you remained in EU?

ويقل أن يستعمل بمعنى (كم الطول) للسؤال عن المسافة كما في:

How long is that river? .

وتستخدم How far بمعنى (كم البعد) للسؤال عن البعد أو المسافة في مثل:

How far is it to the nearest hospital? .

وكذلك يمكن دمج الصفات أو الظروف مع How للسؤال عن حجم الأشياء وكبرها أو عن الأعمار أو طول الأشياء أو عرضها أو ارتفاعها او عدد المرات في مثل:

How big is your house? .

How old is your youngest child? .

How tall is that building? .

How wide is this field? .

How high is this bridge .

How often did you visit your mother? .

الاستفهام وأدواته في العربية

إذا زيدت الهمزة والسين والتاء في الفعل الثلاثي أفادت هذه الزيادة معنى الطلب؛ يقال: استزاد أي طلب الزيادة، واستغفر أي طلب المغفرة، واستفهم أي طلب الفهم؛ فالاستفهام يعني: طلب الفهم(١)؛ ولذا قالوا في تعريفه: الاستفهام هو طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل بأدوات خاصة، وهذه الأدوات هي: الهمزة وهل ومَن وما وكيف وكم وأين وأيان ومتى وأنى وأي[٢]، فالجملة الخبرية التي تدخل عليها هذه الأدوات تتكون من أجزاء تتمثل بالمسند والمسند إليه وربما بمتعلق آخر، وبضم هذه الأجزاء وإسناد بعضها إلى بعض تتكون الجملة. وقد ذهب الباحث إلى أن الأصل في الجملة العربية أن تكون اسمية والجملة الفعلية إنما هي مولّدة منها [٣]

أقسام الجملة في نحو العربية التوليدي

تتألف الجملة العربية ((من المسند إليه والمسند، ويقع تحت المسند إليه المركب الاسمي (م. سم)، ويقع تحت المسند مركب الإسناد (م. إسناد) إذا كانت الجملة تحتوي على فعل رئيسي، أو ركن الإسناد (ر. إسناد) إذا كانت الجملة لا تحتوي على فعل رئيسي فضلا عن المركبات الأخرى من مثل

---

[١] ينظر: الموجز في قواعد اللغة العربية: ٦١ .

[٢] ينظر: مفتاح العلوم ٣٠٨/١.

[٣] ينظر نظرية تشومسكي اللغوية ونقدها في اللسانيات الحديثة: ٥٧ .

مركب الظرف (م. ظرف)، ومركب الجر (م. جر) المستعملين بتلك الوظيفة))[٤]

إذ إن ((المركب الاسمي (م. سم) يشمل الأسماء النكرات، والمعرف بالأداة أو الإضافة، والعلم، وكذلك اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، والمصدر، واسم الفعل، والإشاريات، والموصولات، والظروف؛ أي كل ما يصلح أن يكون مسندا إليه في الجملة الاسمية المتعارف عليها، ويشمل مركب الإسناد (م. إسناد) الفعل، واسم الفاعل ، واسم المفعول، والصفة المشبهة، والمصدر، واسم الفعل (في حال إعمالهم)، وكل ما يصلح أن يكون مسندا في الجملة الفعلية المتعارف عليها. فيما يشمل ركن الإسناد: المركب الاسمي، وكذلك اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، والمصدر، واسم الفعل (في حال عدم إعمالهم) والظرف، ومركب الجر وكل ما يصلح أن يقع في موقع المسند))[٥]

فبدلا من الحديث عن جملة (يضحكُ زيدٌ) من أنها جملة فعلية نقول هذه جملة اسمية تتكون من مركب اسمي (زيدٌ) ومركب إسناد (م. إسناد) يتمثل في جملة (يضحكُ)، وقد نقل المركب الاسمي (زيدٌ) من الصدارة إلى ما بعد مركب الإسناد (يضحكُ)، وكذلك الحال لو كان مركب الإسناد وصفا (اسم فاعل، أو اسم مفعول، أو صفة مشبهه، أو غيرها من مركبات الوصف التي

---

[٤] ينظر: A syntactic x– bar approach to fronting and postponing in English and Arabic:120

[٥] أقسام الكلام بين العربية والإنكليزية – دراسة تقابلية بحسب النحو التوليدي.

قد تعمل عمل الفعل إذا توافرت لها شروط العمل)، وليكن هذا النوع أعني (مركب اسمي + مركب إسناد) يمثل النوع الأول من التراكيب

فنقول إن جملاً من مثل: قائمٌ زيدٌ، ومجتهدٌ عمرٌ، وحذِرٌ خالدٌ كلها جمل محولة عن أصل زيدٌ قائمٌ، وعمرٌ مجتهدٌ، و خالدٌ حذِرٌ. فنعرب (يضحكُ زيدٌ) على النحو الآتي:

يضحكُ: مركب إسناد (مؤلف من فعل لازم مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة)

زيدٌ: مركب اسمي محول من مبتدأ في الأصل (يعرب فاعل وهو في الأصل مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة) وأصل الجملة (زيدٌ يضحكُ) وتم هذا التحويل، لغرض بلاغي واضح (التجدد والحدوث).

وكذلك نعرب عمرٌ مجتهدٌ، وحذِرٌ خالدٌ، فإن قلت: لماذا لا يُعرب زيد في (يضحكُ زيدٌ) مبتدأ مؤخرا، والجواب أن نظرة النحاة إلى الكلام منذ البدء مبنية على إسناد شيء إلى شيء فالمسند إليه جعلوه فاعلا مرة، ثم أول المتأخرون كلام المتقدمين من أن هذا لا يكون إلا في الجملة الفعلية، وجعلوا المسند إليه مرةً أخرى مبتدأ، فقالوا عن ذلك الثاني (الذي هو المسند) بأنه الخبر، وأولوه من أن ذلك لا يكون إلا في الجملة الفعلية، ولكنهم لم ينظروا إلى هذا المسند الذي قد يكون من الأفعال. فسيبويه . رحمه الله تعالى . لم يقسم الجملة إلى اسمية فعلية . كما يتوهم بعضهم . فقد نقل عن الخليل أنه يُستقبح أن يقال: (قائمٌ زيدٌ) فيعرب قائم مبتدأ والقائل يريد منه معنى : (يقومُ زيدٌ)، لأنه لا يعرف الإسناد والحال هذه؛ فـ(زيد) يمكن أن تجعله مسندا إليه بوصفه الفاعل لقائم، وأما إذا لم يرد القائل معنى (يقومُ زيدٌ) فلا بد

من بناء الكلام على إسناد القيام إلى زيد بوصفه هو المبتدأ(المسند إليه) وبخلافه لا يمكن تمييز المسند إليه لأن كل من قائم (على رأي من أجاز الابتداء بالنكرة) وزيد يصلح أن يكون مسندا إليه، ومن هنا وضع النحاة شرط الابتداء بالمعرف أو بالمقيد بصلاحية الابتداء به. وإليك ما قاله سيبويه عن ذلك وما نقله عن الخليل ((اعلم أن المبتدأ لابد له من أن يكون المبني عليه شيئا هو هو، أو يكون في مكان أو زمان. وهذه الثلاثة يُذكر كل واحدٍ منها بعد ما يُبتدأ. فأما الذي يُبنى عليه شيء هو هو فإن المبنى عليه يرتفع به كما ارتفع هو بالابتداء، وذلك قولك: عبد الله منطلق؛ ارتفع عبد الله، لأنه ذُكر ليُبنى عليه المنطلق، وارتفع المنطلق لأن المبنى على المبتدأ بمنزلته.

وزعم الخليل ـ رحمه الله ـ أنه يستقبح أن يقول قائم زيد، وذاك إذا لم تجعل قائما مقدَّما مبنيا على المبتدأ، كما تؤخر وتقدم فتقول: ضرب زيدا عمرٌو، وعمرٌو على ضرب مرتفع. وكان الحد أن يكون مقدَّما ويكون (زيد) مؤخرا. وكذلك هذا الحد فيه أن يكون الابتداء فيه مقدَّما. وهذا عربي جيد. وذلك قولك تميميٌّ أنا، ومَشنوءٌ مَن يشنَؤك، ورجلٌ عبدُ الله، وخزٌّ صُفّتك.

فإذا لم يريدوا هذا المعنى وأرادوا أن يجعلوه فعلا كقوله يقوم زيدٌ وقام زيد قبح، لأنه اسم. وإنما حسن عندهم أن يجرى مجرى الفعل إذا كان صفة جرى على موصوف أو جرى على اسم قد عمل فيه؛ كما أنه لا يكون مفعولا في ضارب حتى يكون محمولا على غيره فتقول: هذا ضاربٌ زيدا وأنا ضاربٌ زيدا، ولا يكون ضاربٌ زيدا على ضربتُ زيدا وضربت عمرا)).

وإذا ما عدنا إلى الحديث عن الأصل الاسمي للجملة في العربية وهو النوع الثاني من التراكيب، أعني (مركب اسمي + ركن إسناد).

فما ركن الإسناد؟ وبماذا يختلف عن مركب الإسناد؟ إن ركن الإسناد أعني به المركب الاسمي الذي يمكن أن يقع مسندا، ولكنه غير مؤقت بمركب زمن نحوي . لا يعمل عمل الفعل – (فعندما نقول: (زيدٌ أسدٌ) إنما ذلك هو مصراع جملي[٦] غير مؤقت أسندت فيه كلمة أسد إلى كلمة عمر، يقول سيبويه : ((واعلم أنَّ بعض الكلام أثقلُ من بعض، فالأفعالُ أثقلُ من الأسماء لأنّ الأسماء هي الأُولَى،... ألا تَرى أنّ الفعل لا بدّ له من الاسم وإلاّ لم يكن كلاما، والاسمُ قد يَستغني عن الفعل، تقول: اللهُ إلهُنا، وعبدُ الله أخونا))[٧]

فتركيب من مثل (اللهُ إلهُنا، وعبدُ الله أخونا) إنما هو عبارة عن مصراع جملي غير مؤقت بمركب زمن، فهو على قول سيبويه اسم مستغنٍ عن الفعل، وقد تعرض النحاة المتقدمون لما حدث من خلط بين الكلام والجملة

---

[٦] المصراع الجملي مصطلح وضعته ليقابل ما يعرف بـ clause في الإنكليزية، فالجملة قد تتضمن في داخلها جملا أخرى فجملة : (أنتَ ظالمٌ إن فعلت) فيها جملة (أنت ظالم) الاسمية وجملة الشرط (إن فعلت) وجملة جواب الشرط المحذوفة (فأنت ظالم)، ولدفع تداخل مصطلح الجملة العام بأمثال ما يعرف بجملة الشرط وجملة الجواب نقول: إن جملة أنت ظالم إن فعلت تحتوي على ثلاثة مصاريع جملية الأول: أنت ظالم، والثاني: إن فعلت، والثالث: محذوف تقديره فأنت ظالم. وعليه فالجملة العربية قد تتكون من مصراع واحد من مثل: قام زيدٌ ومثل: زيدٌ قائمٌ أو أكثر من مثل جملة القسم وجملة الشرط. وهكذا فكل جملة هي مصراع جملي وليس كل مصراع جملي فقولنا: (قام زيدٌ) جملة ومصراع جملي لكن قولنا: (إن قام زيدٌ) مصراع لا جملة لأنه لا يقوم بمعنى في نفسة .

[٧] الكتاب ١/٢٠

غير أنهم أبقوا على اصطلاح الجملة، ليعم الكلام سواء أفاد، أو لم يفد يقول ابن هشام: ((الكلام هو القول المفيد بالقصد وَالْمراد بالمفيد ما دلّ على معنى يحسن السكوت عليه، والجملة عبارة عن الْفعل وفاعله كـ(قَامَ زيدٌ) والمبتدأ وَخبره كـ(زيدٌ قائمٌ) وما كان بمنزلة أَحدهما نحو: (ضُرِبَ اللصُّ) و (أ قائمٌ الزيدان) و(كان زيد قَائما) و(ظننته قَائما) وبهذا يظهر لك أَنَّهما ليسا مترادفين كما يتوهمه كثير من النَّاس، وهو ظاهر قول صاحب الْمفصل فإِنَّه بعد أَن فرغ من حد الكلام قال ويسمى جملة والصَّواب أَنَّها أَعمُّ منه، إِذ شرطه الإفادة بخلافها، ولهذا تسمعهم يقولون جملة الشرط جملة الجواب جملة الصلة وكل ذلك ليس مفيدا فليس بكلام))[٨]. غير أننا رأينا ابن هشام في غير المغني يخشى الابتداع حين صرح بأن ((الْجملة تبقى في إطار ما اصطلحَ جمهورهم عليه من كونها مركبة من كلمتين أسندت إِحْداهما إِلى الْأُخرى فلا نضطر إلى مخالفتهم بابتداع جملة جديدة مركبة من جملتين تركيبا ليس شأْنه شأْن الْجملة الْكبرى لأَنهما في الأَصل جملتان مستقلتان لكل منهما علاقة إسنادية بين ركنيها))[٩]

وعليه، فنحن لا نقول إننا نبتدع جملة جديدة مركبة من جملتين، بل الذي يراه البحث أن الجملة الكبرى قد تتألف من مصراع واحد أو أكثر، ونتجنب بذلك خلطها بالكلام، ولا نضطر إلى ما ذهب إليه ابن هشام من أن الكلام أخصُّ من الجملة، ومن أنها على أنواع (جملة الشرط وجملة القسم وجملة

---

[٨] مغني اللبيب ١/٤٩٠

[٩] رسالة المباحث المرضية : ٦٣

الشرط ... إلخ) بل الذي يراه البحث أن الجملة تساوي الكلام غير أن الكلام منطوق وأن الجملة مكتوبة.

وهذا ليس بغريب في اللغات الأخرى ففي دراسة لأورشلونسكي حلل فيها نماذج من اللغات السامية التي ظهرت فيها جمل لا تحتوي على صيغة الفعل نراه يقول : ((النقطة التي أبدأ منها أن كل مصراع جملي clause في الأصل يحتوي على مركب زمن(TP م. ز) وسأبين أن الفرق الرئيسي بين المصراع الجملي التام full clause والمصراع الجملي الصغير small clause يتمثل في أن الأول يحتوي على مركب الزمن (TP/ م. ز)، ... وأما المصاريع الجملية التي لا تحتوي على مركب الزمن(TP/م .ز) فسأطلق عليها مصطلحا مألوفا ذلك هو (المصاريع الصغيرة small clauses)))[١٠]

وعليه، فالجملة العربية قد تتألف من مصراع مؤقت واحد (أي: يحوي فعلا له زمن أو ما يقوم مقامه كاسم الفاعل أو اسم المفعول أو غيره مما يعمل عمل الفعل) نحو: قام زيدٌ، ويقومُ زيدٌ، وقامَ الزيدان، وقام الزيدون، وأ قائمٌ الزيدان، وزيدٌ قام، الزيدان قاما، والزيدون قاموا... الخ ويكون الإعراب غير التفصيلي في النحو التوليدي على النحو الآتي:

قام زيدٌ: زيدٌ مركب اسمي منقول من موضع المبتدأ، فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره وقام مركب إسناد مؤلف من فعل

---

(10) Clause Structure and Word Order in Hebrew and Arabic: 3

ماض مبني على الفتح وقد استتر الفاعل (هو) لمطابقة الاسم المنقول(زيد)، واصل الجملة المنقول مركبها الاسمي: زيدٌ قامَ (هو).

ويكون إعراب (يقوم زيدٌ) بالطريقة نفسها، وأما إعراب (قام الزيدان) فيكون على النحو الاتي:

الزيدان مركب اسمي منقول من موضع المبتدأ فاعل مرفوع وعلامة رفعه الألف لأنه مثنى، قام: مركب إسناد يتألف من فعل ماض مبني على الفتح وقد حذف ألف التثنية لدلالة الاسم المنقول إلى موضع الفاعل. وأصل التركيب قبل النقل: الزيدان قاما. ويكون إعراب قام الزيدون بالطريقة نفسها، ويمكننا إعراب أ قائم الزيدان على النحو الاتي:

الهمزة: محدد استفهام، والزيدان: مركب اسمي منقول من موضع المبتدأ فاعل مرفوع وعلامة رفعه الألف لأنه مثنى، وقائمٌ: مركب إسناد مؤلف من اسم فاعل، ولما عمل اسم الفاعل عمل الفعل حذف ضمير التثنية من اسم الفاعل لدلالة الاسم المنقول (الزيدان) في موضع الفاعل. وأصل الجملة قبل النقل: أ الزيدان قائمان.

وأما إعراب (الزيدان قاما) فإعرابه يكون على النحو الاتي:

الزيدان: مركب اسمي مرفوع وعلامة رفعه الألف؛ لأنه مثنى مبتدأ، وقاما مركب إسناد مؤلف من فعل ماض مبني على الفتح لاتصاله بألف الاثنين والألف مركب اسمي مبني في محل رفع فاعل. ويكون إعراب (الزيدون قاموا) بالطريقة نفسها.

الذي يثير العناية والاهتمام إعراب (زيدٌ قامَ)، وهذا التركيب يتألف من مركب اسمي (زيد) ومركب إسناد (قامَ)، ويكون الإعراب على النحو الآتي:

(زيدٌ) مركب اسمي مبتدأ، ومركب الإسناد (قام) مؤلف في الأصل من (هو قام) وقد نقل الضمير (هو) إلى ما بعد الفعل في مركب الإسناد بعد أن شغل (زيدٌ) موضع المبتدأ، وكان هدف نقل الضمير ليشغل حيزا لمركب اسمي مرفوع عند الحاجة، غير أنه لما كان الفعل قام لازما فقد أدمج هذا الضمير في الفعل في حال من الاستتار.

فإن كان الفعل الذي في مركب الإسناد متعديا فإنه تظهر الحاجة لموقع الضمير المستتر، فلا يقال في العربية (زيدٌ ضَربَ) لوجوب تعدي الفعل إلى مفعول، فلو كان الضرب قد وقع على زيد فالفاعل في (ضرب) ويحتمل المتكلم (زيدٌ ضربَ أنا = ضربْتُ) فيكون أصل مركب الإسناد (أنا ضربَ)، ولما وقع زيد في موقع المبتدأ انتقل الضمير (أنا) إلى ما بعد الفعل في مركب الإسناد فدُمج على هيأة تاء الفاعل المتكلم. ويحتمل الفاعل أن يكون هو المخاطب (زيدٌ ضربَ أنتَ = زيدٌ ضربْتَ) فيكون أصل مركب الإسناد (أنتَ ضرَبَ) ولما وقع زيد في موقع المبتدأ انتقل الضمير (أنتَ) إلى ما بعد الفعل في مركب الإسناد فدُمج على هيأة تاء الفاعل المخاطَب. غير أن تركيب (زيدٌ ضربْت) أيضا غير مقبول في العربية إلا على احتمال (زيدٌ ضربْتُهُ) أو (زيدٌ ضربتَهُ) قال الزجاجي: ((وَقد يضمرون فِي الْفِعْل الْهَاء فيرفعون الْمَفْعُول بِهِ كَقَوْلِك: زيدٌ ضربتُ وَعَمْروٌ شتمتُ على معنى ضَربتُه وشتمته فيرفع زيد بِالِابْتِدَاءِ ويوقع الْفِعْل على الْمُضمر))[١١] وعلى هذا

---

[١١] الجمل في النحو :٦٥

((فإن قلت: زيدٌ ضربتُ أخاكَ إيّاهُ لم يجز لأن الكلام الأول ما تم))[١٢]. فإن قلت: ((زيدٌ ضربتُ أَبَاهُ عمرا ف (عمروٌ) بدلٌ من (أَبَاهُ)، فَلَو حذفته فَقلت زيدٌ ضربتُ عمرا لم يجز لخلوِّ الْجُمْلَة من ضمير يعود على الْمُبْتَدَأ))[١٣] غير أنه أنه قد أ جاز النحاة: زيدا ضربتُ أو زيدا ضربتَ وفي ذلك ذكر سيبويه أنه ((إن قدمتَ الاسمَ فهو عربيٌ جيّد كما كان ذلك عربيّا جيّدا، وذلك قولك: زيدا ضربتُ))[١٤]، وأما (زيدا ضربته) و(زيدٌ ضربتهُ)، فقد كان للنحاة فيه ضروب من الخيال الخصب ما اضطرهم معه لاختراع باب الاشتغال.

وقد ارتأى البحث أن ((يتم حلُّ الخلاف في جملة: زيدٌ ضربتُهُ، و جملة زيداً ضربتُهُ بأن يجعل من جملة (زيدٌ ضربتُهُ) جملة عربية اسمية تتألف من مركب اسمي زيدٌ ومركب إسناد ضربتُهُ (فعل وفاعل ومفعول)، وأما جملة زيدا ضربتُهُ فجملة عربية اسمية أصلها على النحو الآتي: (١) أنا ضربَ زيدا، وقد نقل المركب الاسمي أنا من الصدارة إلى موقعه الجديد ليحل في مركب الإسناد فيكون (٢) (ضربَ أنا زيدا) ثم يتصل الضمير أنا ويدمج بمركب الإسناد فيكون (٣) (ضربتُ زيدا) ثم ينقل مفعول مركب الإسناد (زيدا) إلى الصدارة فيكون (٤) (زيدا ضربتُ) ومن عملية نقل المفعول إلى الصدارة ظهر أثر الضمير(ـه)؛ ليُربط التركيب بإحكام فكان (٥) زيدا ضربتُهُ، وهذا ((التقدير الإعرابي أولى من التمحل بخلق باب الاشتغال، فهذا

---

(١٢) الأصول في النحو ٥٤/٢

(١٣) اللباب في علل البناء والإعراب ٤١١/١

(١٤) الكتاب ٨١/١

التأويل يتوافق والمنطق اللغوي بخلاف جلب عامل مختلق بعذر أنه من لفظ الفعل))[١٥]

وقبل تحليل تركيب الاستفهام في النحو التوليدي لابد من التعريف بمبادئ (نظرية المكون النظير سَ X́ –theory):

والتي ملخصها: يمكن أن نكتب التركيب ضربَ زيدٌ عمرا:

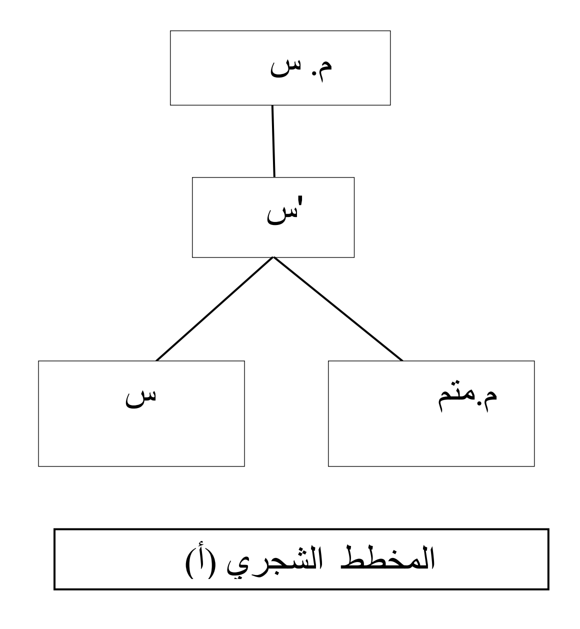
م. س = م. إسناد + (م.سم)منقول + م.سم

أولا: التركيب الرئيس م. س قد تسبقه أداة تتممه (م. متمم) من مثل النفي أو الاستفهام كأن يقال :(ما ضربَ زيدٌ عمرا) أو (هل ضربَ زيدٌ عمرا)، وسنرمز لمثل هذا التعبير الرياضي:

'س = م متمم + س ليستوفي مثل هذا الاحتمال، والمخطط الشجري(أ) في أدناه يوضح ذلك الترتيب:

---

[١٥]أقسام الكلام بين العربية والانكليزية – دراسة تقابلية بحسب النحو التوليدي: ١٥-١٦

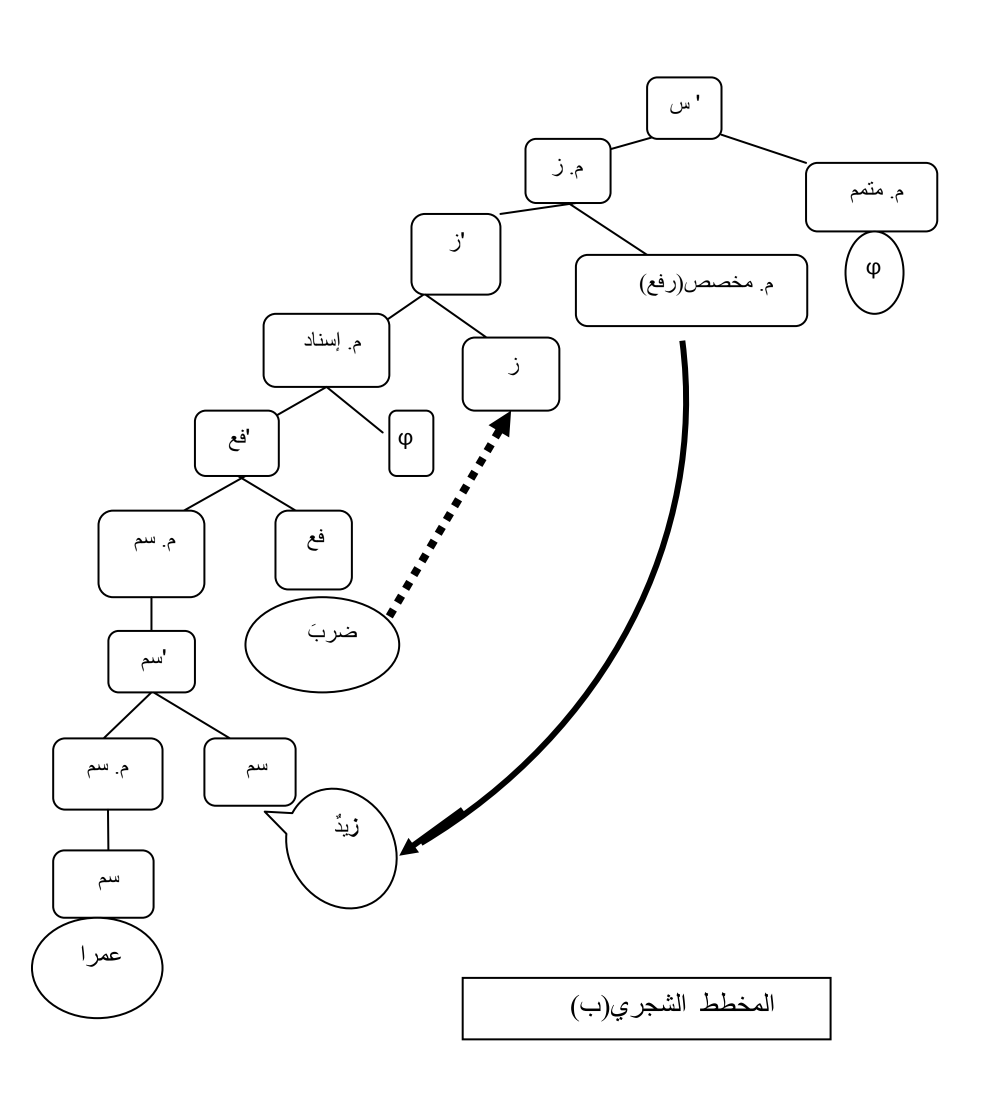


المخطط الشجري (أ)

يلاحظ أن المركب الاسمي الأول (زيدٌ) [م. سم] وهو الذي يلي مركب الإسناد [ضرب] في التركيب م.س، إنه هو المركب المخصص بالنقل [م. مخصص] من الموقع الأصلي للتركيب الذي هو موقع المسند إليه (رفع)، ولهذا سنضع خانةً لهذا الموقع المخصص إلى جهة اليمين من مركب الإسناد لبيان الأصل الذي نقل عنه.

كما يلاحظ أن التركيب س يحتمل أيضا إن دخله الزمن الماضي، ولهذا فنحن بنا حاجة لمركب زمن (م. ز) ليعطي هذا المعنى، ومركب الزمن هذا يعم موقع المركب الاسمي المخصص المنقول (زيدٌ) [م. مخصص]. ولما كان احتمال الزمن يتغير في مثل هذه التراكيب كأن يقال: يضربُ زيدٌ[منقول] عمرا، أو اضرب أنت [منقول] زيدا (الذي هو في الأصل: أنت اضرب زيدا)، فضلا عن احتمال الأصل كما في زيدٌ ضربَ عمرا أو زيدٌ يضربُ عمرا. ولكي

نستوفي احتمال هذه الأزمنة سنضع رمز مركب الزمن 'ز، وسيظهر المخطط المحتمل مركب الزمن 'ز كما في المخطط الشجري(ب)



المخطط الشجري(ب)

يقول سيبويه ((واعلم أن حروف الاستفهام كلَّها يقبح أن يصيرّ بعدها الاسمُ إذا كان الفعل بعد الاسم: لو قلت: هل زيدٌ قام وأينَ زيدٌ ضربتَه، لم يجز إلاَّ فى الشعر، فإذا جاء فى الشعر نصبتَه، إلاَّ الألفَ فإنه يجوز فيها الرفع والنصب، لأن الألف قد يُبتدأ بعدها الاسمُ. فإن جئت فى سائر حروف الاستفهام باسم وبعد ذلك الاسمِ اسمٌ من فِعْلٍ نحُو ضارب، جاز فى الكلام، ولا يجوز فيه النصب إلاّ فى الشعر، لو قلت: هل زيدٌ أنا ضاربُه لكان جيَّدا فى الكلام، لأن ضاربا اسمٌ وإن كان فى معنى الفعل))[١٦].

وعلى العموم فالنحو التوليدي لا يرى أن هل في هل زيدٌ قام قد دخلت على الفعل، إنما دخلت على ما هو أعم من الفعل (أعني مركب الإسناد) وبذلك فالقاعدة تشمل ما سمع عن العرب من شعر وغيره فتراكيب من مثل: هل قامَ زيدٌ، وهل زيدٌ قائمٌ سيكون إعرابها على النحو الاتي: (هل) محدد استفهام و(زيدٌ) مركب اسمي منقول من موضع المبتدأ فاعل و(قام) مركب إسناد مؤلف من الفعل قام وقد استتر الضمير (هو)، لمطابقته الاسم المنقول من موضع الابتداء والأصل (هل هو قامَ) ثم نقل الضمير (هو) إلى مركب الإسناد بعد أن حل المركب الاسمي زيد محله ليكون (هل زيدٌ قام هو) وكانت الغاية من نقل الضمير (هو) إلى مركب الإسناد ليشغل حيز الرفع عند الحاجة، ولما انتفت الحاجة بهذا القدر من الكلام، فقد استتر الضمير، فالاستتار إنما هو عبارة عن حيز تخميني لموضع رفع لتركيب آخر محتمل

---

[١٦] الكتاب ١/ ١٠١

كما لو قلنا (هل زيدٌ ضربتَه) فالتاء مثلت حيزا تخمينيا لموضع الرفع، وأما موضع النصب فحيزه ظاهر من تعدي الفعل في مركب الإسناد. وبذلك نحل الإشكال بدخول هل على مركب (إسناد) وتطرد القاعدة فيكون إعراب هل زيدٌ قائم الذي أجازه سيبويه على النحو الاتي: هل محدد استفهام زيدٌ مركب اسمي مبتدأ على الأصل وقائم مركب إسناد مؤلف من اسم فاعل يعمل عمل الفعل والأصل: (هل هو قائم) فلما حل المركب الاسمي زيد في موضع الضمير انتقل الضمير إلى مركب الإسناد؛ ليشغل حيزا تخمينينا لموضع رفع محتمل، فكان التركيب: (هل زيدٌ قائمٌ هو) ولما انتفت الحاجة بهذا القدر من الكلام، استتر الضمير ليتم التركيب: (هل زيدٌ قائمٌ)، فالاستتار إنما هو عبارة عن إشغال حيز تخميني لموضع رفع لتركيب آخر محتمل، كما لو قلنا على سبيل المثال: (هل زيدٌ قائمٌ غلاماه).

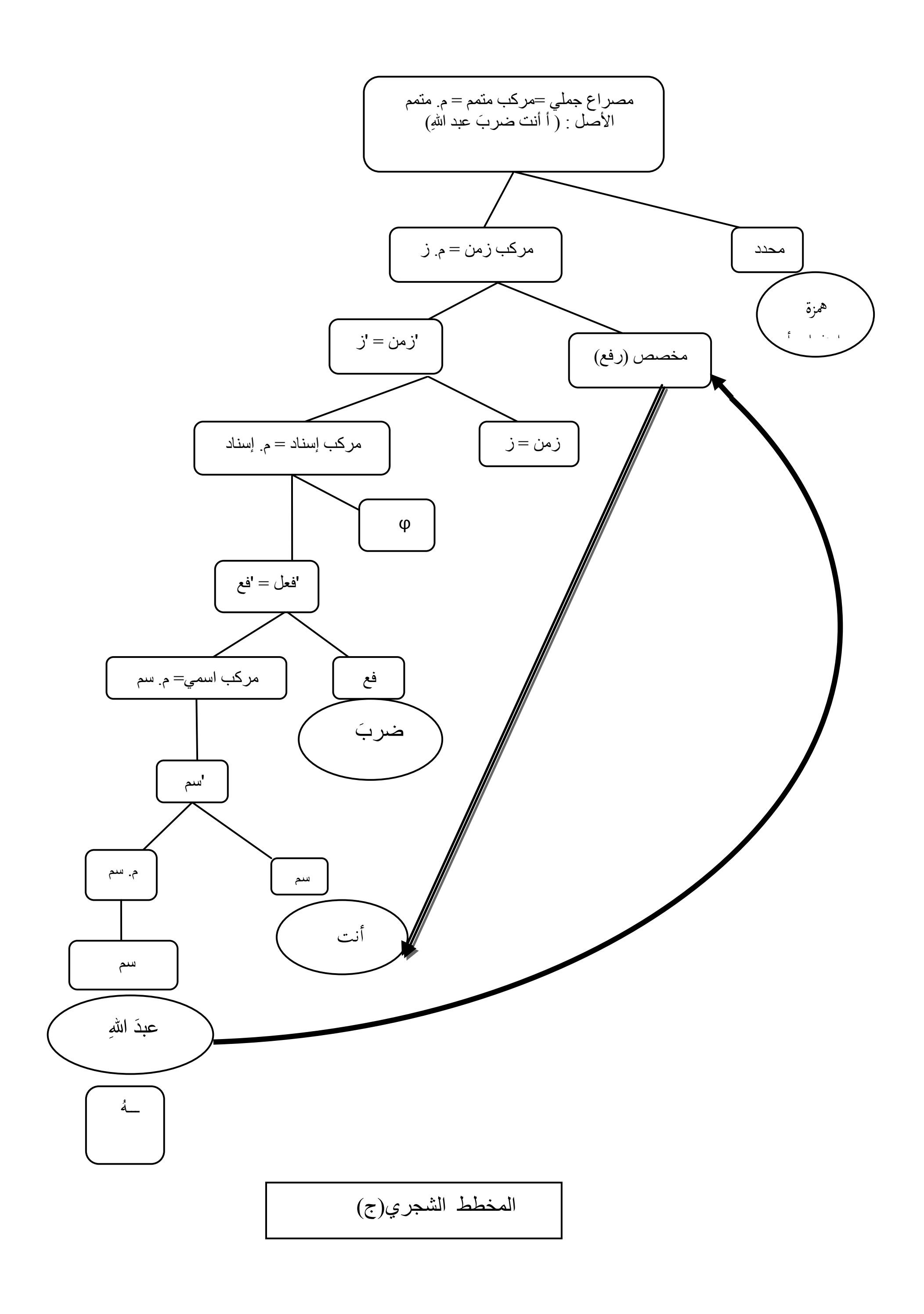
وبهذا يرى البحث أن الهمزة وهل تستويان في الدخول على التركيب إذا تضمن مركب الإسناد الفعل نحو: (أ زيدٌ قامَ)، و(هل زيدٌ قامَ) غير أننا نقول: إنّ الكثير مما سمع عن العرب دخول هل على مركب الإسناد الذي يتضمن الفعل فقول: هل قامَ زيدٌ في كلام العرب أكثر من هل زيدٌ قام، ونترك التفاصيل للبيانيين في بيان الأسباب. والهمزة وهل هما حرفان على الأصل الذي قرره النحاة.

وإذا اتبعنا النحو التوليدي، فتركيب (أ عبدَ اللهِ ضربتَهُ) أصله (١) (أ أنتَ ضربَ عبدَ اللهِ) فنقل الضمير الذي في موضع المبتدأ إلى ما بعد الفعل في مركب الإسناد (٢) (أ ضربَ أنت عبدَ اللهِ) ودُمجَ الضمير مع الفعل في مركب الإسناد فأصبح (٣) (أ ضربْتَ عبدَ اللهِ) ثم نقل المفعول

عبدَ اللهِ إلى أول الكلام حيث وقع قبله محدد الاستفهامين فأصبح التركيب (٤) (أ عبدَ اللهِ ضربتَ)، ومن عملية نقل المفعول إلى الصدارة ظهر أثر الضمير(ـه)، ليُربط التركيب بإحكام فكان (٥) (أ عبدَ اللهِ ضربتَهُ). ويكون الإعراب على النحو الاتي:

(الهمزة) محدد استفهام، (عبدّ اللهِ) عبد مركب اسمي مفعول به منقول من مركب الإسناد إلى موضع الابتداء ويتألف هذا المركب الاسمي من مضاف إليه، وقد ترك الضمير(الهاء) أثرا من هذا النقل و(ضربتَ) مركب إسناد مؤلف من الفعل الماضي ضرب مبني على السكون، والتاء مركب اسمي منقول من موضع المبتدأ وأصل التركيب (أ أنت عبدَ اللهِ ضربَهُ)، وقد ادمج في مركب الإسناد ليتحول إلى تاء الخطاب وقد سكن الفعل لحصول هذا الدمج، والهاء في مركب الإسناد أثر المفعول المنقول إلى موضع المبتدأ ووظيفة الهاء بيان أن الكلام ينصرف إلى المخاطب أو المتكلم، لأنه عند السكت بقولك: أ عبدَ اللهِ ضربت. ينصرف الذهن إلى المتكلم أو المخاطب، ولكن عند وجود الضمير (الأثر) يفصح المتكلم عن حركة التاء.

ولتمثيل ذلك في الرسم يظهر المخطط الشجري(ج).



المخطط الشجري(ج)

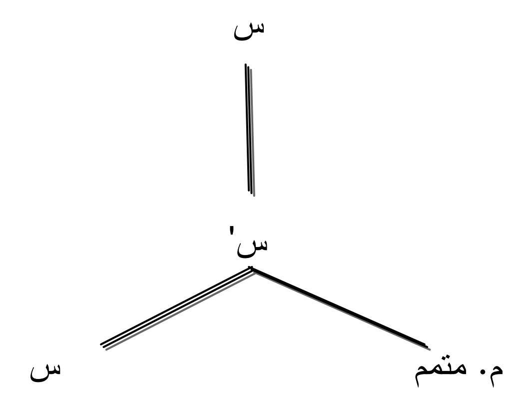
ومن النماذج لنأخذ جملة: أ زيدٌ أخوك

فهذه الجملة خالية من معنى الزمن، وعلى ذلك سنعمل على تغيير مركباتنا التحليلية المناسبة لهذا المتغير فنستعمل المركب الصرفي (م. صر) بدلا من مركب الزمن (م.ز) ومن ثم عبر هذا المركب تتم المطابقة من حيث (الإفراد والتثنية والجمع والتأنيث والتذكير...الخ) بين المركب الاسمي وركن الإسناد. وقد استعمل البحث ركن الإسناد (ر. إسناد) بدلا من مركب الإسناد (م. إسناد) كون هذا المصراع الجملي لا يتضمن معنى الزمن وسيدخل حرف الاستفهام في خانة المركب المتمم التي تتقدم التركيب الأساسي:

يمكن أن نكتب التركيب م. س= أ زيدٌ أخوك:

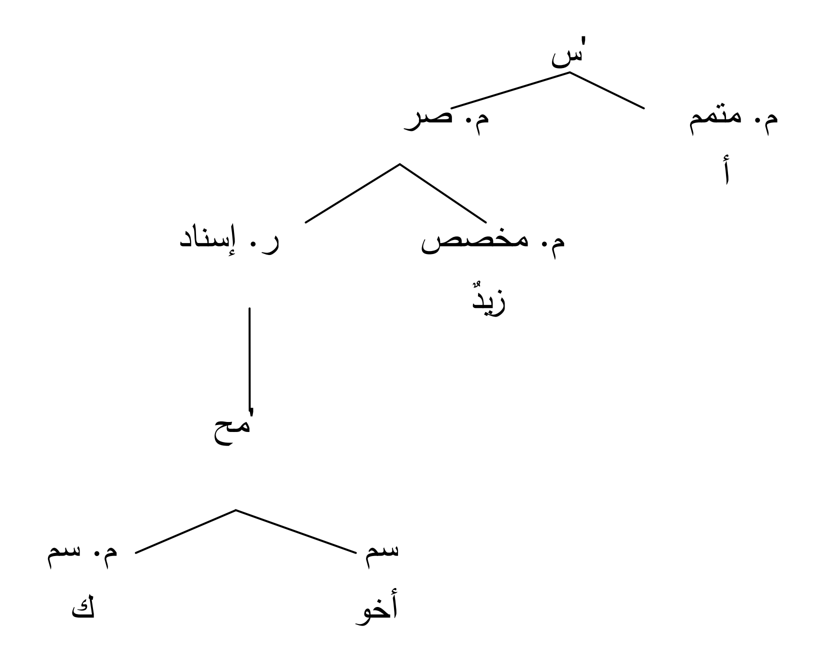
م. س = (م متمم) (م.سم + ر. إسناد)

أولا: التركيب الرئيس م. س يسبقه مركب متمم (م. متمم) شغلته همزة الاستفهام وسنرمز لمثل هذا 'س = م متمم + س ليستوفي هذا الاحتمال، وفي حال خلو التركيب من ذلك يوضع تحت (م. متمم) المجموعة خالية ϕ والمخطط في أدناه يوضح ذلك الترتيب:



يلاحظ أن المركب الاسمي الأول (زيدٌ) [م. سم] والذي يليه ركن الإسناد [أخوك] في التركيب، ويلاحظ كذلك أن المركب الاسمي الأول (زيدٌ) [م. سم] والذي يليه ركن الإسناد [أخوك] في التركيب م.س ولما كان هذا المركب قد يخصص بالنقل من الموقع الأصلي للتركيب الذي هو موقع المسند إليه (رفع)، فإننا سنضع هذا الاحتمال في الحسبان بوضع الخانة (م. مخصص) إلى جهة اليمين من ركن الإسناد والذي يمثله المركب الصرفي (م. صر)؛ لبيان الأصل الذي يحتمل أن ينقل منه.

وسيظهر المخطط المحتمل مركب الزمن 'صر على النحو المخطط الشجري(د)الآتي:



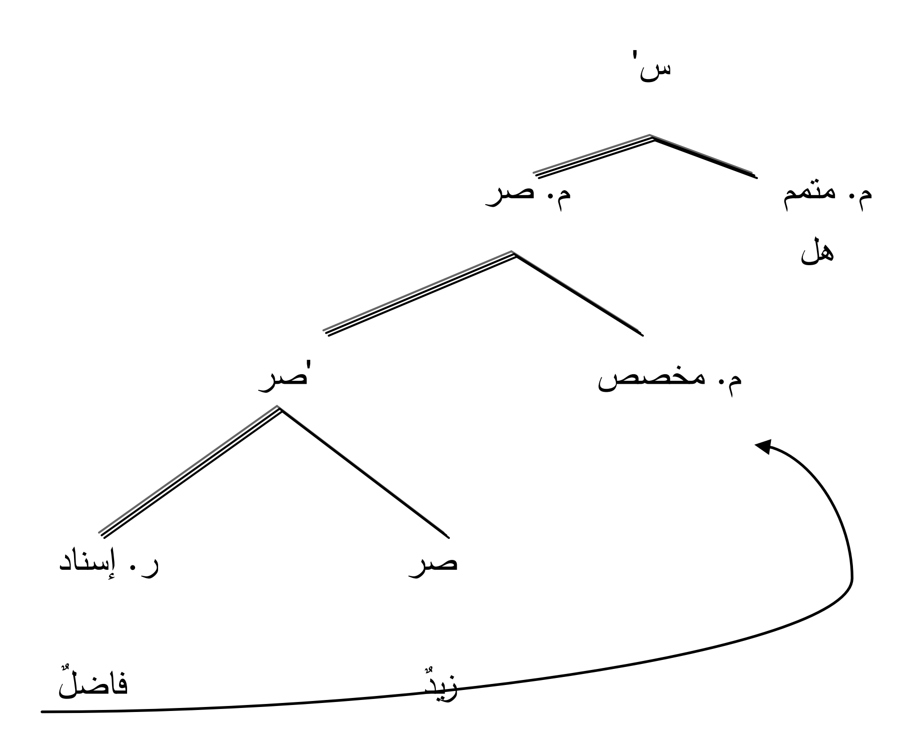
المخطط الشجري(د)

ويمكن أن نكتب التركيب م. س=هل فاضلٌ زيدٌ :

يلاحظ أن المركب الاسمي الأول (زيدٌ) [م. سم] وهو الذي يلي ركن الإسناد [فاضلٌ] في التركيب م.س إنما هو المركب المخصص [م. مخصص] فنقل إليه من موقع المسند الأصلي للتركيب (رفع)، ولهذا سنضع خانة لهذا الموقع المخصص إلى جهة اليمين من ركن الإسناد لبيان الأصل الذي نقل منه.

المخطط المحتمل مركب الزمن 'صر

ولتمثيل ذلك في الرسم يظهر المخطط الشجري(هـ) الآتي:



المخطط الشجري(هـ)

روافد البحث

ـ الأصـول فـي النحـو: أبـو بكـر بـن السّـريّ ابـن السّـراج " ت ٣١٦ هـ "، تح: عبد الحسين الفتليّ، مؤسسة الرّسالة، بيروت .

أقسام الكلام بين العربية والإنكليزية – دراسة تقابلية بحسب النحو التوليدي

ـ الجمل في النحـو: أبـو عبد الـرحمن الخليـل ابـن أحمـد بـن عمـرو بـن تميم الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ)، تح: الدكتور فخر الدين قباوة

ـ رسالة المباحث المرضية: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام(ت ٧٦١)، تح: الدكتور مازن المبارك، دار ابن كثير– دمشق / بيروت.

ـ الكتـاب : أبـو بشـر عمـرو بـن عثمـان بـن قنبـر الملقـب ب سـيبويه " ت ١٨٠ هـ " تح : عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٨ م .

ـ اللبـاب فـي علـل البنـاء والإعـراب أبـو البقـاء العكبـري " ت ٦١٦ هـ " دار الفكر، بيروت .

ـ مغنـي اللبيـب عن كتب الأعاريـب أبـو محمـد، جمـال الـدين ابن هشـام "ت ٧٦١"، تح، دمشق. مازن مبارك، دار الفكر، بيروت

ـ مفتـاح العلـوم: أبـو يعقـوب يوسـف بـن أبـي بكـر بـن محمـد بـن علـي السكاكي، "ت ٦٢٦"، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الموجز في قواعد اللغة العربية سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني (ت ١٤١٧هـ)، دار الفكر – بيروت – لبنان.

- نظرية تشومسكي ونقدها في اللسانيات الحديثة . العربية والانكليزية أنموذجا: حسين كاظم زنبور، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٢م.

- A syntactic x- bar approach to fronting and postponing in English and Arabic . :
حسين كاظم زنبور، رسالة ماجستير، كلية اللغات، جامعة بغداد، ٢٠١٥م.

- Shlonsky, Ur (1997) Clause Structure and Word Order in Hebrew and Arabic: An Essay in Comparative Semitic Syntax. Oxford University Press, New York.

اثر اجراءات الاختيار والتعيين على
تقييم اداء العاملين في المكتبات الجامعية :
دراسة حالة للمكتبة المركزية لجامعة بغداد

المدرسة المساعدة خالدة جمال فرج
معهد الادارة / الرصافة

المدرسة المساعدة نور حسين فخري
معهد الادارة / الرصافة

الملخص :

يهدف البحث الى التعرف على أهم الاجراءات المتبعة في اختيار العاملين وتأثيرها في المكتبات الجامعية والمهارات التي يمتلكها العاملون والتسهيلات التي يقدمها للمستفيدين فضلا عن دور هذه الاجراءات في تحسين اداء المكتبات الجامعية، واستعمال المنهج المسحي واعتمد البحث على الاستبانة التي تم توزيعها على العاملين، اذ بلغ عدد الاستمارات الموزعة (٥٠) استمارة للتعرف على مدى تأثير الأُسس المتبعة في اختيار العاملين على اداء المكتبة المركزية لجامعة بغداد/ الجادرية، وتوصل البحث الى جملة استنتاجات منها: اداء الموظف لا يخضع للتقويم وانما يتم توجيه النصح والارشاد للموظف لتقويم سلوكه واداءه وفي حالة عدم الاستجابة لها يتم نقله الى موقع المكتبة في الجادرية, أما أهم التوصيات التي تم وضعها في البحث فتشير الى أن تقويم اداء الموظف بعد تشخيص نقاط الضعف التي يعاني منها سواء فيما يتعلق بأدائه وسلوكه وتعامله مع

الآخرين من خلال زجه في دورات تدريبية وتطويرية ذات علاقة بنقاط الضعف التي يعاني منها .

الكلمات المفتاحية : اجراءات الاختيار والتعيين، اداء العاملين، المكتبات الجامعية .

المقدمة :

يُعدُّ العاملون اهم العناصر التي لها تأثير مباشر على اداء المكتبات بمختلف مستوياتها باعتبارها الاساس في عملية تطوير الخدمات المقدمة الى المستفيدين فان عملية اختيارهم يجب ان تكون بطريقة علمية مدروسة وبما يتلاءم مع احتياجاتها وعملية تطويرها مسؤولية مشتركة بين العاملين وادارة المكتبة عبر اشراكهم في دورات تدريبية وانشطة علمية لرفع مستوى معرفتهم بما يتناسب مع التطورات الحديثة في مجال العمل المكتبي وبالتالي ينعكس ذلك انعكاسا ايجابيا على اداء المكتبة والخدمات المقدمة للمستفيدين منها.

الاطار العام للبحث

١ -**مشكلة البحث**:- تُعدُّ عملية اختيار العاملين في المكتبات الجامعية من اهم العمليات التي يجب ان تتم على وفق اسس معينة ومدروسة بطريقة دقيقة؛ لان العاملين يشكلون بين المكتبة والخدمات التي تقدمها للمستفيدين منها، فالعامل يساهم في تسهيل عملية وصول المستفيد الى المصادر التي تلبي احتياجاته البحثية؛ لذا لوحظ وجود ضعف في

الاسس المعتمدة في اختيار العاملين. جاء هذا البحث من خلال طرح التساؤلات البحثية الآتية:

١- ما الأُسس المتبعة في اختيار العاملين في المكتبات الجامعية؟

٢- ما المهارات التي يمتلكها العاملين والتسهيلات التي يقدمها للمستفيدين؟

٣- ما دور هذه الاجراءات في تحسين اداء العاملين في المكتبات الجامعية؟

٢- اهداف البحث: يهدف البحث الى التعرف على:-

١- الاسس المتبعة في اختيار العاملين في المكتبات الجامعية.

٢- المهارات التي يمتلكها العاملون والتسهيلات التي يقدّمها للمستفيدين.

٣- دور هذه الاجراءات في تحسين اداء العاملين في المكتبات الجامعية.

٣- فرضيات البحث:-

١- هناك علاقة قوية بين اداء العاملين في المكتبات الجامعية من ناحية الخدمات التي تقدمها للمستفيدين والاسس المعتمدة في عملية توظيف العاملين في المكتبة.

٢- توجد علاقة بين عملية تطوير العاملين في المكتبات الجامعية والإمكانات المادية والبشرية المتوافرة فيها .

٣- هناك علاقة ذات دلالة معنوية بين تطوير قدرات العاملين وبين تحسين اداء المكتبات الجامعية.

٤- اهمية البحث:- تكمن اهمية البحث بانه يسلط الضوء على اجراءات عملية اختيار العاملين التي تعد من العمليات الأساسية والهمة التي تؤثر في كفاية سير العمل في المؤسسات وخاصة المكتبات ومراكز المعلومات على اختلاف أنواعها وفئاتها، ولتحقيق هذا الهدف كان لابد من الاهتمام بوضع أسس ومعايير يمكن من خلالها تحديد مدى كفاية اختصاصي المكتبات والمعلومات، لضمان تحقيق التطوير المستمر له ومواكبته للتطورات المتلاحقة للتكنولوجيا الحديثة في مجال العمل المكتبي، فضلا عن أن التحديد الدقيق والمسبق لتلك المعايير سوف يساعدنا في عمليتي اختيار وتوظيف العاملين وتكليفهم بالمهام التي تتلاءم مع قدراتهم ومؤهلاتهم العلمية .

٥- منهج البحث: استخدمت الباحثتان المنهج المسحي .

٦- ادوات جمع البيانات: اعتمدت الباحثتان في جمع البيانات على:

- استبانة التي تم توزيعها على العاملين في المكتبة حيث بلغ عدد الاستمارات الموزعة (٥٠) وبلغ عدد المسترجع منها (٥٠) وامتدت فترة توزيع الاستبانة من ١-٣-٢٠١٩ ولغاية ١-٥-٢٠١٩ .
- المقابلة مع مديرة المكتبة الست فريال حسن وادي بتاريخ ٢٠١٩/١١/١١.

٧- **مجتمع وعينة البحث :** شمل مجتمع البحث العاملين الموجودين في المكتبة المركزية لجامعة بغداد.

٨- **حدود البحث :**

١. الحدود الموضوعية: اجراءات الاختيار والتوظيف في المكتبات الجامعية.

٢. الحدود المكانية: المكتبة المركزية لجامعة بغداد .

٣. الحدود الزمانية: ١-٢-٢٠١٩ ولغاية ١١-١١-٢٠١٩ .

ثانيا : الدراسات السابقة:

١. دراسة (البدور والنابلسي, ٢٠١٩)

عمليات التعيين الفعالة واثرها في اختيار الموارد البشرية (دراسة تطبيقية على العاملين في وزارة الداخلية بدول الامارات العربية المتحدة).

حاولت الدراسة تشخيص عمليات الاختيار والتعيين في وزارة الداخلية بدول الامارات العربية المتحدة ودور سياساتها في امداد الوزارة بالكفايات ذات الولاء التنظيمي, وقد شملت عينة الدراسة (٥٠) مسؤولا ومديرا في الوزارة , واعتمدت الاستبانة كأداة لجمع البيانات والمعلومات, وتم الاستفادة من هذه الدراسة في تعزيز الجانب النظري بمفهوم ومعايير الاختيار والتعيين, وقد اتضح من نتائج البحث أن الوزارة تتبع منهجا يرتكز على أسس علمية ومنهجية لتطوير الامكانات البشرية والمادية لوزارة الداخلية لمواكبة النهضة الشاملة التي تشهدها الدولة في مختلف المجالات.

٢. دراسة (عدوان , ٢٠١١)

واقع سياسة الاختيار والتعيين وأثرها في المسار الوظيفي للعاملين في المصارف العاملة في قطاع غزة.

تسعى هذه الدراسة الى التعرف على واقع سياسة الاختيار والتعيين وأثرها في المسار الوظيفي للعاملين في المصارف العاملة في قطاع غزة من خلال التعرف على عملية التحليل الوظيفي المتبعة في المصارف ووجود استراتيجية واضحة لتخطيط الموارد البشرية, ومعرفة الاجراءات التي تقوم بها المصارف في عملية الاختيار والتعيين, وتم الاعتمد على الاستبانة لقياس متغيرات الدراسة, اذ بلغ حجم العينة (١٨٧) موظفا , وتم الاستعانة ببرنامج (SPSS) للتحليل الاحصائي , واظهرت النتائج أن اجراءات الاختيار والتعيين المتبعة في المصارف كانت جيدة , وأن القائمين عليها من ذوي الكفاية الجيدة.

٣. القدال، حسام الدين عوض الله احمد. معايير تقييم الأداء للمهنيين في المكتبات الجامعية: دراسة حالة المكتبات الجامعية – ولاية الخرطوم.- مجلة حولية المكتبات والمعلومات، ع ٢، ٢٠١٨، ص١٢-١٣ :

يهدف البحث الى التعرف علي مدى تطبيق معايير الأداء المهني في المكتبات الجامعية، ومدى مقدرة هذه المعايير علي قياس أداء المكتبين لمهامهم المختلفة بصورة موضوعية وعادلة، تم جمع البيانات من مصادر المعلومات الاولية من خلال المقابلات والملاحظة فضلا عن تصميم استبانة

للحصول على بيانات بصورة أعمق، زيادة على مراجعة مصادر المعلومات المنشورة وغير المنشورة في المجال توصل البحث الى النتائج الآتية : يوجد عدد من المعايير لقياس الأداء المهني ونتائجها يمكن ان تستخدم كمؤشرات لمدى الأداء في المرحلة الحالية وإعداد هذه المعايير يتم عن طريق الخبراء وتحليل الوظائف للتعرف علي مهام كل وظيفة ومن ثم تحديد معيار قياس الأداء المناسب لها أما أهم التوصيات التي وضعت فهي- يجب على من يعملون في وظائف إشرافيه في المكتبات الجامعية الاهتمام بالاطلاع علي معايير قياس الأداء المهني وفهمها بصورة جيدة و يجب علي من يعملون في وظائف إشرافيه في المكتبات الجامعية الابتعاد عن المزاجية والتحيز في قياس أداء المرؤوسين، وأيضا يجب عليهم الاهتمام بعمل سجل بالإنجازات اليومية أو الأسبوعية حتي يسهل عليهم عملية تقويم مرؤوسيهم بصورة موضوعية وعادلة.

الإطار النظري للبحث

اولا : مفهوم الاختيار

١. مفهوم وتعريف الاختيار

تُعدُّ عملية الاختيار من العمليات المهمة في سياسات العمل, اذ لابد للادارة من الاعداد لها بالشكل الذي ينتهي بتصفية المرشحين للوظيفة واختيار الاسلوب المناسب لها, وكان التركيز في عمليات الاختيار على الجوانب السلبية في الافراد أي الاهتمام باكتشاف النواحي الضعيفة التي يمكن أن تؤدي الى الفشل, واستبعاد الأفراد على الاساس. أما الاتجاه

الحديث فهو التركيز على النواحي الايجابية, وعلى وفق هذا الاتجاه ينصب الاهتمام على التعرف على مدى مناسبة الفرد للعمل في المؤسسة لأعلى مطابقة مواصفات كل فرد (زويلف, ٢٠١٠: ٩٧), ويمكن تعريف عملية الاختيار بأنها امتدادٌ طبيعي لوظيفة تخطيط القوى العاملة والتي بموجبها يتم المفاضلة بين الافراد الذين تقدمو لشغل الوظيفة واختيار افضلهم, وهي طريقة للبحث عن افضل العناصر لشغل وظيفة معينة واختيار اكثرها ملائمة وتمثل هذه العملية عنصرا من عناصر التكلفة التي تتحملها المؤسسة (رابعة, ٢٠٠٣: ٤٥).

ويشير (أبو شيخة , ٢٠٠٠: ٨١) الى عملية الاختيار بأنها من أهم وظائف إدارة الموارد البشرية لما يترتب عليها من نتائج ملموسة تنعكس على النتائج النهائية للمؤسسة, اذ إنّها عمليات اختبار لقدرات القائمين على تنفيذ اجراءات الاختيار في المؤسسة واختبار لقدراتهم على التنبؤ بما سيكون عليه سلوك الافراد الذين وقع عليهم الاختيار.

٢. خطوات عملية الاختيار والتعيين

تمرُّ عملية اختيار الافراد المتقدمين للعمل بخطوات، أو مراحل محددة، وكل مرحلة تزود الادارة بالمعلومات اللازمة والضرورية عن هؤلاء الأفراد وتساعد الادارة في عملية الاختيار وفقا للمعايير الموضوعية ومعايير الاداء المطلوب, وتتمثل هذه الخطوات بالآتي (الهيتي, ٢٠٠٣, ١٣٢-١٣٧):

أ. **طلب التوظيف** : يتولّى مدير ادارة الموارد البشرية مقابلة المتقدمين الى الوظيفة والردّ على استفساراتهم ويطلب منهم ملئ أُنموذج طلب

العمل بوصفهِ وسيلةً لتصفية عدد المرشحين, وضرورة تأكد المدير من استيفاء المتقدمين لشروط ملئ الوظائف المعلن عنها, اذ صمم طلب التوظيف لأغراض رئيسة هي (نديم, ٢٠٠٤: ٦):

١. يُعدُّ مصدر معلومات عن المتقدم.
٢. يُعدُّ أساسا لأجراء بحوث حول عملية الاختيار والتعيين .
٣. يُعدُّ أساسا قانوني للمنظمة في معاملة المتقدم قبل، وبعد التعيين لغرض التوقيع على صحة المعلومات.
٤. احتواؤه على معلومات قياسية تحددها المنظمة

ب. المقابلات الشخصية : هناك ثلاثة انواع من المقابلات التي يمكن استخدامها في تحليل الوظائف, وهي المقابلة الفردية مع كل موظف, والمقابلة الجماعية مع مجموعة من الموظفين يشغلون نفس الوظيفة, والمقابلة مع مشرف، أو أكثر ممن لديهم معرفة ودراية بالوظيفة , ومن مزايا المقابلات الشخصية : إنّها تسمح للعامل بتسجيل مجموعة الأنشطة والسلوكيات التي يصعب ملاحظتها, كما تتيح الفرصة لشرح أسباب الحاجة إلى إجراء تحليل الوظائف, والتعرف على المشكلات التي يمكن ان يواجهها الموظف, وبالرغم من وجود الكثير من المزايا التي تتمتع بها المقابلات الشخصية توجد عدة عيوب تتمثل الغش والتزوير فيما يقدم من معلومات بهدف الحصول على اجر أعلى, فضلا عن أنها تحتاج إلى توافر إمكانات من حيث الجهد والمال والوقت (عدوان, ٢٠١١: ٢٨).

واخيرا لابد من انهاء المقابلة بعبارات مشجعة تترك انطباعا جيدا لدى المتقدم, على أن لا يفهم من هذه العبارات أن الاختيار سوف يقع عليه,

وبيان كيفية معرفة نتيجة المقابلة, اما بالاتصال الشخصي او بالاتصال الهاتفي, وتاريخ الاتصال (أبو شيخة, ٢٠٠١: ٩٨).

ج. الاختبارات: بعد أن تتأكد ادارة الموارد البشرية من الشروط الواجب توافرها في الاشخاص المتقدمين لشغل الوظائف الشاغرة تبدأ الخطوة التالية وهي إجراء مجموعة من الاختبارات للمفاضلة بين المتقدمين، وللتأكد من إمكان نجاح الشخص في اداء العمل, اذ ينبغي على الادارة أن تأخذ بالحسبان محددات استخدام الاختبارات في مجال الاختيار وكما يأتي (نديم,٢٠٠٤: ٧-٨):

١. تُعدُّ الاختبارات أحد عناصر المفاضلة، ولا يمكن الاعتماد عليها فقط في اتخاذ قرار التعيين .
٢. تصلح الاختبارات لقياس قدرات ومستوى المهارة الحالية للشخص، ولا يمكن قياس مقدار انجازاته ونجاحه في وظيفته في المستقبل .
٣. يتوقف فاعلية الاختبارات ونجاحها على دقة أمانة المشرفين في استخدامها.

وهناك طريقتان رئيسيتان لاختبارات التوظيف تتمثل بمصداقية المعيار، اذ تستخدم لقياس مدى ملائمة المعايير المستخدمة في الاختبار مع الاداء الوظيفي, اما الطريقة الثانية فتتمثل بمصداقية المحتوى التي تستخدم لقياس مدى توافر المهام والمهارات الوظيفية الواجب اجرائها في الاختبار.

د. الفحص الطبي : يركز الفحص على التأكد من سلامة المتقدم من الناحية العضوية سواء ما يتعلق منها بالسمع أو البصر وقدرة التحمل

وسلامة الأطراف العليا، والسفلى وسلامته من بعض الامراض السارية والمعدية وبعض الامراض ذات الطبيعة المستديمة كالقلب والسكري وغيرهما, وبالرغم من أن الفحص قد يمارس شكليا، ولكنه مهم من ناحية سلامة اجراءات عملية الاختيار, اذ تحتاج بعض الوظائف الى سلامة الحواس ودقة الانتباه والسرعة في الانتقال من مكان الى اخر (الهيتي, ٢٠٠٣: ١٣٥).

هـ. التعيين: بعد اجتياز المتقدم كافة المراحل السابقة بنجاح يتسلم الفرد عمله في المنظمة, وفي أغلب الدول تنص قوانين الخدمة المدنية على ضرورة وضع الموظف تحت الاختبار لمدة معينة ومن ثم تقرر صلاحيته للعمل بعد هذه المرحلة, وقد تتطلب مدة التجربة تحريك الفرد بين اعمال مختلفة وتحت وجود مشرفين مختلفين يطالبون بتقارير عن اداء وسلوك المتقدم في نهاية الفترة, وعلى أساس هذه التقارير يتم تحديد المكان الذي يناسب الفرد, وأن الخطأ في التقرير يعرض المنظمة الى مخاطرة اختيار شخص غير مؤهل ولا يمكن الاستغناء عنه, إذ أن قرار التعيين هو عقد بين المنظمة والفرد لا يمكن فسخه الا في حالة اخلال معين بشروطه, وهذا يتطلب من المنظمة الدخول بإجراءات قانونية قد تكون في غنى عنها لو كان تقرير المشرف غير دقيق (الهيتي, ٢٠٠٣: ١٣٦).

٣. انواع الاختبارات

يوجد عدد كبير من الاختبارات المصممة لقياس خصائص وقدرات معينة لدى طالبي الوظائف, هناك اختبارات للكشف عن الذكاء وشخصية

الفرد واخرى لتحديد مدى استعداده ودرجة اهتمامه بمهنة معينة ودراسة ما اذا كان يستطيع أن يكيف نفسه بسرعة لمواجهة الظروف المختلفة, ويمكن تقسيم الاختبارات بصفة عامة الى الانواع الاتية (حسن و سلطان, ٢٠١١: ١٥١-١٥٣):

أ. **اختبارات الاداء او الانجاز:** يقيس هذا النوع من الاختبارات قابلية المتقدم للوظيفة, ومهاراته في اداء عمل معين, وهذه المعلومات والمهارات يكون الفرد قد حصل عليها نتيجة برنامج تدريبي حضره, او من خلال الخبرة العملية السابقة له وهناك نوعين من هذه الاختبارات (عدوان, ٢٠١١, ٤٨):

١. يقيس المعلومات اللازمة لأداء الوظيفة ويمكن ان يكون كتابيا او شفويا.

٢. يقيس مهارات الفرد الوظيفية عن طريق وضعه في موقف وظيفي فعلي وملاحظة تصرفاته .

ب. **اختبارات الذكاء:** تعد اختبارات الذكاء اكثر الاختبارات استخداما, وهناك اختلافات بين الباحثين حول مفهوم الذكاء والعناصر الواجب قياسها, واتخاذها كمؤشر على توافر، أو عدم توافر درجة عالية من الذكاء, فبعضهم يركز على قدرة الفرد للتعبير عن أفكاره وتفسير الأسباب الكامنة وراء الظواهر العامة, وبعضهم الاخر أضاف قوة الذاكرة وسرعة البديهة وغيرهما من العناصر, كما ظهر اختلافٌ كبيرٌ في درجة الذكاء بين فرد وآخر, فكما أن كل عمل يتطلب درجة معينة من الذكاء فكلما ارتفع مستوى الوظيفة او العمل في الهياكل التنظيمية كبرت درجة الذكاء المطلوب، ولابد من

الإشـــارة الـــى أن اختبـــارات الـــذكاء لا تقـــيس درجـــة الـــولاء للمنشـــأة, والشـجاعة أو القـدرة علـى قيـادة الآخـرين, كمـا أن نتيجـة الاختبـار السـيئة لا تعنـي غبـاء المتقدم للوظيفـة ويرجـع السبب فـي ذلك الـى اضـطراب ذهنـي أو عصبي وقت انعقاد الاختبار (حسن وسلطان, ٢٠١١: ١٥١).

ج. **اختبـارات الاسـتعداد والقـدرات:** يقيس هذا النـوع من الاختبـارات قابليـة الفرد للـتعلم؛ ولـذلك فهـي تستعملفي الكشف عن إمكانيـة وقابليـة الفرد لـتعلم الوظيفة، واسسها وبخاصـةٍ الوظـائف التـي تحتـاج الـى دقة وضبط كالبرمجة, ومعالجتهـا المعلومـات فـي الحاسـب الالكترونـي, وتتمثـل أهميـة اختبـارات الاسـتعداد فـي كونهـا الأداة الفعّالـة فـي التمييـز بـين الافـراد فـي القابليـات والاسـتعدادات التـي يمتلكونهـا, إذ إن الافـراد يختلفـون فيمـا يمتلكـون مـن استعدادات رياضية وقابليات الفهم والتحليل, وهكذا تتاح الفرصة امام الادارة فـي توجيـه الافـراد للعمـل الـذي يتناسـب مـع اسـتعداداتهم ولـيس مـع رغبـاتهم فقط, وتُعدُّ اختبـارات الاسـتعداد تنبـؤات للتقدم فـي العمـل المسـتقبلي أي مـن خلالها يمكن معرفة إمكان التطور لدى الافراد العاملين (نديم, ٢٠٠٨: ٨).

د. **اختبـارات الميـول للعمـل:** يقيس هذا النـوع مـن الاختبـارات مدى رغبـة المتقدم فـي أدائـه للعمل, ويعتقد أن الفرد الذي يميل الـى عمل معين سيبدع فـي ادائـه بسـرعة أكبـر مـن غيـره؛ لان قبولـه فـي هذه الوظيفـة سـيؤدي إلـى ارتياحــه نفسـيا وبالتـالي تخصـيص معظـم جهـده للتقـدم فـي مجـال عملـه, وهنـاك عدة طرق لصياغة الاسئلة بحسب الوظيفـة المطلوب معرفـة قدرات المتقـدمين علـى التحمـل ودرجـة الـولاء وكميـة الخطـر التـي سـتلحق بهـم (نديم, ٢٠٠٤: ٩).

هـ. اختبـارات الشخصـية: تقيس هذه الاختبارات بعض أوجه شخصية الفرد، أو مزاجه, وهي قريبة الشبه من اختبارات الميول من حيث إن كليهما لا يعطي الإجابة الصحيحة أو المخطوءة بدرجة واضحة, إذ إن اختبارات الميول تصمم للتنبؤ فيما اذا كان الفرد يرغب في أداء مهمة معينة, أما اختبارات الشخصية متصمم للتنبؤ فيما اذا كان الفرد له القدرة على تقبل المواقف المعقدة ومدى اندماجه بالآخرين، ونظرا لأهمية هذه الاختبارات الى جانب اختبارات الدوافع نحو العمل كتنبؤات لنجاح الفرد في العمل، فمن الضروري بذل الجهود اللازمة في بناء مقاييس صادقة لعملية الاختيار ولاسيما عند اختبار القادة الإداريين (الهيتي , ٢٠٠٣: ١٣٣).

و. اختبارات المهارة او الدقة: يتطلب العمل توافر درجة عالية من الدقة والمهارة في استخدام اصابع اليد وخاصة في تلك الاعمال المتعلقة بتجميع الاجزاء الدقيقة كصناعة الساعات, كذلك هناك اختبارات لقياس المهارة في استخدام الأيدي (حسن وسلطان, ٢٠١١: ١٥٣).

ي. اختبـارات الاتجاهـات: تهدف هذه الاختبارات الى قياس المواقف (الاتجاهـات) الفعليـة للشـخص مـن بعـض القضـايا العامـة والاشـخاص المحيطين بـه، ونظم العمل والمنظمـة بعامـة, اذ يساعد ذلك على معرفة الدرجة التي يمكن بها أن يتكيّف الشخص مع ظروف العمل المحيطة به في المستقبل (حسن و سلطان, ٢٠١١: ١٥١-١٥٣).

٤. المبادئ الرئيسية التي تحكم اجراء الاختبارات

هنـاك مبـادئ متعـددة لابـد مـن مراعاتهـا عنـد اجـراء الاختبـارات، التـي تتمثل بالآتي: (هاشم , ١٩٨٩: ١٧٠):-

أ. لابـد مـن أن يصـمم الاختبـار علـى أسـاس برنـامج جيـد لتحليـل الوظـائف، إذ إن الغـرض منـه التنبـؤ بالنجـاح الـوظيفي للشـخص فـي موقـف عمل معين, وبذلك لابد من البحث عن المتطلبات الرئيسة للنجاح في اداء العمل فـي ضـوء دراسـة مواصـفات الوظيفـة, فـاذا كـان المطلـوب هـو مسـتوى معين من القدرة على الاستدلال، فيمكن اختيار نوعٍ من اختبارات الذكاء التي تقـيس هـذه الخاصـية. امـا اذا المطلـوب هـو القـدرة علـى القيـادة وتحفيـز الآخرين، فيمكن اختيار نوعٍ من الاختبارات السيكولوجية المناسبة, وقد يكتفي بالمقابلة الشخصية؛ للكشف عن الخاصية المطلوبة .

ب. لابد من النظر الى الاختبارات على أنّها ادوات اضافية للاختيار، وليست الأساس الوحيد لاتخاذ قرار تعيين الفرد.

ج. المحافظـة علـى دقـة اجـراء الاختبـارات, وهـذه مسـؤولية الجهـاز المختص بشؤون الموارد البشرية في المنظمة والذي يقع على عاتقه مسؤولية الاشراف على تنظيم عمليـة الاختيـار ومتابعـة تنفيذها والعمل علـى تطـوير أساليب الاختبار أولا بأول .

د. تحليـل نتـائج الاختبـارات وتحديـد مـدى ثبـات نتائجهـا، وقيـاس مـدى صدقها, وتُعدُّ هذه من المسؤوليات المهمة لجهاز الموارد البشرية.

ثانيا : تقييم اداء العاملين في المكتبات ومراكز المعلومات

يعد تقييم اداء العاملين وظيفة اساسية من وظائف ادارة الافراد في المكتبات ومراكز المعلومات فهي عملية قياس لنقاط قوة الفرد وضعفه في الوظيفة أو العمل في مدة زمنية معينة وعلى وفق معايير محددة وهدفها قياس كفاية العاملين ومدى انجازهم للأعمال المكلفين بها، والحكم على سلوكهم وتصرفاتهم في العمل. إنّ عملية التقييم تتطلب وجود معايير يمكن استخدامها لقياس كفاية اداء العاملين في المكتبة لتحديد الانحرافات الناتجة عن هذه المعايير وتنقسم على خمسة انواع هي (همشري، ٢٠١١ : ٣٠٢-٣٠٣) :-

١ -معايير كمية تتعلق بكمية الانتاج.

٢ -معايير نوعية تتعلق بنوعية الاداء وجودته.

ج. معايير تكلفة تتعلق بالنفقات الضرورية على انجاز أحد الاعمال.

د. معايير زمنية تتعلق بالوقت اللازم للقيام بعمل معين.

هـ. معايير القيم المعنوية تتعلق بمجالات غير ملموسة مثل درجة اخلاص العاملين وولائهم للعمل في المكتبة او مركز المعلومات وروحهم المعنوية.

١. العوامل المؤثرة في معايير تقييم الأداء

هناك عدد من العوامل المؤثرة في معايير تقييم الأداء منها (القدال، ٢٠١٨ : ١٢-١٣) :-

اولا: العوامل المؤثرة في معايير الصفات الشخصية ومعايير وصف سلوكيات الافراد: تشمل

أ. صفة العمومية: إن معايير الصفات الشخصية ومعايير وصف سلوكيات الموارد البشرية تتسم بالعمومية، أي يجب توافرها في عدد كبير من القوى البشرية العاملة داخل المنظمة. وهذه العمومية تنعكس على عدد هذه المعايير وتجعلها قليلة العدد، إذ إن الصفات الشخصية (مثل: الانتماء والولاء للمنظمة) وسلوكيات الأفراد (مثل: الحفاظ على مواعيد الدوام) يشترك في هذه الصفات عدد كبير من القوى البشرية داخل المنظمة.

ب. سهولة ملاحظة وتقييم الصفات الشخصية وسلوكيات القوي البشرية: من المهم أن تتسم معايير الصفات الشخصية ومعايير سلوكيات القوي البشرية بالسهولة من حيث الملاحظة والتقييم، وذلك لتسهيل مهمة المكلف بعملية تقييم أداء الأفراد في المنظمة في تحديد مدى توافر هذه المعايير في الفرد محل التقييم أثناء العمل.

ج. إمكانية تمييز الصفات الشخصية، وسلوكيات القوي البشرية: فلابد من التعريف الواضح فضلا عن تحديد الأهداف للمعايير الخاصة بالصفات الشخصية، والمعايير الخاصة بوصف سلوكيات القوى البشرية، حتى لا يلتبس الأمر على القائم والمكلف بعملية تقويم الأداء .

ثانيا: العوامل المؤثرة في معايير النتائج المتوقعة لأداء القوي البشرية في المنظمة:

إن الهدف من وضع معايير تقييم أداء الأفراد في أية منظمة هو أن تكون هذه المعايير ذات فعالية وكفاية، ولكي تكتسب المعايير صفات الفعالية والكفاية لابد من توافر الكثير من المواصفات والشروط فيها، ومن أهم هذه المواصفات وتلك الشروط الآتي (همشري, ٢٠١١: ١٥) :-

أ. أن تتسم معايير النتائج المتوقعة لأداء الأفراد بالوسطية، أي لا تكون مرتفعة جدًا فيكون من الصعب على الأفراد الوصول إليها كما ذكرنا سابقا، مما يسبب لهم الإحباط أو الإخفاق، وتتأثر في التالي العملية الإنتاجية، ولا تتسم المعايير أيضا بالانخفاض فيكون بإمكان أي فرد الوصول إليها، فيضعف الحافز على زيادة الإنتاج؛ بل وجودته، وهذا ليس في صالح العملية الإنتاجية بكل تأكيد .

ب. أن تتسم معايير النتائج المتوقعة لأداء القوى البشرية بالدقة؛ لكي تتيح للمقوم الاعتماد عليها في عملية التخطيط والرقابة لعملية تقويم الأداء، ومن ثم إمكان المحاسبة العادلة للقوى البشرية محل التقييم .

ج. أن تتسم معايير النتائج المتوقعة لأداء القوى البشرية بالإمكان مراجعتها بين الحين والآخر، وتماشيها مع التغيرات التي قد تحدث في العمل داخل المنظمة، والتأكد من أنها مازالت تتحلّى بالوسطية، وإمكان تحقيقها على أرض الواقع العملي .

٢. خطوات تقييم اداء العاملين في المكتبات ومراكز المعلومات

تمر عملية تقييم اداء العاملين في المكتبات ومراكز المعلومات بثلاث خطوات اساسية وهي على النحو الآتي (ربحي، ٢٠٠٢: ٣٣٨-٣٣٩) :-

اولا: تحديد مقياس معياري للأداء يمكن اعتماده في الحكم على الاداء الفعلي لكل موظف في المكتبة او مجموعة موظفين في قسم معين ويجب تحديد هذا المقياس قبل البدء بعملية التقويم ويجب ان يعرف عنه العاملين في المكتبة مسبقا ويكون واضحا وقابلا للقياس .

ثانيا: قياس الاداء الفعلي للعاملين من خلال جمع المعلومات عن معدلات الاداء الفعلية للعاملين ويجب ان تكون دقيقة، وذات علاقة بعمل الشخص وتغطي كامل المدة الزمنية التي تجري على أساسها عملية التقويم .

ثالثا: مقارنة الأداء الفعلي للعاملين بمعدل قياس الاداء، وتحديد حجم الانحراف عن المعدل، أهميته وأسبابه ووسائل علاجه .

الجانب العملي للبحث

تحليل الاستبانة

وزعت استبانة على الموظفين العاملين في الأمانة العامة للمكتبة المركزية لجامعة بغداد/ الجادرية وبلغت عدد الاستمارات التي وزعت (٥٠) استبانة وتم استرجاعها بالكامل ويمكن تحليل محاور الاستبانة، من الجداول التي سوف يتم ادراجها بكل محور من المحاور الخاصة بالاستبانة.

اولا: إجراءات اختيار وتعيين العاملين

بلـغ المتوسـط العـام لهـذا المتغيـر (٤,١٢) بـانحراف أعلـى مـن معيـار الاختبـار البـالغ ٣ حيـث بلـغ (٠,٨٧٨) ونسـبة اتفـاق بلغـت (٨٢,٤٪) فـي حين ان متوسط أسس الاختيار وأداء العاملين اجمالا بلغ (٤,٣٧) وهو أعلى من المتوسط الفرضي بانحراف (٠,٧٠٥) ونسبة اتفاق (٨٧,٤٪) والجدول الاتي يوضح ذلك .

السؤال	اتفق تماما	اتفق	محايد	لا اتفق	لا اتفق تماما	المتوسط	الانحراف المعياري	شدة الإجابة ٪
١	٠	٠	٦	٨	٣٦	٥	٠,٧٢٨	٩٤
٢	٤	٢	١٥	١٢	١٧	٣	١,٠٣٥	٦٠
٣	٢	٠	١٦	١٧	١٥	٣	٠,٨٨٦	٦٠
٤	١	١	٩	١٥	٢٤	٤	٠,٨٣٣	٨٠
٥	١	١	١٣	١٤	٢٣	٤,١٩	٠,٨٤٢	٨٢
٦	٣	٢	١٧	١٢	١٦	٤	٠,٩١٨	٨٠
٧	١	٠	١٦	١٥	١٨	٤	٠,٩٠٤	٨٠
٨	٢	١	١٨	١٧	١٢	٣	٠,٨٠٨	٦٠
٩	١	٠	٨	١٦	٢٥	٤,٣٠	٠,٨١٤	٨٦,٠
١٠	٢	١	٩	٩	٢٩	٤	٠,٨٣٥	٨٨
١١	٢	١	١١	١	٣٥	٤,٣٨	٠,٨٨٦	٨٩
أسس اختيار وتعيين العاملين x2						٤,١٢	٠,٨٧٨	٨٢,٤
أسس اختيار العاملين وادائهم x						٤,٣٧	٠,٧٠٥	٨٧,٤

الجدول (١) يبين نتائج إجابات عينة البحث لمتغير أُسس اختيار العاملين

يتضح من الجدول السابق ما يلي :-

١ -بلغ أعلى متوسط إجابة(٥) للمتغير الأول الذي ينص على (أن أُسس اختيارك للتعيين اعتمدت على ملاءمة تخصصك مع احتياجات المكتبة)، إذ بلغت نسبة الاتفاق (٩٥٪) وبانحراف (٠,٧٢٨) يليه المتغيران العاشر، والحادي عشر اللذان ينصان على أن (طريقة اخضاعك للاختبارات العلمية، والعملية تمت بطرقة علمية مدروسة من قبل لجنة الاختبار) و(الفترة التجريبية المحددة لاختبارك كافية من وجهة نظرك للتنبؤ بأدائك المستقبلي) إذ بلغ متوسط الاجابة (٤,٣٨) و (٤) وبنسبة إجابة ايجابية(٨٩٪) و (٨٨٪) على الترتيب .

٢ -بلغ اقل متوسط اجابة(٣) للمتغير الثامن الذي ينص على (ان اجتيازك للاختبارات التي خضعت لها يُعدُّ من أُسس قبولك للتعيين في المكتبة) إذ بلغت نسبة الاتفاق (٦٠٪) وبانحراف معياري بلغ (٠,٨٠٨) .

ثانيا : أداء العاملين في المكتبة

إنّ المتوسط العام لإجابات عينة البحث لمتغير أداء العاملين بلغ (٤,٦٣) وهو أعلى من معيار الاختبار البالغ (٣) بانحراف معياري (٠,٥٣٣) وهذا يدلُّ أن أغلب العاملين متفقين بنسبة (٩٢,٦٪) والجدول التالي يوضح ذلك .

السؤال	اتفق تماما	اتفق	محايد	لا اتفق	لا اتفق تماما	المتوسط	الانحراف المعياري	شدة الإجابة ٪
١	١	١	١	١٠	٣٧	٥	٠,٥٢٧	٩٩
٢	٠	١	٦	٤	٣٩	٤,٤٤	٠,٦٥٨	٩٢
٣	٠	٠	٤	٨	٣٨	٤,٦٦	٠,٤٧٦	٩٤
٤	٠	٢	٤	٢٠	٢٤	٤	٠,٥٠٥	٨٠
٥	١	١	٢	١٧	٢٩	٤,٦٨	٠,٥٣٨	٩٢
٦	٠	١	٣	١٢	٣٤	٤,٣٠	٠,٥٤٤	٨٦
٧	٠	١	١	١٦	٣٢	٤,٥٠	٠,٤٦٣	٩٠
٨	٠	١	٦	١١	٣٢	٤,٥٨	٠,٥٥١	٩١
أداء العاملين في المكتبة x1						٤,٦٣	٠,٥٣٣	٩٢,٦

الجدول (٢) يبين التحليل الاحصائي الوصفي لإجابات المبحوثين لمتغير أداء العاملين

يتضح من الجدول السابق ما يلي :-

أ -ان اعلى متوسط إجابة بلغ ٥ بانحراف معياري ٠,٤٧٦ ونسبة إجابة ٩٩٪ للفقرة الاولى من هذا المتغير التي تنص (ان طبيعة اداءك في المكتبة يتطلب القيام بأداء عملك بالجودة والدقة والسرعة المطلوبة).

ب -إنّ أقل متوسط إجابة بلغ ٤ بانحراف ٠,٥٠٥ ونسبة إجابة (٨٠٪) للفقرة الرابعة التي تنص (تقدم التعليمات والقوانين التي يجب اتباعها عند ارتياد المستفيدين للمكتبة).

ثالثا : الخدمات التي تقدمها المكتبة

بلغ متوسط إجابات هذا المتغير اجمالا (٤,٣٤) وهو أعلى من معيار الاختبار البالغ (٣) بانحراف (٠,٦٧٧) ونسبة اتفاق للعينة (٨٦,٨٪) الا ان هذا المتوسط يقل عن متوسط فقرات أداء العاملين من وجهة نظر المبحوثين والجدول التالي يوضح نتائج إجابات العينة لفقرات هذا المتغير.

السؤال	اتفق تماما	اتفق	محايد	لا اتفق	لا اتفق تماما	المتوسط	الانحراف المعياري	شدة الإجابة ٪
١	٠	١	٤	٦	٣٩	٥	٠,٣٦٤	١٠٠
٢	٠	١	٤	١١	٣٤	٤,٤٦	٠,٤٧٧	٩٢
٣	١	٠	٥	٣١	١٣	٤	٠,٤٨٦	٨٦
٤	٠	١	١٥	٢٢	١٢	٣,٥٠	٠,٧٨٩	٧٠
٥	٠	٢	١١	٢٢	١٥	٤,١٢	٠,٧٧٣	٨٢,٤
٦	٠	٣	١٤	١٢	٢١	٤,٢٢	٠,٨١٥	٨٤,٤
٧	٠	٣	١٣	١٦	١٨	٤,١٦	٠,٨١٧	٨٣,٢
٨	١	٢	٨	١٠	٢٨	٤,٥٨	٠,٧٨٨	٩١
الخدمات التي تقدمها المكتبة y						٤,٣٤	٠,٦٧٧	٨٦,٨

الجدول (٣) يبين تحليل إجابات عينة البحث لمتغير الخدمات التي يقدمها العاملين في المكتبة

يتضح من الجدول السابق ما يأتي :-

١ - بلغ أعلى متوسط إجابة(٥) للمتغير الاول الذي ينص على (الخدمات التي تقدمها المكتبة للمستفيدين تتناسب مع احتياجاتهم العلمية والبحثية) إذ بلغت نسبة الاتفاق (١٠٠٪) وبانحراف (٠,٣٦٤) يليه المتغيران الثاني و الثامن اللذان ينصان على أنّ (مصادر المعلومات التي توفرها المكتبة تلبي احتياجات المستفيد من وجهة نظرك) و(المكتبة توفر خدمات الكترونية التي تؤدي الى توفير الوقت والجهد المبذول من قبلك في تلبية احتياج المستفيدين للمصادر المعلومات المتوفرة فيها) إذ بلغ متوسط الاجابة (٤,٤٦) و(٤,٥٨) وبنسبة إجابة ايجابية(٩٢٪) و (٩١٪)على الترتيب .

٢ -بلغ أقل متوسط اجابة(٣,٥٠) للمتغير الرابع الذي ينصُّ على (مصادر المعلومات التي توفرها المكتبة بحاجة الى استبدالها بمصادر اخرى اكثر تخصصا منها) إذ بلغت نسبة الاتفاق (٧٠٪) وبانحراف (٠,٧٨٩).

ثانيا : التحليل الاحصائي

لغرض التحقق من فرضيات البحث تم إيجاد معاملات الارتباط وتحليل الانحدار للتحقق من اثر أداء واسس اختيار العاملين في خدمات المكتبة وفيما يلي تلك النتائج :-

١ -معاملات الارتباط بين متغيرات البحث

المتغير	أداء العاملين x1	أسس اختيار وتعيين العاملين x2	اختيار العاملين وأدائهم x
أداء العاملين في المكتبات الجامعية y	٠,٧٢٢**	٠,٧٢٤**	٠,٧٤٢**

الجدول (٤) يبين معاملات الارتباط بصيغة سبيرمان

بين متغيرات البحث

**** تعني ان القيمة معنوية بثقة ٩٩٪**

يتضح من الجدول السابق ما يأتي :-

١ -هناك علاقة طردية ذات دلالة احصائية معنوية بدرجة عالية بين اختيار العاملين وادائه اجمالا مع الخدمات التي تقدمها المكتبة من وجهة نظر عينة البحث .

٢- إنّ تلك العلاقة أيضا كانت معنوية عالية مع المتغيرات الفرعية إلا أنّ أسس الاختيار كانت أقوى بقليل لما هو علية لمتغير أداء العاملين .

٢ -أثر (دور) اختيار العاملين وادائهم في أداء المكتبات الجامعية

تشير نتائج الجدول التالي لأثر (دور) متغير اختيار وأداء العاملين في خدمات المكتبة ان هناك إذ إن أية زيادة بمقدار وحدة واحدة في اختيار وأداء العاملين فان خدمات المكتبة تزداد بمقدار ٠,١٨٤ وان عينة البحث تؤكد ان نسبة٥٥,١٪ من الأثر في الخدمات التي تقدمها المكتبة سببه أداء واختيار العاملين والجدول التالي يوضح تلك النتائج :

المتغير المستقل	معامل التحديد R^2	معامل الانحدار (الأثر) β	قيمةt المحسوبة	قيمة F المحسوبة	مستوى الدلالة P	طبيعة العلاقة
أداء العاملين x1	٠,٥٢١	٠,١٩٨	٢,١٨٤*	٤,٧٧٠*	٠,٠٣٢	معنوية
أسس اختيار وتعيين العاملين x2	٠,٥٢٤	٠,٢٧٠	٢,٢١١*	٤,٨٨٨*	٠,٠٣٠	معنوية
اختيار العاملين وادائهم x	٠,٥٥١	٠,١٨٤	٢,٢٢٦*	٤,٩٥٥*	٠,٠٢١	معنوية

الجدول (٥) يبين دور(اثر) اختيار وأداء العاملين في الخدمات التي تقدمها المكتبة

مع العلم ان قيمة t و F الجدولية هما ١,٦٧١ و ٤,٠٠١ عند مستوى ٠,٠٥.

يتضح من الجدول السابق ما يأتي :-

١ -إن أداء العاملين له دور معنوي في الخدمات التي تقدمها المكتبة إذ إن كل زيادة بمقدار وحدة واحدة في أداء العاملين فان الخدمات المكتبية تزداد بمقدار ٠,١٩٨ وان نسبة هذا الدور هي ٥٢,١٪ وان قيمة t المحسوبة للأثر بلغت ٢,١٨٤ وهي اكبر من نظيرتها الجدولية البالغة ١,٦٧١ عند مستوى ٠,٠٥ وان مستوى الدلالة P ٠,٠٣٢ هو اقل من ٠,٠٥ والذي يوشر معنوية العلاقة

٢ -كم ان النتائج تشير ان أسس اختيار وتعيين لعاملين لها اثر في الخدمات التي تقدمها المكتبة اذ بلغت نسبة هذا الأثر ٥٢,٤٪ وان

أي زيادة في أُسس الاختيار بمقدار وحدة واحدة فان تتطور خدمات المكتبة بمقدار ٠,٢٧٠ وان قيمة اختبار t المحسوبة للأثر البالغة ٢,٢١١ اكبر من نظيرتها الجدولية البالغة ١,٦٧١عند مستوى ٠,٠٥ وان قيمة F المحسوبة للعلاقة البالغة ٤,٨٨٨ كانت اكبر من نظيرتها الجدولة البالغة ٤,٠٠١ عند مستوى ٠,٠٥.

ثالثا : الصدق والثبات

سيتم حساب مؤشرين لصدق وثبات مقياس الاستبانة وهما :

أ -معامل الفا كرونباخ Alpha Cronbach

الفا كرونباخ	المتغير
٠,٦٨١	أداء العاملين x1
٠,٦٥٥	أسس اختيار وتعيين العاملين x2
٠,٦٤٣	اختيار العاملين وادائهم x
٠,٧٥٩	أداء العاملين في المكتبات الجامعية y

ملاحظة: هناك اجماع علمي ان القيمة المقبولة هي ٠,٦٠ وما زاد عنها هو أفضل لصدق مقياس الاستبنانَه وثباته .

اختبارات الصدق والثبات :

اجريت على استمارة الاستبيان الاختبارات الاتية للتحقق من صدقها وثباتها وعلى النحو الآتي :

١- اختبار صدق المحتوى: ويقصد به قدرة الاستبانة للتعبير عن الهدف الذي صممت من أجله. هناك عدة طرائق احصائية لقياس صدق الاستبانة (The comparison of Extreme Groups) أهمها وأكثرها شيوعا ودقة هي طريقة المقارنة الطرفية وتتلخص فكرة هذه الطريقة بترتيب نتائج الاستبيان ترتيبا تصاعديا وتقسم الى مجموعتين ويتم اختيار ٢٧٪ من أعلى الدرجات كمجموعة أولى و ٢٧٪ من أوطأ الدرجات كمجموعة ثانية ويتم احتساب بالصيغة الاتية: t اختبار

$$t = \frac{\bar{x}_1 - \bar{x}_2}{\sqrt{\frac{S_1^2}{n_1} + \frac{S_2^2}{n_2}}}$$

هما متوسط المجموعة الاولى ومتوسط المجموعة الثانية $\bar{x}_2, \bar{x}_1$

هما تباين المجموعة الاولى وتباين المجموعة الثانية S_2^2, S_1^2

فاذا تبين ان(n1+n2-2) المحسوبة مع القيمة الجدولية عند مستوى دلالة معين ودرجة حرية t ثم تقارن قيمة المحسوبة أكبر من الجدولية فهناك فروق بين المتوسطين ويكون الاستبيان صادقا في قياسه والعكس صحيح

ب- اختبار ثبات الاستبانة: يقصد بالثبات أن مقياس الاستبانة يعطي النتائج أنفسها لمواعيد تطبيقها على مجتمع الدراسة نفسه بعد مدة من الزمن. وتوجد طرائق احصائية عدة لبيان مدى ثبات مقياس الاستبيان وتعتمد جميعها على فكرة) وهي (Guttman L.A معامل الارتباط ومن اهم الصيغ واكثرها صلاحية وشيوعا هي صيغة جتمان

$$R = 2(1 - \frac{S_1^2 + S_2^2}{S^2})$$

معامل الثباتR

تباين درجات الاسئلة الفردية S_1^2

تباين درجات الاسئلة الزوجية S_2^2

تباين درجات جميع الاسئلة S^2

والجدول التالي يبين نتائج الصدق ومعامل الثبات

الاستبيان	t المحسوبة (الصدق)	معامل الثبات
أداء العاملين	٧.53	0.82
أسس اختيار وتعيين العاملين	7.30	0.78
أداء المكتبات الجامعية	7.778	0.71
الاجمالي	7.42	0.777

مع العلم ان القيمة الجدولية لاختبار الصدق (١,٦٤٥) فيتضح ان القيمة المحسوبة كانت اكبر من الجدولية وهذا يؤكد صدق مقياس الاستبانة . كما ان معامل الثبات أكثر من ٠,٥ الذي يؤكد ثبات مقياس الاستبانة.

المبحث الرابع: الاستنتاجات والتوصيات

اولا: الاستنتاجات

بعد المقابلة التي اجريت مع إدارة المكتبة عينة البحث فضلا عن تحليل نتائج الاستبانة توصل البحث الى مجموعة من الاستنتاجات نذكرها على النحو الآتي:-

١. تعتمد المكتبة على معايير معينة في اختيار وتعيين العاملين وهي معيار التخصص العلمي والشهادة العلمية للمتقدم للتعيين اي يتم اختيار ذوي اختصاص معلومات ومكتبات ومن حملة شهادة البكلوريوس كحد أدنى. أما المتقدمين من تخصصات اخرى يتم وضعهم كمساعدين لذوي الاختصاص بعد توزيعهم على اقسام المكتبة .

٢. تقوم ادارة المكتبة باختبارات للمتقدمين للتعيين في المكتبة تتعلق بسنة التخرج والخبرة التي يمتلكها في مجال عمله واللياقة واللباقة والهندام والابتسامة بعدها عناصر لها دور ايجابي في شعور المستفيدين بالارتياح في أثناء ترددهم الى المكتبة .

٣. تقوم ادارة المكتبة باختبارات للعاملين بعد تعيينهم من خلال تدوير العمل في اقسامِ المكتبة حيث تقوم بتوزيع العاملين على أقسامها ووضعه في القسم لمدة ستة أشهر ثم ينقل الى قسم آخر، وهكذا لمعرفة جوانب القوة وتشخيص جوانب الضعف التي يعاني منها الموظف المكلف في القسم المعني .

٤. توجد دورات تدريبية يقوم بها مركز التعليم المستمر في الجامعة التابعة لها المكتبة وهي جامعة بغداد تكون الدورات في مجال التخصص وغير التخصص .

٥. ان دخول الموظفين للدورة ليس بهدف تطوير مهاراتهم وخبراتهم وانما لغرض الحصول على العلاوة والترفيع لزيادة الراتب الشهري له .

٦. لا تقدم ادارة المكتبة حوافز تشجيعية سواء كانت مادية او معنوية لتشجيع على الاداء المتميز وتطوير مهاراته لتقديم افضل الخدمات للمستفيدين من المكتبة.

٧. توجد قوائم لتقييم اداء الموظفين وتحتوي على عدة حقول تخص العمل ومستوى أدائه وطبيعة العمل المنجز وسرعته ونشاطاته من دورات وورش وكتب شكر وتقدير وغيرها من المشاركات حيث يبت بها الامين العام للمكتبة و يتم رفع هذه الاستمارة الى شعبة ضمان الجودة والاداء الجامعة؛ لتقويم اداء كل موظف في المكتبة .

٨. إنّ أداء الموظف لا يخضع للتقويم وإنّما يتم توجيه النصح والارشاد للموظف لتقويم سلوكه واداءه وفي حالة عدم الاستجابة لها يتم نقله الى موقع المكتبة في الجادرية.

٩. تعاني المكتبة من ضعف التخصيصات المالية التي تشكل عائقا أمام مكننة أعمالها التي تؤدي الى سرعة اداء العاملين وتسهيل وصول المستفيدين الى احتياجاتهم البحثية بسهولة ويسر .

ثانيا : التوصيات

من اهم التوصيات التي تم وضعها بناء على الاستنتاجات التي توصل اليها البحث هي الآتي :-

١ -اضافة المعايير المعتمدة من ادارة المكتبة في اختيار العاملين وتعيينهم وهي معيار التخصص العلمي والشهادة العلمية لابد من الاهتمام باختيار الموظف المحب لعمله ولمهنة المكتبات بخاصة .

٢- تشجيع الموظفين على الدخول للدورة ليس بهدف الحصول على العلاوة والترفيع لغرض لزيادة الراتب الشهري له وانما تشجيعه على تطوير مهاراتهم وخبراتهم من خلال تقديم الدعم المادي والمعنوي .

٣ -تقويم اداء الموظف بعد تشخيص نقاط الضعف التي يعاني منها سواء فيما يتعلق بأدائه وسلوكه وتعامله مع الاخرين من خلال زجه في دورات تدريبية وتطويرية ذات علاقة بنقاط الضعف التي يعاني منها.

٤ -توفير التخصيصات المالية التي تتلاءم مع احتياجات المكتبة لتحقيق الكفاية والدقة والسرعة في تلبية احتياجات المستفيدين منها .

المصادر :

الكتب

١. أبو شيخة, نادر أحمد (٢٠٠٠), " **ادارة الموارد البشرية** ", الطبعة الاولى, دار صفاء للنشر والتوزيع, عمان .

٢. الهيتي, خالد عبد الرحيم مطر (٢٠٠٣), " **أدارة الموارد البشرية – مدخل استراتيجي** ", الطبعة الاولى, دار وائل للنشر والتوزيع , عمان .

٣. حسن, راوية, و سلطان, محمد سعيد (٢٠١١), " **ادارة الموارد البشرية – تنمية المديرين– تقييم الاداء– المتغيرات البيئية– تعويضات الافراد**", الطبعة الاولى, دار التعليم الجامعي, الاسكندرية.

٤. ربابعة, علي محمد (٢٠٠٣), " **ادارة الموارد البشرية – تخصص نظم المعلومات الادارية** ", الطبعة الاولى, دار صفاء للنشر والتوزيع, عمان.

٥. ربحي, مصطفى عليان (٢٠٠٢), " **ادارة وتنظيم المكتبات ومراكز مصادر التعلم**",الطبعة الاولى, دار صفاء للنشر والتوزيع, عمان.

٦. زويلف, مهدي حسن (٢٠١٠), " **أدارة الافراد** ", الطبعة الاولى , مكتبة المجمتع العربي, عمان .

٧. هاشم, محمود (١٩٨٩), " **ادارة الموارد البشرية** ", الطبعة الاولى, ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع, عمان.

٨. همشـــري، عمـــر احمـــد (٢٠١١), " الادارة الحديثـــة للمكتبـــات ومراكـز المعلومـات ", الطبعـة الاولـى, دار صـفاء للطباعـة والنشـر والتوزيع, عمان .

الاطاريح

٩. عدوان, منير زكريا أحمد (٢٠١١), "**واقع سياسة الاختيـار والتعيين وأثرهـا علـى المسـار الـوظيفي للعـاملين فـي المصـارف العاملـة فـي قطاع غزة**", قدم هذا البحث استكمالا لمتطلبات الحصـول علـى درجـة الماجســتير فـــي ادارة الاعمـــال, ادارة المـــوارد البشـــرية, الجامعـــة الاسلامية- غزة.

البحوث والمقالات

١٠. البـدور, لمـيس ريـاض, والنابلســي, زينــب (٢٠١٩), " **عمليــات التعيـين الفعالـــة واثرهـــا فـــي اختيـــار المـــوارد البشـــرية** ", المجلـة الالكترونيــة الشــاملة متعــددة المعرفــة لنشــر الابحــاث العلميــة والتربوية, العدد التاسع .

١١. القـدال، حسـام الـدين عـوض الله احمـد (٢٠١٨),"**معـــايير تقيـــيم الأداء للمهنيين فـي المكتبـات الجامعيـة: دراسـة حالـة المكتبـات الجامعيـة – ولايـة الخرطـوم**", مجلـة حوليـة المكتبـات والمعلومـات، ع ٢، ص ١٢-١٣.

١٢. نديم, زينب شكري محمود (٢٠٠٨), " **اثر عملية الاختيار والتعيين في انخفاض معدل دوران العمل (دراسة حالة في مصرف الشرق الاوسط العراقي للاستثمار)**", مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة , العدد ١٦ , الصفحات ١٨٨-٢١٧.

ملحق رقم (١)

استمارة الاستبانة

السادة الموظفين الأعزاء ...

تحية طيبة ......

نعرض على جنابكم الاستبانة المتعلقة بالبحث الموسوم " **اثر اجراءات الاختيار والتعيين على تقويم اداء العاملين في المكتبات الجامعية: دراسة حالة للمكتبة المركزية لجامعة بغداد** "، إذ تهدف إلى التعرف على اجراءات اختيار وتعيين العاملين من خلال فحص طلباتهم والاختبارات التي يخضعون لها ومدى تأثير ذلك على دوران العمل . نرجو الإجابة عليها بدقة وكلنا ثقة في تعاونكم معنا، علما ان المعلومات التي تقدموها لنا ستعامل بسرية تامة، وستستعمل لأغراض البحث العلمي فقط، لا حاجة لذكر الأسماء .

وتقبلوا فائق الاحترام والتقدير

الباحثتان

الرقم	اسس اختيار العاملين	اتفـق تماما	اتفق	محايد	لا اتفق	لا اتفق تماما
١	ان اسس اختيارك للتعيين اعتمدت على ملائمة تخصصك مع احتياجات المكتبة .					
٢	ان اسس اختيارك للتعيين تم على اساس ملائمة شهادتك العلمية مع احتياجات المكتبة .					
٣	ان اسس اختيارك للتعيين تم بناء على مؤهلاتك العلمية وخبراتك في مجال العمل المكتبي .					
٤	ان متغير الجنس كان ضمن اسس الاختيار المعتمدة في التعيين من قبل لجنة الاختيار.					
٥	قامت لجنة الاختبار بإخضاعك الى اختبارات ذات علاقة في مجال عملك المكتبي كأساس من اسس قبولك للتعيين في مكتبتك.					
٦	ان اسس اختيارك للتعيين تم بناء على نجاحك في اختبارات الذكاء والاختبارات الاخرى التي خضعت لها.					
٧	ان الهدف من اخضاعك للاختبارات هو قياس مدى توفر المهارات المهنية التي يجب توافرها في المرشحين لأداء واجباتك بكفاءة وفاعلية.					
٨	ان اجتيازك للاختبارات التي خضعت لها يعد من اسس قبولك للتعيين في المكتبة					
٩	وفرت لجنة الاختيار فرصة اظهار كافة معارفك وقدراتك ومهاراتك بثقة وبدون تردد.					
١٠	ان طريقة اخضاعك للاختبارات العلمية والعملية تمت بطرقة علمية مدروسة من قبل لجنة الاختبار.					
١١	الفترة التجريبية المحددة لاختبارك كافية من وجهة نظرك للتنبؤ بأدائك المستقبلي					

الرقم	اداء العاملين في المكتبة	اتفـــق تماما	اتفق	محايد	لا اتفق	لا اتفق تماما
١	ان طبيعة اداءك في المكتبة يتطلب القيام بأداء عملك بالجودة والدقة والسرعة المطلوبة .					
٢	ان طبيعة اداءك في المكتبة يتطلب قيامك بالتطوير والتحسين المستمر لمهاراتك وخبراتك .					
٣	ان الاعمال المكلف بها تتلاءم مع مؤهلاتك العلمية وقدراتك في انجاز العمل .					
٤	تقدم التعليمات والقوانين التي يجب اتباعها عند ارتياد المستفيدين للمكتبة					
٥	عدد العاملين في المكتبة يتلاءم مع اعداد المستفيدين من حيث تلبية احتياجاتهم					
٦	لديك القدرة على تقديم المساعدة للمستفيدين اثناء تواجدهم في المكتبة.					
٧	لديك القدرة على تحليل الاحتياجات البحثية للمستفيدين وارشادهم الى المصادر التي تتلاءم مع احتياجاتهم .					
٨	تمتلك روح التعاون والتفاهم في تعاملك مع المستفيدين					

ملحق (٢)

اسئلة المقابلة

١ -هل يتم الاعتماد على معايير معينة عند اختيار وتعيين العاملين فما تلك المعايير؟

٢ -هل تقوم ادارة المكتبة باختبارات معينة قبل تعيين العاملين ما طبيعة تلك الاختبارات؟

٣ -هل يتم اجراء اختبارات للعاملين بعد التعيين، للتعرف على نقاط الضعف لديهم لمعالجتها وما طبيعة تلك الاختبارات؟

٤ -هل تقوم إدارة المكتبة على تنظيم دورات تدريبية لتطوير مهارات العاملين؟ ما نوع هذه الدورات وكم عددها .

٥ -ان الدورات التدريبية تشمل كافة الموظفين وبحسب المستوى والتخصص في المكتبة .

٦ -تقدم إدارة المكتبة حوافز تشجيعية مقابل الأداء المتميز للموظفين في المكتبة؟ ما الحوافز المقدمة للعاملين في المكتبة.

٧ -هل تقوم ادارة المكتبة بعملية تقييم الاداء للملاك الوظيفي ما الطرائق التي تتبعها في تحقيق ذلك؟

٨ -هل تقوم ادارة المكتبة بتقويم اداء الملاك الوظيفي وما الطرائق التي تستعملها في تحقيق ذلك؟

رؤية استراتيجية فـــــي
التقويم الذاتي والجودة للمؤسسات المتميزة

رئيس مهندسين اقدم
سعد زكي أحمد العبيدي

الملخص :

إنّ التقـويم الـذّاتي هـو عمليّـةُ التّعـرّفِ علـى مـواطنِ القـوّةِ والضّـعفِ لجميعِ العاملينَ في المؤسّسةِ (الهيئـةِ) مـن خـلالِ تقييمِ جوانـبِ الأداءِ وِفقَ قواعدِ ومعاييرِ الجودةِ التي تضعُها، حيثُ تكمَنُ قوّة التقويم الذاتيّ فـي أنّـهُ يمكّنُ المؤسّسـةَ منَ التّعرفِ علـى إحتياجاتِها والمواردِ المتاحـةِ لهـا، وبنـاءِ معـاييرَ مهنيّـة مـن خـلالِ الرّؤيـةِ الاسـتراتيجيّةِ التـي ترغَبُ الوصـولَ اليهـا مُستقبلا، والرّسـالةَ التـي تريدُ تحقيقها الانَ مـن خـلالِ أهدافِها المرحليّـةِ. توضَعُ جميعُها في إطارٍ تنفيذيّ حقيقـيّ وزمنـيّ، وهذا ما يُلزِمُ المؤسّسات تركَ آلياتِ تقييمِ الأداءِ التّقليديّ لأنّه لا يتماشـى مـع مبادئـها واعتمـادِ نظامٍ يربطُ التقويم الذاتيّ بجَودةِ الأداءِ، واعتمادِ المنهجِ الوصفيّ باستخدامِ دليلِ التقويم الـذاتيّ ومعاييرِ الجودةِ الموضوعةِ وِفقَ الاسـتراتيجيّةِ المُتّبعـةِ فـي المؤسّسةِ.

وجميعُ هذهِ الأمورِ مذكورةٌ فقراتها في البحثِ بالتفصيلِ.

ويسـعى البحـثُ الـى إحـداثِ تطـويرٍ نـوعيّ لـدورةِ العمـلِ بمـا يُلائـمُ المستجدّاتِ الإداريـةِ ويواكبُ التطوراتِ السّـاعيةِ لتحقيـقِ التميّـزِ فـي كافـةِ العمليّاتِ التي تقومُ بها المؤسسةُ.

المقدمة :

التقويم الذاتي عملية التعرف على مواطن القوة والضعف، عبر التقويم جوانب الأداء كافة. ومعرفة مدى المشاركة الفاعلة لجميع العاملين قياسا على مؤشرات وقواعد ومعايير الجودة الموضوعة من المؤسسة (الهيئة) وفقا لرؤيتها، وسبب وجودها، وتكمن قوة التقويم الذاتي في أنه يُمكن المؤسسة (الهيئة) من التعرف على احتياجاتها والموارد المتاحة لها. ويفترض التقويم الذاتي ان العاملين كافة يقومون بمساهمة تهدف الى استمرار تطوير تلك المؤسسة (الهيئة).

الرؤية التي طرحها البحث تتلخص في بناء معايير مهنية للمؤسسة تتأطر أولا بالرؤية الاستراتيجية التي ترغب المؤسسة في الوصول اليها مستقبلا و الرسالة التي تريد تحقيقها الآن من خلال أهدافها المرحلية توضع جميعا في إطار تنفيذي حقيقي ومزمن، وهذا يلزم المؤسسات مغادرة آليات تقويم الأداء التقليدي؛ لأنه لا يتماشى مع مبادئها، واعتماد نظام آخر يربط التقويم الذاتي بجودة الاداء عبر :

١ -إيجاد دليل عمل للتقويم الذاتى: يعرض عملية التقويم الذاتي وأدواته المختلفة، وطرئق تطبيقه، بوصفهِ خطوةً أولى ومهمة نحو تحقيق الجودة لمؤسساتنا ودوائرنا ويفيد العاملين في تصميم ومراجعة خطة تحسين الاداء.

٢ -تشكل فريق التقويم الذاتى بالمؤسسة (الهيئة): للتعريف بأدوار فريق التقويم الذاتى، وتحديد خطوات تطبيق مراحل التقويم الذاتى، ووضع نماذج من أساليب جمع البيانات المستخدمة فى التقويم الذاتي فى

ضوء معايير الجودة ،والتعريف بالخطوات الإجرائية التي تساعد على تحسين الأداء فى ضوء معايير الجودة.

٣ -وضع خطة لتحسين الأداء فى ضوء أولويات فجوات الأداء.

٤ -إصدارتقرير فريق تقويم الاداء الذاتي يحكم جودة الاداء ويقُوم خطة تحسين الأداء.

إعتمد البحث المنهج الوصفي، باستخدامه دليل التقويم الذاتي المرفقة فقراته في البحث الحالي ومعايير الجودة الموضوعة على وفق الاستراتيجية المتبعة في المؤسسة (الهيئة)، أما الاستنتاجات التي توصل اليها البحث:

١- تهدف الجودة الى تحقيق رضا عملائها ومن ثَمّ فإن درجة الرضا لديهم تعد معيارا يمكن الحكم من خلاله على مستوى الأداء .

٢- إشاعة مبدأ مشاركة العاملين في عمليات اتخاذ القرارات والذي يعطي لجميع الأفراد حق التقويم الذاتي، كما يمنح هذا المبدأ للأفراد حق المشاركة في وضع نظام تقييم الأداء وكذلك المشاركة في وضع الأهداف التي سيُقَيَمون في النهاية على أساس تحقيقها.

٣- إشاعة روح العمل الجماعي عبر فريق التقويم الذاتي: يؤدي أسلوب العمل الجماعي إلى تقويم الأفراد جماعيا وليس فرديا مثلما كانت عليه الطريقة التقليدية في تقييم الاداء.

٤- يتصف نظام تقييم الأداء الذاتي بأنه أكثر فعالية وموضوعية وأكثر عدلا من نظام التقويم الأداء التقليدي- الذي كان يركز على مجموعة من الصفات وهي معايير غير ملموسة، وبما أن المقوّم هو إنسان

يميل إلى صفة أكثر من أخرى فإن تقويمه سيكون متحيّزا ولا يعطي نتائج صحيحة.

٥ -أسلوب التقويم الذاتي يعتمد الحوار البّناء بين القائمين بتقويم انفُسهم والفريق والمشرفين والرؤساء، وإن تعدد الجهات القائمة بالتقويم ينتج عنهُ تعدد المعايير المستعملة والذي يُعدّ أكثر فعالية ونتائجه موضوعية وصحيحة.

عد جودة العمل وإتقانه في كل شؤون الحياة أساسا من الأساسيات، ولقد وجه سبحانه وتعالى إلى أن صفتي الحفظ و العلم أساس لنجاح العامل في عمله وسبب لجودة العمل وإتقانه قال تعالى (قال إجعلني على خزائن الأرض إني حفيظٌ عليم) (الآية٥٥ سورة يوسف).

يسعى البحث الحالي إلى ايجاد رؤية استراتيجية للتعاطي مع آليات تطبيق التقويم الذاتي والجودة إلى إحداث تطوير نوعي لدورة العمل بالمؤسسة (الهيئة) بما يلائم المستجدات الإدارية. ويواكب التطورات الساعية إلى لتحقيق التميز في كافة العمليات التي تقوم بها المؤسسة (الهيئة)، والمتمثل في تحقيق إرضاء المستفيدين عن طريق إجراء التقويم الذاتي لجميع الممارسات الادارية والتنظيمية فيها، وتبني أسلوب حل المشكلات باستمرار والأخذ بأساليب العمل الجماعي، وتشكيل فرق العمل وجمع البيانات الإحصائية وتوظيفها باستمرار وفعّال وتفويض السلطات والعمل بالمشاركة وتطوير مقاييس الأداء والتحسين والتطوير المستمرين لكافة العمليات، لزيادة

الكفاية لجميع الإداريين بالمؤسسة (الهيئة) وتحسين قنوات الاتصال بين الإدارة والأقسام ذات الصلة عبر نظام موثق واضح.

وحيث إن التقويم والجودة عملية إستراتيجية إدارية ترتكز على مجموعة من القيم وتستمد طاقة حركتها من المعلومات التي نتمكن في إطارها من توظيف مواهب العاملين واستثمار قدراتهم الفكرية في مختلف مستويات التنظيم على نحو إبداعي لتحقيق الجودة والتحسين المستمرين للمؤسسة، وبما أن فلسفة ومبادئ الجودة تطبق في المؤسسات الإنتاجية والخدمية على حدٍّ سواء، لذلك فإن ما يطرحه هذا البحث هو لجميع المؤسسات العاملة في الحكومة العراقي.

إن نشر الثقافة التنظيمية للجودة والتقويم الذاتي إعمام فلسفتهما بتغيير القيم والسلوك السائد وتغيير النمط الإداري إلى (التشاركية) ستكون بهذه المرحلة مفتاحا ومدخلا أساسيا وطبيعيا، لتحسين وجودة العمليات الادارية والتنظيمية وتخلق حالة من التمكين الوظيفي للعاملين على مختلف المستويات تحقيقا للأهداف المنشود (مارش،١٩٩٦،ص٣٤-٣٩).

أهمية البحث

للتقـويم الـذاتي أثـر فّعـال وبـارز فـي الارتقـاء بمسـتويات الأداء فـي المؤسسات المتميزة، بأسلوب علمي قابل للقياس وقادر على التعامل بمرونـة مع المتغيرات والتحديات التي تواجه العمل عبر استحداث آليات جديدة تتأقلم معها.

إنّ أهمية التقويم الذاتي في المؤسسات، تكمن في تحديد مواطن الخلل ومعالجتها عبرَ تطوير الأداء واستثمار مختلف فرص التحسين التي تصب في هذا الإطار بما ينعكس إيجابا على دوائر واقسام المؤسسة (الهيئة) ككل.

وتقريـر التقـويم الـذاتي للعـاملين يعبـر عـن جهـود فعالـة تتسـم بالتعـاون والجهود المتواصلة بهدف ترسيخ فكر التميز كممارسة أصيلة في المؤسسات (دوائر الدولة) التي ينتمون إليها. وياتي التقويم الذاتي في إطار دعم الطاقات الوطنية والسعي إلى رفع القيم الايجابية التي تقوم عليها المؤسسة (الهيئة)، لمـا لـه مـن أهميـة رئيسـة لأي مؤسسـة تريد أن تطـور مـن عملهـا وتزيـد مـن مسـاهمتها فـي عمليـة النمـو. وللتقـويم الـذاتي أهميـة فـي اكسـاب المُقيمـين مهـارات جديـدة تمكـنهم مـن إعـداد التقـارير كافـة وتقويمهـا، وتـوفير آليـات للمقارنة والمطابقة مما يكسب رضا المقيمين والجهات التي يتم تقييمها على حدِّ سواء.

ويشـكل جـودة الاداء، فـي زمـن الاختناقـات الاجتماعيـة والتصـدعات الحضـارية، واحـدا مـن أكثـر الموضـوعات الاداريـة إثـارة للمناقشـة والحـوار والجـدل. فالعمـل فـي العـراق ينبثـق مـن واقـع التخلـف ويـرتبط بأرومتـه

الاجتماعية، وهو في الوقت الذي يحاول فيه أن يتجاوز بنية التخلف التي ينتمي إليها، يجد نفسه بداية أمام متطلبات البحث عن عوامل الانطلاق الذاتية التي تمنحه القدرة على الانفلات من أسر التخلف الاجتماعي الشامل، فالمحور الذاتي، لانطلاق الاداء المتميز يرتسم في التكوينات الذاتية ؛ وفي هذا السياق يمكن القول بأن جودة الاداء تشكل محور الانطلاق الذاتية (Dressel,1987,PP21-22).

وتأسيسا على ما تقدم يمكن القول بأن مفهوم التقويم الذاتي والجودة يشكل اليوم مفهوما مركزيا في المؤسسات المتميزة، وبالتالي فإن هذا المفهوم يغطي مستويات الكفاية والفاعلية والأداء لها .

وإنه لمن البداهة بمكان، أن نقرّ بأن مرحلة من التحولات المصيرية قد حدثت في مختلف مجالات الحياة وميادينها، وهذا يدعونا الى البحث في دورة التحديات التي نواجهها حيث نعيش وضعيات تاريخية صعبة ومعقدة التكوين، تدفعنا خارج مدار الدور الحضاري الذي يجب أن نحققه اليوم. وهذه التحديات المصيرية اول ماتقوم به هو محاصرتها للمؤسسات لتنأى بها عن ممارسة دورها الفاعل في عصر العولمة والميديا، فالمؤسسات (الدوائر) تعاني من حالة تصدع في بنيتها ودورها ووظيفتها وقدرتها على المناورة والمشاركة والتأثير في الحياة المجتمعية في اتجاه النقلة الحضارية لمجتمعات محاصرة بالتخلف والتدهور ومدانة بالقصور.

وفي دائرة هذه المناشدة تجاوبت الوزارات كافة في عقد مؤتمرتها هذه، ولبى الباحثون المشاركون في هذه المؤتمرات بوصفهم صفوة منتخبة من المفكرين النداء، فشّمروا السواعد بحثا ونقدا وتحليلا لواقع المؤسسات العراقية

وسبل الارتقاء بها؛ لاثبات قدرتها على المناورة التاريخية في اتجاه العمل على صوغ البناء الحضاري للإنسان والمجتمع العراقي في دورة الحضارة الإنسانية في ألفيتها الثالثة وانقطعت هذه الصفوة إلى العمل العلمي الفعّال، لتقديم صورة علمية لواقع الجودة وضماناتها من منطلق راسخ هو بأن تطوير الاداء والانتقال به من حالة الاحتقان والتصدع تستوجب بالضرورة دراسته وتحليله ووضع الاستراتيجيات الناظمة لحركته ووظيفته الحضارية.

إن المعايير التقويمية تختلف كما و نوعا أيضا باختلاف نوعية المؤسسة (الهيئة) القائمة على ضمان الجودة حيث يتم إصدار الأحكام على المؤسسات في أربعة مستويات: أقلها "**فشل**" في تحقيق معاييرها و أهدافها، ويليها "**مصادقة** "ثم "مصادقة مع ثناء" و "نموذجية". وفي هذا دلالتين، فالجودة في دلالتها الأولى تشمل كل عملية منظمة لتفحص النوعية بناء على لائحة من المعايير المتفق عليها على المستوى الوطني، وتغطي هذه المعايير مكونات النوعية في المؤسسة المعنية؛ أما الدلالة الثانية للجودة فإنها تتجّلى في التقويم الذاتي الذي يفضي إلى التأكد من وفاء المؤسسة (الهيئة) بما هو مطلوب منها على وفق المعايير المحددة.

ويبقى باب التفكير في موضوع التقويم الذاتي و الجودة مفتوحا على مصراعيه؛ ليولد إحساسا متناميا بالمسؤولية الدافعة إلى مزيد من الازدهار والتكامل في دور ووظيفة المؤسسات (الدوائر) العراقية.

أهداف البحث

١ -إيجاد دليل عمل للتقويم الذاتى: يعرض عملية التقويم الذاتي وأدواته المختلفة، وطرئق تطبيقه، بوصفها خطوة أولى ومهمة نحو تحقيق الجودة فى دوائرنا وحتى يستفيد منه جميع العاملين في تصميم ومراجعة خطة تحسين الاداء.

٢ -تشكل فريق التقويم الذاتى بالهيئة؛ للتعريف بأدوار فريق التقويم الذاتى، وتحديد خطوات تطبيق مراحل التقويم الذاتى، ووضع نماذج من أساليب جمع البيانات المستخدمة فى التقويم الذاتي فى ضوء معايير الجودة، والتعريف بالخطوات الإجرائية التي تساعد على تحسين الأداء فى ضوء معايير الجودة.

٣ -وضع خطة لتحسين الأداء فى ضوء أولويات فجوات الأداء.

٤ -إصدار تقرير فريق تقييم الاداء الذاتي يحكم جودة الاداء ويقُوم خطة تحسين الأداء.

منهجية البحث

إعتمد البحث المنهج الوصفي، باستخدامه دليل التقويم الذاتي المرفقة فقراته في البحث الحالي ومعايير الجودة في المؤسسة (الهيئة).

الفصل الثاني: الاطار النظري

التقويم الذاتي

يقصد بالتقويم الذاتي مجموعة الخطوات الإجرائية التي يقوم بها فريق التقويم الذاتي لتقويم مؤسساتهم (دوائرهم) بأنفسهم استنادا الى معايير التقويم الذاتي وذلك من خلال جمع البيانات عن الاداء في الوضع الحالي ومقارنته بمعايير

التقويم الذاتي. ويعرف بوصفهِ وسيلة لشخص يرى نفسه. فهو عملية مستمرة في تحديد نمو الشخصية والتقدم، والتي يمكن أن ترفع أو تخفض من سلوك الآخرين اتجاهه، ونموذج التقويم الذاتي يفترض أمرين:

- محاولة الشخص الحفاظ على ذاته.
- تأثر التقويم الذاتي بالعلاقات مع الآخرين.

المقصود بالتقويم الذاتي أن يتولى الموظف بنفسه عملية تقييم فعالياته من خلال جمع المعلومات عن أدائه ومحاولة الإفادة منها في تطوير نفسه، إذ تصمم نماذج موجهة للقيام بذلك تتضمن النقاط والعناصر التي توضع في الحسبان عند إجراء عملية التقويم الذاتي. أن هذا النوع من التقويم يستخدم لغايات التعلم وتطوير الذات وليس لغايات الترقية أو زيادة الراتب أو غيرها من شؤون التوظيف. وقد اتجهت بعض الدوائر الحكومية إلى تجربة قيام الموظف بتقييم أدائه أولا ثم مناقشة هذا التقويم مع رؤسائه فيما بعد، وقد أظهرت العديد من هذه التجارب صلاحيتها وايجابيتها والتي يمكن تلخيصها بالآتي:

(أولا): أن يضعف التقويم الذاتي النزعة الدفاعية لدى الموظّف كما يخفف من ميوله التسويغية التبريرية.

(ثانيا): إنه يقِّوي الشعور بالمسؤولية والقدرة على الرقابة الداخلية.

(ثالثا): يعمل على تحسين أداء الموظّف الذي يكون مستوى أدائه متدنيا. ومن عيوب هذه التقويمات أنها تميل الى التساهل أكثر من التقويم الذي يجري من جهات أخرى (Tesser ,1988,PP32-34).

إن نظرية التقويم الذاتي تشير إلى تناقضات بين شخصين وتهدف إلى الحفاظ عليهم من تثبيت شعور جيد نفسيا طوال عملية المقارنة مع الشخص الآخر. حيث تم تعريف حالة الاشباع الوظيفي بأنها: حالة عاطفية ممتعة ناجمة عن استحسان المرء لوظيفته، انطباع الفرد الايجابى إتجاه وظيفته، وشعور الفرد إتجاه وظيفته. أشار (Weiss,1986) إلى الاشباع الوظيفي بأنه: موقف في حين أكد إلى ضرورة تركيزٌ الباحثين على جوانب التقويم المعرفية التي تشمل التأثير (العاطفة)، المعتقدات والسلوكيات، وقد بيّن هذا التعريف قدرة الأفراد على تكوين مواقف إتجاه وظائفهم بعد مراعاة مشاعرهم ومعتقداتهم وسلوكهم.

واشارت نظريات الرضا الوظيفي التي تقوم على الانسجام بين الشخصية المطلوبة للعمل وبيئة العمل نفسه، ويُعدُّ الانسجام العامل الرئيس في تفسير تكيف الفرد مع بيئة العمل كما يتجسد في شعوره بالرضا والقناعة والاستقرار في الوظيفة. أما نظرية الامور المتعددة، كالثقة والانتاجية: حيث لا يمكن فصلهما، والحذق والمهارة: وهنا يجب أن تكون الممارسة في العمل

تتسم بالدقة والتهذيب وحدة الذهن، والألفة والمودة: تعتمد عليها الرابطة المشتركة في الحياة وما يترتب على ذلك من عيش آمن وحياة مطمئنة واهتمام، ودعم للناس الآخرين وإقامة علاقات اجتماعية متينة وصداقات حميمة. وهكذا تعبر النظريات السابقة عن وجهات النظر المتعددة لأصحابها، وهي تحاول تفسير السلوك الإنساني ودافعيته ورضاه وطرائق تحفيزه للوصول إلى أداء سليم وإنتاجية مرضية (جلال، ١٩٧١،ص٤٥-٤٧).

والنظريات التي عينت بالتقويم الذاتي يمكن توضيحها بالآتي:

١- نظرية التأثير

يُعدُّ تصنيف (إدوين لوك،١٩٧٦) لنظرية التأثير اشهر أُنموذج للتقويم الذاتي. حيث تقوم تلك النظرية على الفرق بين ما يريده الفرد من وظيفته، وبين ما هو كائن بالفعل. كذلك فإن النظرية تقوم على أحد وجوه القيم مثل درجة الاستقلالية في موقف ما بين مدى ارتياح المعتدلين والراضين عن الوظيفة وارتياحهم هذا ينعكس إيجابا (عندما تستوفي أو تلبى التوقعات عندهم) وسلبا (عندما لا تلبى التوقعات)، فإذا ما قام أحد العاملين ولنفرض (س) بتقييم أحد جوانب عمله في حين لم يكترث العامل (ص) مثلا، عندئذٍ يحقق العامل (س) درجة عاليه من الاشباع بمكانته في عمله التي تتطلب درجة عالية من الاستقلالية (wool,1990,PP55-57).

٢- نظرية الميول

تُعدُّ نظرية الميول إحدى النظريات المعروفة في مجال الاشباع الوظيفى. بل هي نظرية عامة للغاية توحي بأن التصرفات الفطرية للناس تسبب لديهم ميولا نحو تحقيق مستوى معين من الارتياح، بغض النظر عن الوظيفة، هذا النهج أصبح ملحوظا عند تفسير الرضا الوظيفي في ضوء الأدلة التي تميل إلى أن تكون مستقرة على مرِّ الزمن وعبر المهن والوظائف. كما أكد الباحثون على أن التوائم المتطابقة لديهم نفس مستويات الاشباع الوظيفى. ويُعدُّ أُنموذج التقويم الذاتى للجوهر أحد أهم النماذج التي تضيِّق نطاق نظرية الميول، التي عرضها (تيموثى، ١٩٩٨). والتي اشار فيها الى ان هناك أربعة محاور للتقييمات الذاتية التي تحدد الرضا الوظيفي : احترام الذات، والفاعلية، وموقع السيطرة، والعصابية، وتقرُّ هذه النظرية على أن المستويات العليا من احترام الذات (قيمة المرء بذاته) وفاعلية الذات العامة(إيمان المرء بقدراته) يؤديان إلى مزيد من الاشباع الوظيفى. فضلا عن امتلاك الفرد قوة تحكم داخلية (ايمان المرء بالسيطرة التامة على مجريات حياته، مواجها ضغوط الحياة الخارجية التي تسيطر بطبيعة الحال على الحياة) يؤديان بالضرورة إلى مزيد من الاشباع وأخيرا، تؤدى مستويات العصابية المنخفضة إلى مزيد من الاشباع الوظيفى (wool,1990,PP34-35).

٣- أُنموذج خصائص الوظيفة

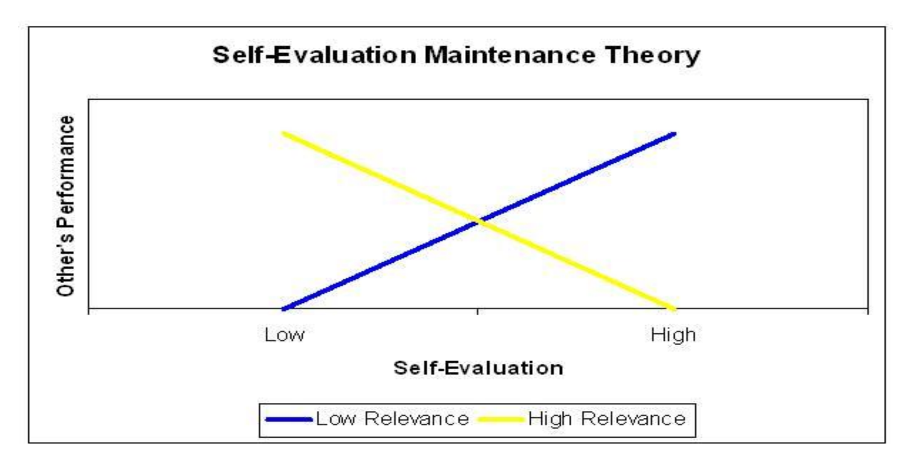
اقترح (هاكمان وأولدهام، ١٩٧٥) نموذجا لخصاص الوظيفة، الذي يتم تطبيقه بوصفه هيكلا لدراسة مدى تأثير خصائص وظيفةٍ ما على مخرجات العمل في حدّ ذاته، بما في ذلك الإشباع الوظيفى. إذ يشير الأُنموذج إلى خمسة خصائص مميزة للوظيفة (تنوع المهارة، وأهمية المهام، ودلالة المهام، والاستقلال الذاتى، والتغذية المرتدة) التي بدورها تعكس ثلاث حالات نفسية (الخبرة المتأنية والمسؤولية التامة عن المخرجات، الدراية التامة بالنتائج المحددة)، مما يؤثر في مخرجات العمل ككل (الاشباع الوظيفى وظاهرة الغياب عن العمل والدافعية، الخ). ومن ثم تكون الخمسة الخصائص سجلا محتملا لدافعية الوظيفة، الذي يمكن استخدامه بوصفهِ معيارا لتأثير الوظيفة على اتجاهات وسلوكيات العاملين (ابو حطب،١٩٨٧، ص٧٨-٨٠).

٤- نظرية التقويم الذاتي

تشير هذه النظرية الى احترام الذات وعلاقته بالتقويم الذاتي فالمبادئ الأساسية لتيسر أُنموذج التقويم الذاتي وصيانة الذات يحدد أهمية ما إذا كان تفكيرنا سيقودنا الى صيانة ذواتنا وهذا نابع من:

أ- الأهمية المنخفضة بالذات ستزيد من أداء الطرف الآخر، وبفعل التقويم الذاتي، يسمح للطرف الآخر بالتفوق، وهذا سيولد ظاهرة (الانعكاس)، التي سيجني الطرف الآخر منها الارباح على الصعيد المهني.

ب -الأهمية العالية بالذات فضلا عن انها ستزيد من أداء الطرف الآخر، لأن التقويم الذاتي سيقلل منها؛ لأن هناك موازنة مع الشخص الآخر ، وهذا سيولد ظاهرة (الموازنة) (Fiske,2004,PP121-123) والشكل(١) يوضح ذلك:



الشكل(١) مفهوم نظرية التقويم الذاتي

التقويم الذاتي وتحسين الأداء:

يُعدُّ التقويم الذاتي ركيزة أساسية من أجل تحسين الأداء، وذلك عن طريق قياس أداء الفرد والمؤسسة (الهيئة). وتؤكد الجودة على التقويم الذاتي بوصفهِ طريقا يؤدي إلى التحسين المستمر. ويفسر الباحثون أهمية التقويم الذاتي في المؤسسات (الدوائر والهيئات) التي تتبع نظام إدارة الجودة بالقول بأن (الفارق الأساسي بين الأفراد الناجحين والأفراد غير الناجحين هو أن الأفراد الناجحين غالبا ما يقومون بتقويم سلوكهم مع المحاولة الدائمة لتحسين ما يقومون به). أما الأفراد غير الناجحين فغالبا ما يقومون بتقويم سلوك

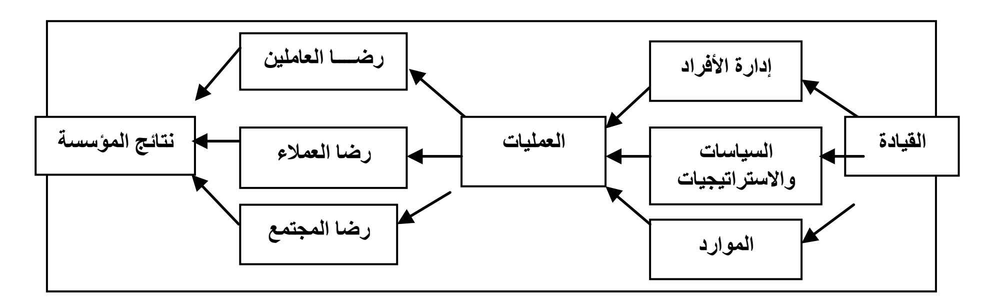
الآخرين، ويقضون وقتهم في الانتقاد والشكوى وإصدار الأحكام في محاولة لإجبارهم على تحسين ما يقومون به؛ لذا فإن الجودة بها حاجة إلى أفراد ناجحين يقيِّمون سلوكهم قبل أن يقيِّموا سلوك الآخرين، ويحسنوا من أدائهم قبل أن يطالبوا بتحسين أداء الآخرين.

إنّ ممارسة التقويم الذاتي على مستوى الأفراد، وعلى مستوى المؤسسة في المؤسسات التي تتبع إدارة الجودة من شأنه أن يثير الكثير من القضايا ذات الصلة المباشرة بتحسين الأداء، ومنه على سبيل المثال لا الحصر، قضايا التدريب، ودوائر أو حلقات الجودة، والبحوث العلمية، والاتصال وغيرها. وهذا من شأنه أن يجعل المؤسسة مؤسسة تُعلِّم بحيث يكون الأفراد والعمليات والأنظمة جميعا مكرسين من أجل تحسين دائم متواصل.

وزيادة على ماتقدّم فإن التقويم الذاتي على مستوى الإدارة العليا غالبا ما يؤدي إلى أن تتبنى الإدارة لعب دورين مهمين زيادة على أدوارها المتعددة وهي:

- توفير الإدارة المناسبة للازمات في المجالات التي تنشأ فيها المشكلات.
- تطوير وتنمية العاملين الذين يسعون بطريقة إيجابية نحو الفرص التي تنقلهم إلى أسلوب آخر للتشغيل.

وهناك الكثير من النماذج التي يمكن الاستعانة بها في إجراء عملية التقويم الذاتي مثل: أُنموذج التفوق الاوربي(Tesser,1988,PP22-24).



الشكل (٢) أُنموذج التفوق الاوربي

مفهوم الجودة

يُعدُّ مفهوم الجودة مفهوما إداريا يقوم على مجموعة من المبادئ والأفكار التي يمكن لأي إدارة أن تتبّناه من أجل تحقيق أفضل أداء ممكن. فالتحديات التي تشهدها منظمات الأعمال في المجتمع الإنساني المعاصر تقترن بالجوانب النوعية على الصعيدين السلعي والخدمي، وتستخدم النوعية بوصفها سلاحا تنافسيا رئيسا في هذا الاتجاه، وقد تم الاهتمام بالإطار الفلسفي والفكري للجودة، حيث إن هذا المفهوم يؤشر ثلاثة مرتكزات هادفة في هذا المجال وهي:

١. تحقيق رضا طالب الخدمة او المستهلك.

٢. مساهمة العاملين في المؤسسات والهيئات والدوائر.

٣. استمرار التحسن والتطوير في الجودة (السلعة أو الخدمة) (جابلونسكي، ٢٠٠٠، ص٧٢).

وعُرِفّت الجودة بـ "أنها الفلسفة الإدارية للمؤسسة التي تدرك من خلالها تحقيق كل من احتياجات المستهلك، وكذلك تحقيق أهداف المشروع معا" (وجهة النظر البريطانية).

والجودة " فلسفة وخطوط عريضة ومبادئ تدل وترشد المؤسسة لتحقيق تطور مستمر وهي أساليب كمية فضلا عن الموارد البشرية التي تحسن استخدام الموارد المتاحة وكذلك الخدمات بحيث إن كافة العمليات داخل المؤسسة تسعى لأن تحقق إشباع حاجات المستهلكين الحاليين والمرتقبين" (وجهة النظر الأمريكية).

نلاحظ من التعريفين ان الأول يركز على كفاية وفاعلية المشروع، وذلك يحمي المؤسسة (الهيئة) ويقودها إلى التميز من تلبية احتياجات المستهلك الذي يتحقق من أهداف المؤسسة أو المشروع. أما التعريف الثاني فيؤكد على أنها فلسفة ومبادئ تقود إلى تطور مستمر، وأن العمليات كافة تسعى إلى لتحقيق حاجات المستهلكين الحالية والمستقبلية.

وعرّفها كروسبي (Crosby) بأنّها تمثل منهجية المؤسسة؛ لضمان سير النشاطات التي خُططَ لها مسبقا حيث إنها الأسلوب الأمثل الذي يساعد على منع، وتجنب المشكلات بالعمل على تحفيز وتشجيع السلوك الإداري التنظيمي الأمثل في الأداء باستخدام الموارد المادية والبشرية بكفاية عالية.

أما كل من بروكا وبروكا ١٩٩٢: فقد عرفاها بأنها الطريقة التي تستطيع من خلالها المؤسسة (الهيئة) من تحسين الأداء باستمرار في مستويات العمل التشغيلي كافة ، وذلك بالاستخدام الأمثل للموارد البشرية

والمادية المتاحة، ومن خلال ما ورد من تعريفات الجودة يمكن استنتاج ما يأتي :

١. إنها فلسفة ومبادئ تسعى إلى التحسين والتطوير المستمرين.

٢. تحقيق رضا المستهلك وكذلك تحقيق أهداف المؤسسة (الهيئة).

٣. تسعى إلى تحقيق الاستخدام الأمثل للموارد البشرية والمادية.

٤. إن المؤسسة (الهيئة) تعمل داخل المجتمع من خدمته فهي تسعى وباستمرار لفهم حاجة العميل(Crosby,1979,PP89-90).

وقد طرح (ويليامز، ١٩٩٩) سبعة أسئلة شكلّت إجاباتها تحليلا متكاملا لمفهوم الجودة، لا تخرج الإجابات عن ما طرحه جابلونسكي في ان :-

١- **الجودة مفهوم عابر؟** إن الجودة أصبحت اليوم من المفاهيم المعتمدة في العالم أجمع. وإن المبادئ التي تحقق الجودة قد أثبتت نجاحها بمرور الوقت.

٢- **الجودة عملية أم تقنية أم أسلوب إدارة أم هدف أم إدارة؟** إن الجودة تعبر عن كل هذه الأشياء. إنها أسلوب القيادة الذي ينشئ فلسفة تنظيمية تساعد على تحقيق أعلى درجة ممكنة من الجودة في الإنتاج والخدمات.

٣- **الجودة هدف واقعي للشركة المتوسطة؟** إن الشركات المتوسطة هي أفضل الأماكن الصالحة لتطبيق الجودة. عندما يتم تطبيقها بشكل مناسب فإن مبادئها سوف تضيف بالفعل قيمة وجودة لأي شركة كانت.

٤ -**الجودة تعني الجودة التامة؟** إن الجودة تعني تحقيق أعلى جودة ممكنة في الإنتاج السلعي والخدمي وفقا للظروف التي تخضع لها المؤسسة (الهيئة). الجودة تعني أنها ليست هدفا محددا نحققه ونحتفل به ثم ننساه، بل تعبر الجودة عن هدف متغير، وهو التحسين باستمرار.

٥ -**الجودة تستحق كل هذا الجهد؟** إن العامل المحدد الوحيد لتطبيق الجودة هو التزام جميع أفراد المؤسسة (الهيئة).تنجح الجودة عندما يريد الأفراد ذلك، وتفشل عندما لا يظهر الأفراد عزمهم والتزامهم بمبادئها. فالجودة تستحق هذا الجهد.

٦ -**الفرق بين التركيز على الجودة و الجودة؟** يظهر الفرق في مدى اندماج فلسفة الجودة مع بنية المؤسسة (الهيئة). وأن التركيز على الجودة عملية مؤقتة في أغلب الأحيان وأن الجودة عملية طويلة الأمد.

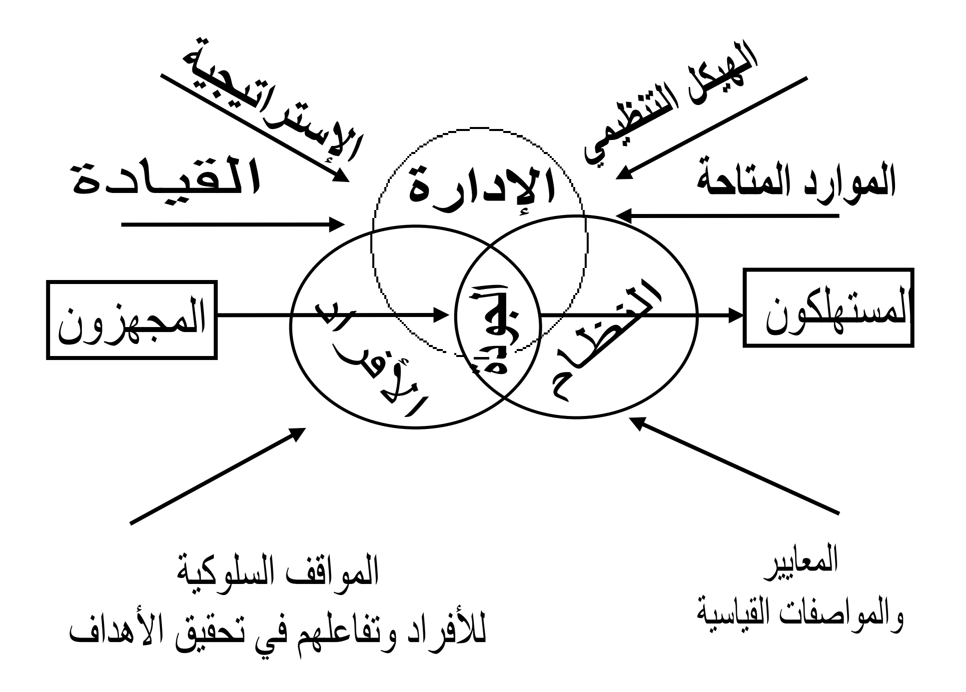
٧ -**مفهوم الجودة يعني؟** تعريف فلسفة المؤسسة لكل فرد فيها، كما تعمل على تحقيق دائم لرضا العميل عبر دمج الأدوات والتقنيات والتدريب، ليشمل تحسنا مستمرا في العمليات داخل المؤسسة (الهيئة) مما سيؤدي إلى منتجات وخدمات عالية الجودة. **ويمكن تلخيص مفهوم الجودة من وجهة نظر ريتشارد ليامز على النحو الآتي:**

أنها أسلوب قيادي ينشئ فلسفة تنظيمية تساعد على تحقيق أعلى درجة ممكنة لجودة السلع والخدمات وتسعى إلى إدماج فلسفتها ببنية المؤسسة (الهيئة)، وأن نجاحها يتوقف على قناعة أفراد المؤسسة بمبادئها. وإن مبادئها تضيف بالفعل قيمة وجودة للمؤسسة وقد أثبتت مبادئها نجاحا مستمر لأنها

تسعى وبصورة مستمرة إلى تحقيق رضا العميل الداخلي والخارجي عبر دمج الأدوات والتقنيات والتدريب الذي يؤدي إلى خدمات ومنتجات عالية الجودة.

ويشير جابلونسكي إلى أن مفهوم الجودة كغيره من المفاهيم الإدارية التي تتباين بشأنه المفاهيم والأفكار وفقا لزاوية النظر من قبل هذا أو ذاك، إلا أن هذا التباين الشكلي في المفاهيم يكاد يكون متماثلا في المضامين الهادفة إذ إنه يتمحور في الهدف الذي تسعى إلى تحقيقه المؤسسة، والذي يتمثل بالمستهلك من خلال تفاعل كافة الأطراف الفاعلة في المؤسسة. إنّ الجودة تعني الإسهام الفعّال للنظام الإداري والتنظيمي بكافة عناصره في تحقيق الكفاية الاستثمارية للموارد المتاحة من مادة أولية ومعدات وقوى بشرية ومعلوماتية وإدارة واستراتيجية ومعايير ومواصفات .. ألخ، بحيث تسهم جميعا في السعي إلى تحقيق هدف المؤسسة (الهيئة) الذي يتركز في تحقيق الإشباع الأمثل للمستهلك الأخير من تقديم السلع والخدمات بالمواصفات القياسية ذات النوعية الجيدة(وليامز،١٩٩٩، ص٦٥-٦٩).

ويمكن التعبير عن هذه النظرة الشمولية بالشكل التالي كما يقترحه جابلونسكي:



الشكل(٣) النظرة الشمولية لكل الأطراف في تحقيق أهداف المؤسسة (الهيئة)

إن المؤسسة (الهيئة) لا يمكن أن تحقق رضا العميل الداخلي والخارجي إلا إذا ثبتت المؤسسة القيم والمبادئ التي يجب أن تسود جميع أفرادها؛ لتتمكن من تطبيق فلسفة ومفهوم ومبادئ الجودة وهذا ما يطلق عليه بالثقافة التنظيمية.

إن الهدف الرئيس في الجودة هو رضا جميع المستفيدين ،ومن الممكن تمثيل المرتكزات الفكرية بالآتي:

١. فلسفة الجودة. ٢. ثقافة الجودة.

٣. تحديد الأهداف بوضوح وبدقة. ٤. التقويم الذاتي.

٥. إستراتيجيات الاداء المناسبة. ٦. متطلبات سوق العمل.

٧. استمرارية التطوير والتحسين.

أما مكونات نظام الجودة: فتتمثل:-

١. القيادة التشاركية.

٢. مساهمة العاملين (الكادر الإداري والكادر الفني) (تونسيند، ١٩٩٨، ص٤٤-٤٧).

متطلبات تطبيق الجودة في المؤسسة (الهيئة) :

١. القناعة الكاملة والتفهم الكامل والالتزام من قبل المسؤلين.

٢. إشاعة الثقافة التنظيمية والمناخ التنظيمي الخاص بالجودة في المؤسسة (الهيئة).

٣. التعليم والتدريب المستمرين لكافة الأفراد في المؤسسة (الهيئة).

٤. التنسيق وتفعيل الاتصال بين الإدارات والأقسام على المستويين الأفقي والعمودي.

٥. مشاركة جميع الجهات وجميع الأفراد العاملين في جهود تحسين جودة العمليات.

٦. تأسيس نظام معلومات دقيق وفعال للجودة.

إن المبادئ السابقة تؤثر وبشكل مباشر في عناصر تحقيق الجودة التي يمكن تلخيصها بالأمور الآتية:

١. تطبيق مبادئ الجودة.

٢. مشاركة الجميع في عملية التحسين المستمرة.

٣. تحديد وتوضيح إجراء العمل أو ما تطلق عليه بالإجراءات التنظيمية.

إن المبادئ السابقة وعناصر تحقيق الجودة تؤدي إلى تحقيق الهدف الأساس الا وهو رضا المستفيد والمتمثل بالافراد والمجتمع المحلي وسوق العمل والتحسين المستمر في عناصر العمل كافة (مور،١٩٩١، ص٧٧-٨١) .

يتكون نظام الجودة من (٧) محكات تصف خصائص نظام إدارة المؤسسات (دوائر الدولة) بصورة شاملة كمؤشرات جودة، وفيما يلي شرح موجز لكل محك.

١. الإدارة الاستراتيجية **Strategic Management**: تختص الإدارة الاستراتيجية في رسم السياسة العامة للمؤسسة وبناء الخطط التي تحدد الإتجاه العام للمؤسسة (الهيئة). وتُعدُّ الوثيقة الرئيسية في هذا المؤشر هي خطة العمل كما يطلق عليها أيضا الخطة الستراتيجية، توضع هذه الخطة مع بداية كل عام مع الأخذ بالحسبان البعد الاستراتيجي لها

(التفكير الإستراتيجي) المبني على الأسئلة الثلاث الآتية: أين نحن الآن؟، إلى أين نريد أن نصل ؟، كيف نصل إلى ما نريد؟

وينبغي أن تتضمن رؤية ورسالة ، وأهداف يراد تحقيقها، ومؤشرات للأداء بجانب الأولويات والمصادر المطلوبة؛ لتنفيذ الخطة، والعنصر الأساسي في بناء الخطة، هو حاجات العاملين والمتعاملين، كما يتوجب أن تشمل خطة العمل جميع المؤشرات التي يتألف منها نظام الجودة.

٢. نوعية الجودة **Quality Management**: ويختص هذا المؤشر بمدى قدرة المؤسسة (الهيئة) على توفير الخدمة او المنتج التي تحقق توقعات المستفيدين من المؤسسة (الهيئة).

٣. التسويق ورعاية العميل **Marketing & Customer care**: يسعى هذا المؤشر إلى تحديد حاجات سوق العمل بغرض تقديم ما يرضي حاجات العملاء وسوق العمل.

٤. تطوير الموارد البشرية **Human Resources Development**:

يضمن هذا المؤشر التدريب المستمر للموارد البشرية بما يجعل جميع العاملين قادرين على أداء عملهم بفاعلية وإنتاجية عالية. بمعنى أن يصبح جميع العاملين لديهم الكفاية الكاملة لأداء أعمالهم بصورة صحيحة.

٥. تكافؤ الفرص **Equal Opportunity**: ضمان تكافؤ الفرص لجميع العاملين في المؤسسة (الهيئة) وبما يعزز الشعور بالرضا مما يؤدي إلى تحسين الإنتاجية.

٦. الصحة والسلامة **Health & Safety**:ضمان وجود بيئة صحية آمنة لجميع العاملين في المؤسسة (الهيئة).

٧. الاتصال والإدارة **Communication & Administration**: وينص هذا المؤشر على أن إدارة المؤسسة (الهيئة) تسعى إلى تحقيق احتياجات العاملين بها وانتقال المعلومات بصورة انسيابية على المستويين الأفقي والعمودي (اتكنسون،١٩٩٦ ،ص٦٠-٦٧).

الفصل الثالث: الرؤية الاستراتيجية

تُعدُّ عملية التقويم الذاتي القائم على أنشطة وبرامج المؤسسات هي نقطة الانطلاق الأولى، بل الخطوة الأساسية التي لا مناص عنها في تحقيق الرؤية الاستراتيجية لدوائر الدولة المتميزة لضمان الجودة وتحسينها. مع ملاحظة أن هذه العملية لابد أن تأخذ في الحسبان ثلاثة شروط أساسية هي:

١- **الشمولية:** لابد من أن تكون عملية التقويم الذاتي عملية شاملة يتم فيها تقييم جميع جوانب المؤسسة (الهيئة) وبرامجها بما في ذلك المرافق والتجهيزات والخدمات والإجراءات الإدارية المتبعة فيها. وهذه العملية يجب أن تنفذ بصورة متناسقة مع التركيز في عمليات التقويم على معايير الأداء المتعلقة بكل نشاط من أنشطة المؤسسة المهمة.

٢- **التخطـيط:** تقـوم المؤسسـة (الهيئـة) بوضـع خطـة واضـحة وموضـوعية مـن حيـث تحديـد الجـدول الزمنـي والمهـام والأدوار والوظـائف المناطـة بـالأفراد والاقسـام والـدوائر داخـل المؤسسـة (وخارجهـا إن وجـد) وذلـك من أجل ضمان أن تكون الاستراتيجيات المستخدمة مناسبة وفعّالـة لتحقيق الأهداف المحددة من قبل المؤسسة (الهيئة).

٣- **التنوع في التطبيق:** التنوع بين المؤسسات سينعكس بدوره بدرجات متفاوتـة علـى عمليـة تنفيـذ التقـويم الـذاتي داخـل هـذه المؤسسـات علـى وفـق ما تمليه طبيعة كل مؤسسة وظروفها الداخلية.

تبدأ الخطوة الاولى في الادارة الاستراتيجية بصياغة رؤية شاملة لتكون منظورا مستقبليا لـلادارة ومصـدرا للشـعور بـالأنتمـاء والـولاء بالنسبة للعـاملين. وتتضمن اكثر المعاني والآفاق اتساعا في الزمن وتوجها نحو المستقبل، إنّ جميـع المؤسسـات المتميـزة لـم تحقـق انجازاتهـا العظيمـة بـلا رؤيـة واضـحة طموحـة، الـى جانـب الادارة الكبيـرة فـي صـنـع القـرار والعمـل وصـياغة وتنفيـذ الاستراتيجيات المميزة؛ لتجسيد تلك الرؤية المنشودة، ومؤسسات قادرة بادارتها علــى تحفيــز الآخــرين نحــو التوجــه للغــرض المشــترك فهــي صــاحبة الرؤيــة والالهــام وقــادرة علــى تحويــل الرؤيــة الــى نتــائج ملموســة (Shermerhorn,1999,p262).

والرؤيـة الاسـتراتيجية تعكـس طموحـات المؤسسـة ومصـلحتها ، وتزودهـا بنظرة بانارومية عن (الى اين نذهب) وتعطي اشراقات عن مستقبل خططها،

انها تترجم الغرض البعيد الأمد، وتجسد هوية المؤسسة (الهيئة). كما أنها ترسم مسارا استراتيجيا لها من اجل أتباعه

(Thompson & Strickland ,2003,p 6).

وعلى وفق رؤية المؤسسة للوصول الى التميز بالموازنة مع مؤسسات مشابهة لها في الاختصاص او مع غيرها على سبيل التفوق، يجب القيام بالآتي:

أولا- تشكيل فرق التقويم الذاتي والجودة بحسب الآتي:

١. فريق التخطيط والتطوير: للتخطيط الاستراتيجي وتخطيط وتنفيذ الخطة السنوية.

٢. فريق التقويم الذاتي؛ لمتابعة تنفيذ الخطة وتقييمها واقتراح سبل تعديل الانحرافات في مسار الخطة.

٣. فريق التوثيق والتدقيق: وينحصر عمله بجمع البيانات وتدقيق صحتها وتقديمها إلى فريق التخطيط والتطوير إذ لا يمكن أن تكون عمليه تخطيطه من دون بيانات إحصائية دقيقة. وكذلك توثيق العمليات التي تجري في المؤسسة (Tesser,2001,PP90-93).

ثانيا- تحديد مهام اختصاصي الجودة بالآتي:

١. يشارك في وضع الخطة الاستراتيجية والخطط التشغيلية وخطط المتابعة.

٢. يتحقق من تطبيق دليل ضمان الجودة.

٣. يقود فرق التدقيق الداخلي.

٤. يعد خطة التدقيق الداخلي.

٥. يشارك في تطوير دليل ضمان الجودة بصورة دورية.

٦. ينسق أعمال التوثيق وحفظ الأدلة الثبوتية الخاصة بمنظومة الجودة.

٧. يعد التقارير الدورية عن فاعلية تطبيق نظام الجودة بالهيئة .

٨. يشارك في تقويم وتقويم وتطوير دورة العمل في الهيئة.

٩. يشرف على تحديد الاحتياجات التدريبية للعاملين فيما يتعلق بتطبيق منظومة الجودة ويتأكد من كفاءاتهم، لتنفيذ الأعمال الموكلة إليهم.

١٠. يقود برامج تدريب في ما يتعلق بأنظمة ومفاهيم الجودة وتطبيقاتها (جابلونسكي،٢٠٠٠،ص١٢٣-١٢٦).

ثالثا: تحديد معايير الجودة بالآتي:

١ -معايير كروزبي:

حدد (Crosby 1979،) أربعة معايير لضمان الجودة تم تأسيسها وفقا لمبادئ إدارة الجودة الشاملة وهي:

أ -التكيف مع متطلبات الجودة من وضع تعريف محدد وواضح ومنسق للجودة.

ب -وصف نظام تحقيق الجودة على أنه الوقاية من الأخطاء بمنع حدوثها من خلال وضع معايير للأداء الجيد.

ج- منع حدوث الأخطاء من خلال ضمان الأداء الصحيح من المرة الأولى.

د- تقويم الجودة من خلال قياس دقيق بناءً على المعايير الموضوعية والكيفية والكمية (Crosby ,1979,P19).

٢ - معايير بلدرج:

طور (مالكوم بلدرج، 1982) نظاما لضبط الجودة، وتم بوصفه معيارا قويا معترفا به لضبط الجودة والتميز في أداء المؤسسات، وذلك حتى تتمكن من مواجهة المنافسة القاسية في ضوء الموارد المحدودة للنظام الاداري والتنظيمي ومطالب العملاء. ويعتمد نظام بلدرج لضبط الجودة على (١١) قيمة أساسية توافر إطارٍ متكاملٍ للتطوير وتتضمن (٢٨) معيارا ثانويا للجودة وتندمج في (٧) مجموعات هي:

أ - القيادة (٩٠ نقطة): وتمثل الإدارة العليا ونظام القيادة والتنظيم، ومسؤولية المجتمع.

ب - المعلومات والتحليل (٧٥ نقطة) وتشمل: إدارة المعلومات والبيانات والمقارنة بين المعلومات، وتحليل واستخدام مستويات الاداء، واستعمالها.

ج- التخطيط الإجرائي والتخطيط الاستراتيجي (٧٥ نقطة) وتشمل: التطوير الاستراتيجي، وتنفيذ الاستراتيجيات.

د- إدارة وتطوير القوى البشرية (١٥٠ نقطة) وتشمل: تقويم وتخطيط القوى العاملة، ونظام تشغيل العاملين، ونظام تطوير القيادات على المستويات كافة، والرضا المهني للعاملين.

هـ- الإدارة (٥٠ نقطة) وتشمل: تصميم النظام الاداري، والخدمات ، وتطوير إدارة الاستقطاب، والنظر إلى الإدارة كعمل اقتصادي.

و – أداء الاقسام داخل الهيئة ونتائج اداء العاملين (٢٣٠ نقطة) وتشمل: تقييم الاداء، ومناخ بيئة العمل والنتائج، والنظر إلى الأداء بوصفهِ عملا اقتصاديا.

ز – الرضا الجمعي للعاملين (٢٣٠ نقطة) وتشمل: الحاجات الحالية والمستقبلية، والعلاقة بين العاملين والإدارة ، والرضا المهني للعاملين الحالي والمتوقع، ومقارنته مع سائر المؤسسات الأخرى (عبدالجواد، ٢٠٠٠، ص٢٦–٢٨) .

يعتبر هذا المعيار من اشمل المعايير تطبيقا لضبط الجودة في المؤسسات، ويفضل استخدامهُ في مؤسسات الدولة.

رابعا– تحديد معايير التقويم الذاتي:

قدّمت حركة التقويم الذاتي بعض المعايير التي تضمن شموله، وطوّر أنصارها خمسة وأربعين معيارا مقسمة على عشرة مجالات يعتقدون أنها تغطي تقويم مختلف جوانب كفاية الأداء في المؤسسة (الهيئة) وهذه المعايير بعد إعادة صياغتها هي

أ – الأهداف :

١ –مدى صلاحية الأهداف لأن تكون مرشدا فعّالا لتوجيه حاضر المؤسسة (الهيئة) ومستقبلها.

٢ – مدى تناغم الأهداف الفرعية مع الأهداف العامة ومساهمتها في إنجازها.

٣ – مدى توافر القدرات التخطيطية الكافية كما والملائمة نوعا لصياغة الخطط اللازمة لإنجاز الأهداف.

٤ – مدى انسجام سياسات وإجراءات القبول في المؤسسة (الهيئة).

٥ – مدى قدرة أهداف المؤسسة على إبراز هويتها المميزة لها من غيرها.

ب – تقييم العاملين:

١ – مدى تقوين العاملين لنظام الادارة والإشراف الذي توفره لهم المؤسسة (الهيئة).

٢ – مدى رضا العاملين على المؤسسة .

٣ – مدى توافر برامج ومصادر تدريب العاملين.

٤ – مدى فاعلية إدارة شؤون العاملين.

٥ – مدى توافر شواهد على وجود تقدم مقبول نحو تحقيق أهداف الهيئة.

ج – الادارة العليا:

١ – مدى ملاءمة الإجراءات والسياسات الحالية لتقويم أداء العاملين.

٢ – مدى تحقيق البرامج الراهنة المتعلقة بتحسين وتطوير الادارة العليا لأهدافها.

٣ – مدى تقبل السياسات والإجراءات الحالية المتعلقة بشؤون الادارة العليا.

٤ – مدى ملاءمة الأُجور والحوافز للدارة العليا وقابليتها للمنافسة.

٥ – مدى كفاية الأداء الوظيفي للادارة العليا.

د – برامج الاداء الفعلي:

١– مدى توافر سياسات وإجراءات مناسبة لبناء البرامج الجديدة لدى الهيئة.

٢ – مدى مساعدة سياسات وإجراءات مناسبة لفحص وتقييم البرامج القائمة لدى الهيئة.

٣ – مدى مساعدة محتويات البرنامج على إثارة وتحفيز العاملين.

٤ – مدى كفاية وانسجام البرامج مع أهداف المؤسسة (الهيئة).

٥ – مدى تقديم أفكار خدمات جيدة للادارة العليا والعاملين.

هـ – الدعم المؤسسي:

١ – مدى ملاءمة المباني والتجهيزات اللوجستية لحجم العاملين والدوائر والاقسام وطبيعة العمل في المؤسسة (الهيئة).

٢ – مدى توافر خطط طويلة المدى لتطوير المباني والأجهزة والتجهيزات اللوجستية.

٣ – مدى مساهمة الرواتب والمخصصات المقدّمة للعاملين ومساعدتها في جذب العناصر الجيدة للمؤسسة.

٤ – مدى توافر الإجراءات الملائمة لتقويم وتقويم أداء العاملين في مجال اداء الخدمة.

و – القيادة الإدارية:

١ – مدى اهتمام القيادة الإدارية في المؤسسة (الهيئة) بالتخطيط.

٢ – مدى تكوين علاقات عمل فعالة بين المدير والإداريين في الهيئة.

٣ – مدى ضمان السياسات والإجراءات الإدارية لفعالية إدارة الهيئة.

٤ – مدى توافر الإجراءات والسياسات المناسبة لتقويم أداء الإداريين وتطويرهم مهنيا.

٥ – مدى تحسين مبادئ تكافؤ الفرص والعدالة والموضوعية في سياسة التوظيف الحالية.

ز - الإدارة المالية:

١ - مدى تكافؤ ميزانية المؤسسة مع المؤسسات المماثلة الأخرى.

٢ - مدى توفر نظام فعال للتقارير المالية والمحاسبية لدى المؤسسة (الهيئة).

٣ - مدى تكافؤ التكاليف والمصروفات مع نظيرتها في المؤسسات المماثلة.

٤ - مدى استثمار المؤسسة (الهيئة) لمصادرها وممتلكاتها المادية والمالية بطريقة جيدة.

٥ - مدى حرص المؤسسة (الهيئة) على الاستخدام الأمثل لمصادرها المالية والبشرية.

م - مجلس إدارة الهيئة :

١ - مدى مساهمة الإجراءات والسياسات في كفاية سير الأعمال بهذا المجلس.

٢ - مدى فهم أعضاء المجلس للفرق بين صياغة السياسات وتطبيقها.

٣ - مدى تفاعل الأعضاء مع الجمهور الخارجي.

٤ - مدى مساهمة هذه المجالس بفاعلية في تطوير الهيئة.

ط - العلاقات الخارجية:

١ - مدى مساهمة أنشطة المؤسسة (الهيئة) في الرقي بالأوضاع الاقتصادية والثقافية والصحية والاجتماعية في البيئة المجاورة لها.

٢ - مدى تمتع المؤسسة (الهيئة) بعلاقات جيدة مع الجهات الإشرافية العليا.

٣ – مدى ارتباط المؤسسة (الهيئة) بعلاقات فعالة مع الجهات الحكومية التي تتأثر بقراراتها.

٤ – مدى قدرة المؤسسة (الهيئة) على تأمين مستوى مقبول من الدعم المالي من القطاع الخاص.

ي – التطوير الذاتي للهيئة:

١ – مدى دعم الهيئة لجهود الابتكار والتجريب.

٢ – مدى توافر الاتجاهات الإيجابية نحو التطور الذاتي لدى العاملين في الهيئة.

٣ – مدى توافر إجراءات ملائمة للتطور الذاتي لدى الهيئة (Zuckerman,2001,PP7-10).

ويفضل ان يتم اعتماد الفقرات في المعيار هذا بوصفها أدلة لمستوى الاداء للمؤسسة وصولا الى الجودة.

وتستند عملية التقويم الذاتي إلى الأسس الآتية

أ – إن التقويم الذاتي مسؤولية داخلية يقوم بها نخبة من العاملين

ب – إن التقويم عملية مستمرة.

ج – إن التقويم عملية شاملة لمدخلات وعمليات ومخرجات المؤسسة (الهيئة) والعوامل الخارجية المؤثرة فيها.

د – إن التقويم أساس جوهري لضمان جودة برامج المؤسسة (الهيئة) وتحقيق كفايتها وفاعليتها.

هـ – إن التقويم أساس لاتخاذ القرارات الرشيدة.

و – إن التقويم أساس للتخطيط المستقبلي.

ز – إن التطوير هو الهدف النهائي من التقويم.

ي – إن التطوير عملية مفيدة لبناء الفهم المشترك داخل مؤسسات التعليم في أهدافها ونقاط قوتها وضعفها(Dressel ,1987,PP22-24).

بعد هذا الوصف العلمي العملي للتقويم الذاتي والودة ،فالادر وضع الرؤية بهيئة دليل تقويم ذاتي للهيئة ، تعتمدهُ كدليل ارجراءات عمل ويشمل الآتي:

دليل التقويم الذاتي لهيئة

أولا- تحديد المصطلحات:

١ -**الجودة** : استراتيجية منظمة تستند إلى مجموعة من المعايير تهدف إلى التطوير المنظم الشامل والمستمر لكل المؤسسة (الهيئة) معتمدة على توظيف مواهب العاملين فى استثمار قدرتهم العقلية والإبداعية على اختلاف مستوياتهم بما ينعكس بالإيجاب على منتج العامل فى تفجير طاقته العقلية والوجدانية والمهارية ومسخرين فى سبيل ذلك كل العناصر الأخرى .

٢- **القدرة المؤسسية** : هي تحقيق جودة في المؤسسة (الهيئة)، عبر مجموعة القواعد، والشروط المحددة لبنيتها التنظيمية وإمكاناتها البشرية والمادية.

٣- **الفعالية المؤسسية** : تحقيق مخرجات عالية الجودة، فى ضوء رؤية المؤسسة (الهيئة) ورسالتها من مجموعة العمليات التى توفر فرص متميزة للجميع.

٤- **المعايير:** هي المعايير التسعة للتقويم الذاتي وجودة الاداء .

٥- **المؤشرات** : عبارات تصف الإنجازات المتوقعة (ضرورة وجود رؤية مكتوبة فى وثيقة).

٦- **الشواهد:** المصادر المتاحة التى يمكن الاستدلال بها (وثيقة الرسالة والاهداف مطبوعة ومعلنة).

٧- **الممارسات:** خطوات ترشد على الأداء المتميز للتعرف على مدى تحقيقه (مناقشة العاملين كافة حول رؤية المؤسسة (الهيئة) ورسالتها).

٨- **فلسفة** التقويم **الذاتى للمؤسسة:** التعرف على ذات المؤسسة (الهيئة) وتتعرف كذلك على الجوانب الايجابية والفجوات فى الأداء ، ومن ثم يوفر التقويم الذاتي البيانات الموضوعية التي تساعد القيادة على تحديد أولويات التطوير بوصفها مدخلا لخطط التحسين بما يحقق الفاعلية المؤسسية، فى ضوء بيئة داعمة من العاملين بالمؤسسة (الهيئة) الذين يشعرون بالمسؤلية والمشاركة الفعالة .

ثانيا- مفهوم التقويم **الذاتى:**

مجموعة الخطوات الإجرائية التي يقوم بها العاملون لتقويم مؤسستهم بأنفسهم استنادا إلى معايير ضمان الجودة؛ وذلك من خلال

جمع البيانات عن الأداء في الوضع الحالي، وموازنته بمعايير الجودة ومن ثم تُعدُّ دراسة التقويم الذاتى للمؤسسة مدخلا لتحسين الأداء وإعداد خطط التحسين اللازمة، وكذلك تعتبر من ناحية أخرى احد أهم مكونات ملف الجودة التى تتقدم به المؤسسة إلى المراجع العليا، حيث يقدم فكرة واضحة وشاملة عن واقع المؤسسة .

١ - **أهداف** التقويم **الذاتى:** يهدف التقويم الذاتى إلى التعرف على :

أ. درجة التوافق بين الممارسات السائدة وبين المعايير في مجالاتها المختلفة .

ب. جوانب القوة والضعف في الأداء في ضوء متطلبات الوصول إلى معايير الجودة.

ج. تحديد نقطة الانطلاق في بناء وتنفيذ خطط التحسين المستمر، لتحقيق متطلبات تحقيق المعايير.

٢- **خطوات التقويم الذاتى:** تمر التقويم الذاتي بسبع خطوات أساسية يمكن النظر إليها على النحو الآتي:

أ. تشكيل فريق قيادة التقويم الذاتى للهيئة.

ب. إعداد خطة التقويم الذاتى.

ج. التهيئة والإعلان عن دراسة التقويم الذاتى.

د. تشكيل وتدريب فرق العمل.

هـ. الاتفاق على نوعية البيانات المطلوبة وأساليب الحصول عليها.

و. تحليل البيانات.

ز. كتابة التقرير النهائي لدراسة التقويم الذاتى(Fiske,2004,PP143-156).

الخطوة الأولى:

تشكيل فريق قيادة التقويم الذاتى للهيئة: تتمثل الخطوة الأولى في التقويم الذاتي للهيئة في تشكيل فريق لقيادة الدراسة ومتابعة الأداء فيها، وعادة ما يتكون هذا الفريق من (رئيس الهيئة، أحد المدراء، رؤساء الاقسام الكفوئين، الموظفون الكفوئين). وتتمثل مهمة هذا الفريق فيما يأتي:

- تخطيط دراسة التقويم الذاتى.
- تشكيل فرق العمل اللازمة.
- الإشراف على تدريب فرق التقويم الذاتى وبناء قدراته.
- الإشراف على تجهيز أدوات جمع البيانات.
- قيادة وتوجيه فرق التقويم الذاتى في عملية جمع وتحليل البيانات.
- الإشراف على إعداد التقرير النهائي للتقويم الذاتى.
- اتخاذ القرار المناسب بأولويات التحسين.

تشكيل فرق التقويم الذاتى وفقا للمعايير التسعة وتدريبهم على المهارات الآتية :-

- مهارات المقابلات الشخصية والملاحظة.
- مهارات استخدام الاستبيانات.

- مهارات اعداد التقارير وتحليلها .
- مهارات التوثيق وإدارة المعلومات
- معالجة البيانات الكمية والكيفية
- التدريب على اتخاذ القرار فى ضوء البيانات.

معايير دليل التقويم الذاتي:الجدول التالي يوضح معايير التقويم الذاتى:

جدول(١) معايير التقويم الذاتي

م	المجال	٪
	الرؤية والرسالة	٢٪
	القيادة والحوكمة	٩٪
	الموارد البشرية والمادية	٧٪
	المشاركة المجتمعية	٥٪
	توكيد الجودة والمسائلة	٧٪
	العميل	٢٤٪
	الموظف	٢٣٪
	اجراءات العمل	١٣٪
	المناخ المؤسسي	١٠٪

الخطوة الثانية:

اعداد خطة التقويم الذاتى: يقوم فريق قيادة التقويم الذاتى بتصميم خطة إجرائية لتنفيذ التقويم الذاتي للهيئة، يتم من خلالها وضع الجدول الزمني للتنفيذ والمشاركين فى التنفيذ ومسؤلية كل منهم، مع وضع نظام للمتابعة. كما يقوم فريق التقويم الذاتى بعقد اجتماعات ولقاءات دورية لمناقشة المشاركين فى مقترحاتهم وتصوراتهم ؛ لضمان اندماج الجميع فى العمل والالتزام بتنفيذ الخطة بالمستوى المطلوب.

الخطوة الثالثة:

التهيئة والإعلان عن التقويم الذاتى تمثل تهيئة أفراد الهيئة والمعنيين بها لتنفيذ إجراءات التقويم الذاتى متطلب أساسي، وخطوة مهمة لتوفير قناعات بمبررات الدراسة، ودفع هؤلاء الأفراد للمشاركة بفاعلية فى تلك الإجراءات، ومن ثم نجاح عملية التقويم الذاتى، وتحقيق أهدافها. ويمكن استخدام آليات متنوعة لتهيئة أفراد الهيئة والمعنيين بها للتقييم الذاتى مثل: الندوات، والملصقات، والنشرات، واستخدام الموقع الالكترونى للهيئة.

الخطوة الرابعة:

تشكيل وتدريب فرق العمل اللازمة للقيام بالتقويم الذاتى:تتطلب التقويم الذاتي تشكيل عدد من فرق العمل، بحيث يتخصص كل فريق منها في أداء مهمة محددة من المهام المرتبطة بهذه الدراسة، أو يتخصص في تقييم مجال محدد من مجالات ضمان الجودة، مع الأخذ بالحسبان أهمية قسم الجودة في الهيئة .

الخطوة الخامسة :

الاتفاق على نوعية البيانات اللازمة وأساليب الحصول عليها: تتطلب التقويم الذاتي جمع نوعين من البيانات هما:

أ – معلومات كمية: تتمثل في البيانات الكمية والرقمية (نتائج الاداء ونسب الانجاز ونسب الغياب وعدد الموظفين وعدد الاجهزة.... الخ) .

ب– معلومات كيفية: وهى بيانات وصفية يتم الوصول إليها من تحليل رؤية المؤسسة ورسالتها، والآراء ووجهات النظر والاتجاهات السائدة بين جميع الاطراف المعنيه (المدراء والعاملين ورؤساء والاقسام...الخ).

الخطوة السادسة:

تحليل البيانات: تعدُّ هذه الخطوة على جانب كبير من الأهمية؛ لأنها تقدم الوضع الحالي للهيئة معبرة عن الواقع الفعلي للهيئة ، ويجب أن يراعى في تحليل البيانات ما يأتي :

– المعالجة الكمية والتحليل الكيفي للمعلومات فى ضوء معايير ضمان الجودة.

– مشاركة جميع أعضاء فريق التقويم الذاتى.

- توجه عملية تحليل البيانات لرسم صورة للوضع الحالي للهيئة في المجالات المختلفة، موازنةً بوضعها المرغوب فيه فى ضوء مدرجات القياس لمعايير الجودة في مجالاتها المختلفة (القدرة والفاعلية الهيئة).

- عند القيام باستخلاص الدلالات من خلال معالجة وتحليل البيانات لابد من تحقق كل معيار على حدة، وكذلك علاقته بغيره من المعايير في نفس المجال، ومن ثم يكون الاهتمام هنا بتكوين صورة متكاملة عن الهيئة.

الخطوة السابعة:

كتابة التقرير النهائي للتقويم الذاتى: تمثل كتابة تقرير التقويم الذاتى للهيئة مرحلة مهمة من مراحل هذا التقويم، حيث توفر وثيقة تسجل كل إجراءات التقويم، وما ارتبط بها من أدوات، واليات، وسياق، وتحديات، وهى جميعها جوانب ضرورية لتشكيل صورة بانورامية" للتقييم الذاتى للهيئة، يساعد على تعرف واقع الأداء فيها استنادا إلى معايير الاعتماد المؤسسي ومتطلبات تحسين الأداء. وعادة ما يشمل هيكل هذا التقرير مجموعة أساسية من العناصر لعلّ أبرزها، البيانات الأساسية للهيئة، ونتائج تقويم أدائها على وفق كل معيار من معايير الاعتماد فضلا عن ابرز جوانب التميز فى أداء الهيئة والتحديات التى تواجهها وأولويات تحسينها.

ثالثا- ادوات التقويم **الذاتي:**

١ -استمارة التقويم الذاتى للهيئة: إعداد استمارة لتسجيل نتائج تقييم الممارسات الخاصة بكل مؤشر، ومن ثم تسجيل نتائج تقويم كل

المؤشرت والمعايير التى تندرج تحتها تلك المؤشرات بحسب ماجاء في معيار التقويم الذاتي (مرفق استمارة تقييم ذاتي مبسطة يمكن الاعتماد عليها مع القيام بعملية استخدام كل حالات التقويم الذاتي عند استخدامها في وزارات والهيئات العراقية).

٢ - **كتابة تقرير** التقويم **الذاتى:**

يراعى عند كتابة تقرير دراسة التقويم الذاتى للمؤسسة أن يشمل النقاط الآتية:

أ- المنهجية المستخدمة في التقويم الذاتى.

ب- تقييم الأداء.

ج- السياق المؤسسي.

د- نظرة شاملة للفاعلية المؤسسية.

أ- المنهجية: يشمل هذا الجزء وصفا للخطوات الإجرائية التى اتبعتها المؤسسة فى إجراء التقويم الذاتى بالنسبة لكل من: فريق دراسة التقويم الذاتى، وخطة دراسة التقويم الذاتى، وأدوات جمع البيانات.

رابعا- المراحل الست للخطة الشاملة:

المرحلة الأولى :

التهيئة والاستعداد: على فريق قيادة التطوير والجودة تشكيل فريق التهيئة والاستعداد من (معاون مدير دائرة الاعلام في المؤسسة و٣ مدراء اقسام و٥ مسؤلي شعب و١٠ موظفين و٤ من المستفيدين من خدمات

المؤسسة) ومهمة هذا الفريق إعداد ملف التهيئة والاستعداد وتنفيذ محتوياته وعمل خطة إعلامية للتهيئة والاستعداد .

المرحلة الثانية :

التقـويم الـذاتى: تـأتى أهميـة التقـويم الـذاتى فـى تـوفير المعلومـات الموضوعية وبشفافية التى تساعد القيادة على تحديد أولويات التطوير ووضـع خطـط التحسـين بمـا يحقـق الفاعليـة المؤسسـية، امـا خطـوات ومراحـل التقويم الذاتى:

١. تشكيل فريق قيادة التقويم الذاتى (٣) مدراء دوائر، معاونين، (٤) مدرء اقسام. مدير قسم الجودة والتدريب. (٥) إداريين) .

٢. وضع خطة لتنفيذ التقويم الذاتى.

٣. تشكيل فرق التقويم الذاتى وفقا للمعايير التسعة وتدريبهم على يد قسم الجودة والتدريب على المهارات الآتية :

أ. مهارات المقابلات الشخصية والملاحظة.

ب. مهارات استخدام الاستبيانات .

ج. مهارات تحليل الوثائق والتقارير.

د. مهارات تحليل الاتجاهات والآراء .

هـ. مهارات التوثيق وإدارة المعلومات .

و. مهارات إعداد التقارير .

ز. معالجة البيانات الكمية والكيفية

ح. التدريب على اتخاذ القرار فى ضوء البيانات

٤. الاتفاق على نوعية المعلومات وكيفية الحصول عليها وأدوات التقويم من خلال (الاستبيانات . المقابلات فردية وجماعية . الملاحظة . فحص السجلات المختلفة فى المؤسسة مثل شؤون العاملين)

٥ . معالجة المعلومات واستخلاص الدلالات والنتائج.

٦. إعداد التقرير النهائى لدراسة التقويم الذاتى.

المرحلة الثالثة :

تحديد فجوات الأداء: على كل فرقة من فرق التقويم الذاتي التسعة تحديد فجوات الأداء الأشد تأثيراُ سلباٌ على اداء العاملين و مناقشة هذه الفجوات مع فريق قيادة التقويم والجودة واتخاذ القرار المناسب بأولويات التقدير.

المرحلة الرابعة:

تصميم خطة التحسين والتطوير: تعتبر هذه الخطة بمثابة الوثيقة التي تصف و تحدد التغييرات التي ستقوم بها المؤسسة (الهيئة) وصولا لتحقيق مستوى المعايير التسعة على فريق قيادة التطوير والجودة تشكيل مجموعة فرق منبثقة من فرق المجالات التسعة لمعالجة الفجوات المرتبطة كل في مجاله وكل فريق يضع خطة إجرائية لمعالجة فجواته، وهى خطة التحسين: وتتمثل عناصر الخطة في الجدول الآتي:

١ -المجال: فجوة الأداء المطلوب تجاوزها.

٢- الهدف العام المنشود تحقيقه بنهاية هذه الخطة.

٣ -مستوى الأداء المتوقع بلوغه بنهاية العمل فى تنفيذ الخطة.

٤ -الأهداف الإجرائية المرحلية الاستراتيجيات (أنشطة تحقيق الأهداف الإجرائية).

٥ -مسؤولية التنفيذ أدلة ومؤشرات النجاح الوقت اللازم والتوقيت المناسب للتنفيذ والإمكانات اللازمة ومصادرها .

المرحلة الخامسة :

تنفيذ خطة التحسين والتطوير :

١ -على المدير وفريق قيادة التطوير والجودة والتدريب الإعلان عن الفجوات والخطة الإجرائية لعلاج كل فجوة، وإقرار هذه الخطط وتأمين الموارد اللازمة للتنفيذ.

٢ -تشكيل فريق إدارة تنفيذ الخطة، وتحديد مهام أعضائة، على أن يلتزم أعضاء هذا الفريق بالتوقيتات المحددة و تنفيذ ما ورد فى خطة التطوير.

٣ -يتم تقسيم أعضاء فريق قيادة التقويم الذاتى على مجموعتين للمتابعة.

– كل مجموعة تتولى متابعة مجال رئيسى (القدرة المؤسسية ـ الفاعلية المؤسسي)

- كل عضو يستخدم استمارة تقييم لمتابعة الأهداف المكلف بها. (مرفق HE نموذج الاستمارة)

- يقوم مدير قسم الجودة والتدريب بكتابة تقرير متابعة كل ثلاثة أشهر ويوضح السلبيات والايجابيات والتوصيات والمقترحات.

الاستنتاجات

تمكن الباحث من التوصل إلى عدد من الاستنتاجات الأساسية للتقويم الذاتي والجودة على النحو الآتي:

أ. التزام واشتراك الإدارة العليا في تحسين الأداء وذلك من خلال:

- التشاور مع المديرين ورؤساء الأقسام والعاملين وصولاً لتحديد واضح لأهداف ومهام العمل.
- إرساء آليات اتصال فعالة للتزود بالمعلومات ونشر الوعى بأهداف وأساليب العمل.
- التمسك بسياسة الباب المفتوح حتى يتيسر لكافة العاملين مناقشة تحسين العمل والالتزام به.
- إنشاء آليات مناسبة للتعرف على الإنجاز على مستوى المؤسسة (الهيئة) والفرق والأفراد وتقدير كل منهم.

ب. الحرص على تحقيق التزام المديرين والعاملين في تحسين الأداء وذلك من خلال:

- التعرف على الوصف الوظيفي لكل موظف وقسم ودائرة وتحديد الأدوار المنوطة بكل منهم.
- زيادة الوعي باستراتيجيات الهيئة طويلة المدى وما يرتبط بها من أهداف، وكيفية قياس الإنجاز في كل منها بموضوعية.

- مراجعة فاعلية كل مستوى تنظيمي مع إيجاد البرامج التنموية المناسبة لزيادة هذه الفاعلية.
- تشجيع العاملين في كل المستويات على المشاركة في تحديد التغييرات والتحسينات اللازمة.

جـ. تكامل الأهداف الستراتيجية لأنشطة التحسين على كل المستويات وذلك من خلال:

- استخدام الأهداف الستراتيجية كأساس لتحديد الأولويات على كل مستويات العمل.
- تنشيط طرح الأفكار الخاصة بالتحسين من خلال التقويم الذاتى في إطار ما يتم إنجازه من الأهداف.
- انتظام مراجعة العمليات وبيان علاقتها بتحقيق الأهداف الستراتيجية للهيئة.
- تعزيز ثقافة التحسين المستمر وزيادة وعى العاملين بالأهداف الستراتيجية للهيئة.
- توفير التدريب والتدفق المعلوماتى الفورى والاتصال الفعال، لتعزيز ثقافة التحسين المستمر.

التوصيات

١ -تغيير تسمية اقسام التدريب وجعلها قسم الجودة والتدريب، لاعتماد الجودة بوصفها اسلوب عمل يومي .

٢ -الاهتمام بتشكيل لجنة من الباحثين كأستشاريين للوزارات والهيئات لفحص جودة الاداء على وفق استمارة دراسة التقويم الذاتي الاولية.

٣ -التطبيق التدريجي والجدي ، لإدارة الجودة، واستخدام دليل التقويم الذاتي على ان يجري على وفق خطة زمنية مدروسة.

٤ -استحداث شعبة في أقسام الجودة والتدريب باسم الرصد والتحليل البيئي من أجل تشخيص الفرص والتهديدات بوصفها عوامل بيئية خارجية والقوة والضعف بوصفها عوامل بيئية داخلية.

٥ -ضرورة تطبيق معيار بلدرج ، بوصفهِ نظاما لضبط الجودة معترف به لضبط الجودة والتميز في أداء المؤسسات والهيئات ، ويعتمد نظام بلدرج لضبط الجودة على (١١) قيمة أساسية توفر إطارا متكاملا للتطوير وتتضمن (٢٨) معيارا ثانويا للجودة وتندمج في (٧) مجموعات .

المصادر:

١. أبو حطب، فؤاد، ١٩٨٧، علم النفس التربوي، دار المعارف، القاهرة، مصر.

٢. أتكنسون، فيليب، ١٩٩٦، إدارة الجودة الشاملة: الأساس الصحيح لإدارة الجودة الشاملة، ترجمة عبدالفتاح النعماني، مركز الخبرات المهنية للإدارة، القاهرة.

٣. تونسيند، باتريك وجيبهارت، جون، ١٩٩٨، كيف تحقق الجودة؟، ترجمة فريق بيت الأفكار الدولية بأميركا، توزيع المؤتمن للتجارة، الرياض.

٤. جابلونسكي. جوزيف،٢٠٠٠، الجودة، تطبيق الجودة: نظرة عامة، جـ٢ تعريب عبدالفتاح السيد النعماني، مركز الخبرات المهنية للإدارة "بميك" الجيزة، القاهرة.

٥. جلال، سعد، ١٩٧١،المرجع في علم النفس، دار المعارف، القاهرة، مصر.

٦. عبدالجواد، عصام الدين نوفل،٢٠٠٠، "ضبط الجودة: المفهوم، المنهج، الآليات والتطبيقات التربوية"، مجلة التربية، قطاع البحوث التربوية والمناهج بوزارة التربية بدولة الكويت، السنة (١٠)، العدد (٣٣)، الكويت.

٧. مارش، جرن، ١٩٩٦، أدوات الجودة من الألف إلى الياء. جـ٣ تعريب عبدالفتاح السيد، مركز الخبرات المهنية للإدارة "بميك" الجيزة، القاهرة.

٨. مور ويليام ل. وهريت مور،١٩٩١، حلقات الجودة: تغيير انطباعات الأفراد في العمل، ترجمة زين العابدين عبدالرحمن الحفظي، مراجعة سامي علي الفرس، الرياض.

٩. وليامز، ريتشارد: ل. أساسيات الجودة، ترجمة مكتبة جرير ١٩٩٩، الجمعية الأمريكية للإدارة أماكوم.

References

1. Crosby، ph. B. (1979), Quality is free: the Art of Making Quality certain، New York: Mc Graw-Hill Book Co.

2. Donabedian، A. (1985). Twenty years of research on the Quality of medical Care، Evaluation and the Health professions. vol. (8)، no. (3).

3. Dressel، P.L. (1987). Handbool of Academic Evaluation، San Francisco: Jossey-Bass .

4. Tunks، R. (1992). Fast Track to Quality، New York، Mcgraw Hill Book، Co.

5. Thompson & Strickland , "Strategic Management " , McGraw,Boston, 2003

6. Schermerhorn , "Management " , John Wiley & Sons, New York, 1999

7. Joyce & Woods, (1999)," Essential Strategic Management " , Butterworth Hewnemann, Oxford.

8. Fiske, S. T. (2004), Social beings: A core motives approach to social psychology. United States of America: Wiley.

9.Tesser, A. (1988), Toward a self-evaluation maintenance model of social behavior. In L. Berkowitz (Ed.), Advances in experimental social psychology, Vol 21, (pp. 181-227). New York: Academic Press.

10.Tesser, A., & Schwarz, N. (Eds.). (2001). Blackwell handbook of social psychology: Intraindividual processes. Massachusetts: Blackwell.

11.Zuckerman, Ezra W., & Jost, John T. (2001). What makes you think you're so popular?: Self-evaluation maintenance and the subjective side of the "friendship paradox". Social Psychology Quarterly. 64(3), 207-223.

الملحق(١) استمارة التقييم الذاتي

ضع علامة(*) تحت النسبة المحددة بالاستمارة اعتمادا على نتائج الاداء الفعلية والمقاسة بالادوات المناسبة

الممارسات	النسبة وفقا لأدوات جمع البيانات المستخدمة						
	نعم	لا	٨٠٪ فأكثر	٦٥٪ ٧٩٪	٥٠٪ ٦٤٪	اقل من ٥٠٪
توفر المؤسسة بيئة اجتماعية ميسرة للعمل بما يحقق رؤيتها ورسالتها .						
توجد أدوار محددة ومسؤوليات واضحة للعاملين بالمؤسسة لتفعيل أهدافها	✓					
تتيح المؤسسةفرصا لممارسة أنشطة تتفق مع رؤيتها ورسالتها.	✓					
تعقد المؤسسة لقاءات واجتماعات لمناقشة المشكلات التي تواجهها.	✓					
يدعم تنوع الأنشطة بالمؤسسة العلاقات الاجتماعية بين العاملين والعملاء	✓					
يشارك بعض العاملين في صنع واتخاذ القرارات التي ترتبط لهم	✓					
توجد أساليب لمساعدة العاملين على تحقيق مستويات اداء عالية.						
توفر المؤسسة مصادر تعلم وتدريب متنوعة بما يحقق التميز للعاملين.	✓					
توجد خطط تدريبية لعلاج المشكلات المرتبطة بمستويات اداء العاملين.	✓					
تشجع العاملين على استخدام معارفهم الضمنية في الاداء الوظيفي.	✓					
توفر المؤسسة الوسائل والاجهزة والمعدات اللازمة للانجاز.	✓					
تحفز المؤسسة العاملين على طرح افكار ابداعية تثرى العمل .	✓					

الممارسات	النسبة وفقا لأدوات جمع البيانات المستخدمة					
	نعم	لا	٨٠٪ فأكثر	٦٥٪ ٧٩٪	٥٠٪ ٦٤٪	اقل من ٥٠٪
تنشر المؤسسة برامجها التنموية وخططها على موقعه الإلكتروني .		✓				
تسود المؤسسة أنماط من العلاقات الإنسانية القائمة على التعاون والاحترام المتبادل بين العاملين						
تستخدم المؤسسة أسلوب الحوار والمناقشة.	✓					
تعقد اجتماعات داخلية تهدف إلى دعم العمل والإنجاز .	✓					
تعقد اجتماعات دورية تهدف إلى دعم العمل والانجاز	✓					
يلتزم العاملون بالمؤسسة بتنفيذ باللوائح المهنية والأخلاقية.	✓					
يسود المؤسسة مناخ داعم لثقافة المواطنة والانتماء واحترام القانون والقيم الأخلاقية .						
ترسخ المؤسسة مفاهيم المواطنة والانتماء	✓					
تلتزم المؤسسة بتطبيق قواعد العمل المنظمة واللوائح والقوانين داخل المؤسسة.	✓					
تضع نظاما يحقق الانضباط العام والعدالة	✓					
توظف المؤسسة الاعلام لدعم الجوانب الايجابية والقيم المرغوب فيها. .	✓					